مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

في رحاب تاريخ حضرموت الحديث و المعاصر

(أبحاث ودراسات)

أ. د. عبدالله سعيد الجعيدي



في رحاب تاريخ حضرموت
الحديث والمعاصر

في رحاب تاريخ
حضرموت الحديث والمعاصر

(أبحاث ودراسات)

تأليف

أ.د.عبدالله سعيد الجعيدي

حقوق هذه الطبعة محفوظة لـ
مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء :

- إلى الباحثين عن حضرموت...
  لعلي آتيكم منها بقبس

كلمة المشرف العام

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى، وبعد:

يطيب لي أن أقدم للقارئ الكريم كتاب "**في رحاب تاريخ حضرموت الحديث والمعاصر**" لمؤلفه الأستاذ الدكتور/ عبدالله بن سعيد الجعيدي، وهو كتاب جليل حاول مؤلفه أن يكشف فيه عن جوانب من تاريخ حضرموت الحديث والمعاصر، من خلال عدد من الأبحاث والدراسات القيمة، التي نشرها في مجلات متخصصة، وآثر جمع شتاتها في هذا الكتاب، وهي وإن تنوعت موضوعاتها؛ إلا أن بينها تناغمًا كبيرًا، حيث تناولت جميعها تاريخ حضرموت. ويُعد هذا الكتاب باكورة إصدارات "**مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر**"، ذلك المركز الذي سطع حديثًا في سماء حضرموت، جاعلاً من أولى أولوياته وأسمى غاياته: توثيق ذاكرة حضرموت التاريخية والتراثية والإنسانية وإنتاجها ونشرها. فحضرموت تتمتع بإرث تاريخي وحضاري كبير وعميق ما جعل القائمون على المركز يأخذون على عاتقهم مسؤولية المساهمة في إعادة ذلك الإرث وإحيائه، وتنشيط الحركة البحثية فيه، وتقديم مرجعية ذات موثوقية بخصوصه، ورفد المجتمع بالمعارف والعلوم والبحوث والدراسات ذات الصلة، والسعي لتعميق الفكر، والمساهمة في إدارة

تغيير المجتمع إلى الأفضل، انطلاقا من فهم الحاضر، واستشراف المستقبل. آملين أن يتمكن الإخوة في هذا المركز من تحقيق أهدافهم النبيلة، وغاياتهم السامية، بعيدًا عن الصراعات المذهبية، والتجاذبات الحزبية، بما يكفل حيادية نتاجهم الفكري.

المشرف العام

محمد بن سالم بن علي جابر

توطئة

يحاول هذا الكتاب الكشف عن جوانب من تاريخ حضرموت الحديث والمعاصر من خلال عدد من الأبحاث والدراسات نشرت في مجلات علمية متخصصة آثرنا تجميعها في مكان واحد ليسهل الوصول إليها بدلًا من تشتتها، وهي وإن تنوعت في موضوعاتها، فإن القاسم المشترك بين حلقاتها هو تناولها لتاريخ حضرموت ذاتها، ولخصوصية مادة الكتاب وتحقيقًا لأمانة النقل أبقينا على الاستهلالات التي تضمنتها الأبحاث والدراسات كما نشرت في المجلات، لكننا أجرينا بعض التغييرات كلما وجدنا ذلك مناسبًا، وينسجم مع استقرارها بين دفتي هذا الكتاب بعنوانه الجامع.

وقد مضت في حضرموت سنن التاريخ في التغيّر والتشكّل، لهذا وبعيدًا عن ثوابت الجغرافيا التي تتسع وتضيق لاعتبارات كثيرة فقد عَرف الحضارمة عبر مراحل التاريخ أكثر من حضرموت من حيث شكل الكيان السياسي، وتنوع المذاهب والاجتهادات، ولأن الناس كما يقال على دين ملوكهم فإن الحضارمة خلال مسيرتهم التاريخية الطويلة لم يكونوا على وتيرة واحدة، أو مزاج واحد ثابت، إنما ينطبق عليهم القول المشهور لكل زمان دولة ورجال.

إن دور حضرموت الثقافي المؤثر في ما حولها وفي ما وراء البحار، كان الملمح المتقدم على نظامها السياسي بخاصة خلال القرون الثمانية الماضية، ولهذا نلاحظ عندما تتغلب القوى المحلية على بعضها، وتتبدل

الأحوال السياسية تظل حضرموت بهويتها الثقافية مظلة للجميع، وحاضنة لهم، لكن الخلل في المسافة بين حركة الثقافي والسياسي أدى إلى زعزعة استقرارها، وجعلها مكشوفة تتقاذفها الأهواء والأطماع.

ومع هذا؛ وفي خضم التحولات التي تفرزها عادة حركة التاريخ فإن حضرموت حافظت على تماسكها، وتعاملت مع دورة المتغيرات بمرونة،وصنعت لنفسها خصوصية انطلقت بها إلى آفاق بعيدة، وتركت آثارها الثقافية على جغرافية مترامية الأطراف هذا مع محاولاتها في تأكيد حضورها داخل حدودها، إن هذه الحركة التاريخية المتدفقة دفعت مراكز البحث الأجنبية المتخصصة إلى دراسة ما يمكن وصفه بالظاهرة الحضرمية ومحاولة استكشاف أسرارها، وذلك بعقد المؤتمرات والندوات العلمية فضلًا عن المؤلفات، والرسائل العلمية الأكاديمية.

أما حظ حضرموت في الدراسة والتنقيب من قبل أبنائها فهو لا يرتقي إلى المستوى المأمول، وحتى العلاقات العلمية التي يحاول بعض المهتمين نسجها مع مراكز البحث الأجنبية تدخل في خانة الجهد الشخصي المحدود، وليس في العمل المؤسسي المنظَّم، ومع تثميننا لكل الجهود التي بُذلت وتُبذل فإننا نرى أن أهل مكة أدرى بشعابها، وأن أبناءها هم من يقع على كاهلهم التصدي لتاريخ بلادهم لاسيما إذا توافرت لهم الحاضنة السليمة.

وقبل أن أتركك عزيزي القارئ مع صفحات الكتاب أود أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ محمد بن سالم بن علي جابر المشرف العام (لمركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر) لاهتمامه بطباعة هذا الكتاب، والشكر موصول للدكتور جمال رمضان حديجان على تدقيقه

اللغوي، وإلى الأساتذة : عوض عمر حسّان (مدير مركز شبام للتنمية الثقافية)، والباحث التاريخي علي أنيس الكاف، والأخ عبدالرحيم نصير؛ لتعاونهم العلمي المثمر، والشكر والتقدير لرواد التأليف الحضرمي لاسهاماتهم العلمية التي أوجدت على الطريق هُدى.

المؤلف

الهجرة الحضرمية
إلى إندونيسيا بين الهوية والاندماج*

تمهيد

من الصعوبة بمكان تحديد بداية تاريخية واضحة لهجرة الحضارمة من بلادهم؛ فقد امتزجت الخرافات والأساطيرمع الحقائق[1] كما أن معظم الكتابات التي تناولت مشكلة الهجرة جعلت منها لغزًا غير قابل للحل، ومثل هذه المعالجات تبعدنا عن فهم هذه الظاهرة، وعن إدراك أسبابها وأبعادها الحقيقية واحتمالات تطورها في المستقبل، وتصوير البعض لمسألة الهجرة كأنها صفة ملازمة للحضارمة يستحيل أن يتخلصوا منها، أو يعيشوا بدونها إنما يحول القضية من ظاهرة تاريخية قد تظهر وتختفي إلى ظاهرة خالدة غير قابلة للتفسير والتحول[2].

---

* تمت المشاركة بهذه الدراسة في المؤتمر الدولي الرابع لكلية الألسن/ تحت شعار(الحفاظ على الهوية اللغوية والثقافية في عصر العولمة) /جامعة المنيا، جمهورية مصر العربية، ٢٠٠٧م، ونشرت في: مجلة ثقافات، كلية الآداب جامعة البحرين، العدد ٢٢/ ٢٠٠٩م

(١) باحاج،عبدالله سعيد،قراءة جغرافية وتاريخية في دوافع الهجرة اليمنية،مركز عبادي للدراسات والنشر،صنعاء،٢٠٠٢م،ص١٥.

(٢) القصير،أحمد، ،اليمن الهجرة والتنمية،دار الثقافة الجديدة،القاهرة، ١٩٨٥م،ص٤٧.

إن قضية الهجرة الحضرمية وعلاقاتها بالمتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية تحتاج إلى المزيد من الدراسة والتحليل، وإذا كانت الهجرة كظاهرة عالمية أصبحت في العقود الأخيرة مشكلة رئيسية بالنسبة لعديد من بلدان العالم خاصة البلدان النامية، فإنها تكتسب أهمية خاصة بالنسبة للحضارمة فهي ذات أبعاد متعددة شديدة التعقيد، وبالغة التأثير في مجتمعهم.

الأهمية التاريخية للهجرة الحضرمية:

لابد من الإشارة هنا إلى أن الهجرة الحضرمية _ بوصفها حركة اجتماعية عامة نابعة من مجمل الأوضاع التي يعيشها المجتمع _ لايمكن إرجاعها إلى عامل واحد فقط، وإنما هناك عوامل عدة متضافرة بشرية وطبيعية قد أسهمت في خلق هذه الحركة وإذكائها،ولاشك أن للعوامل البشرية الدور الأساسي فيها؛ لأنها تبين مقدرة الإنسان على التعامل مع إمكاناته الطبيعية سلبًا وإيجابًا[١] وقد وضع المؤرخ بامطرف دوافع عامة للهجرة الحضرمية حددها في الآتي: " تجاري،أو فرار من الأوبئة والمجاعات والفتن العشائرية وجور الحكام، أو السعي خلف المقر الأفضل على أقل تقدير"[٢]، وقد قيل عن حضرموت إنها بيئة طاردة لسكانها، وهذا القول يحظى بكثير من الصحة، فأرض حضرموت تتوزع طبوغرافيًا بين الصحراء القاحلة والوديان والجبال والسهول الجبلية والسهل الساحلي. لهذا فإن أهم صادرات حضرموت هو رجالها المهاجرون، وانتعشت بخيرات أبنائها والعكس ليس صحيحًا.

---

(١) باحاج، عبدالله سعيد، ،المصدر السابق،ص١٩

(٢) بامطرف، محمد عبد القادر، الهجرة اليمنية، الآفاق للطباعة والنشر، صنعاء، ٢٠٠١م، ص٦٦.

ولأن هجرة الحضارمة في مجملها نابعة من قرارات فردية، فإن أوليَّاتِ دوافع الهجرة تختلف باختلاف الظروف التاريخية والمكونات الثقافية والاجتماعية للأفراد.وقد أخذت أعداد كبيرة من الحضارمة تتسرب منذ قرون إلى مناطق متعددة مثل: الحجاز، ومصر، وسوريا. وخلال القرون الحديثة إلى الهند وجزر الهند الشرقية. ومن بين كل أجزاء الجزيرة العربية فإن حضرموت هي موطن الهجرات الأول[١].

وعندما نتناول هجرة الحضارمة إلى ما وراء شواطئهم الجنوبية عبر المسافات التاريخية يكون من الضرورة بمكان الإشارة إلى أن المساحة البحرية المحصورة بين الشاطئ العربي الجنوبي والشاطئ الهندي الغربي والإفريقي الشرقي تمثل لازمة من لوازم تلك الهجرة. وهي الرقعة المعروفة عند الجغرافيين بحوض المحيط الهندي، وعُرِف في أدبيات الباحثين العرب بأنه بحيرة عربية لنشاط العرب الجنوبيين المكثف قبل منافسة الأساطيل البرتغالية لهم في القرن السادس عشر[٢]. إن هذا الالتصاق والترابط بين المحيط الهندي والهجرات الحضرمية جاء نتيجة تعاملهم مع مياهه وتراكم خبراتهم بدروبه وبراعتهم في بناء السفن[٣]،

(١) ميولن، دانيال فان در، وفيسمان، فون، حضرموت إزاحة النقاب عن بعض غموضها، ترجمة وتقديم وتعليق الدكتور محمد سعيد القدال، دار جامعة عدن للطباعة، والنشر،عدن، ١٩٩٨م، ص١٣.

(٢) الملاحي، عبد الرحمن عبد الكريم، اليمنيون في المهاجر الإفريقية - هجرة الحضارمة الدوافع - الاستيطان التأثير، مجلة شعاع الأمل، العدد السابع والستون، ٢٠٠٧م، ص١٦.

(٣) عثمان، شوقي عبد القوي، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت رقم ١٥١ص١٣.

وكانت التجارة أبرز مظاهر النشاط في المحيط الهندي، والمظهر الذي حمل في أعطافه جميع المظاهر الدينية والثقافية والحضارية فضلًا عن الهجرات[١].

لقد عمل الحضارمة في نقل السلع الهندية والصينية على سفنهم التجارية، وامتد نشاطهم إلى إقليم ناتال في جنوب شرقي إفريقيا، وإلى جزيرة تيمور في جنوب شرقي آسيا، وإلى خليجي العقبة والسويس في شمال البحرالأحمر، ومع مرور الزمن أصبحت هذه المناطق الجهات الرئيسة لهجرتهم[٢].

وكان لهجرة الحضارمة طابع مختلف يتمثل في أنها هجرة نوعية في المحل الأول؛ حيث برز بينها فئة معينة من السكان هم رجال الفقه والدين، وهي هنا تقترب كثيرًا من هجرات وترحال رجال العلم في القرون الماضية. ويعود الاختلاف بين نوعية المهاجرين من حضرموت واليمن إلى ظروف تاريخية عديدة،غير أن اختلاف طابع الهجرة يعود إلى حد كبير أيضًا إلى قيام بعض المدن الحضرمية بدور كمراكز للمعرفة في العالم الإسلامي خاصة مدينتي سيئون وتريم، وبينما نجد أن معظم الذين هاجروا من مناطق اليمن في القرن التاسع عشر كانوا من أبناء الريف المستعدين لأي نوع من أنواع العمل العضلي، فإن النسبة الأكبر من الذين

(١) عد بعض المؤرخين الاستعاضة بالمحيط الهندي من السهوب مع نهاية القرن الخامس عشر وما بعده بمثابة ثورة تكنولوجية ذات أهمية كبيرة.وساعد على ذلك تمكن البرتغاليين من الوصول إلى سواحل الهند الشرقية فازداد ارتباط الشرق بالغرب عبر هذا الطريق الأسرع في حينه. وكان ذلك على حساب السيادة التجارية الإسلامية في المحيط الهندي الممتدة لقرون خلت .

(٢) بامطرف، محمد عبد القادر،المصدر السابق،ص٩٢.

هاجروا من حضرموت ينتمون إلى الصفوة المتعلمة الذين انتقلوا لنشر الدعوة ولخلق الثروة بعملهم الذهني أكثر من عضلاتهم، ومن ثم كانت نسبة الأثرياء من المهاجرين الحضارمة أكثر ارتفاعًا[١]، وقد أعطى المهاجرون الحضارمة بعدًا جديدًا للهجرة لوصولهم وبأعداد كبيرة إلى شرق آسيا، وكوّنوا مستوطنات عربية في مختلف أرجاء الأرخبيل الإندونيسي[٢].

ومثّلت الهجرة الحضرمية عنصرًا من عناصر الامتدادات الثقافية ذات التأثيرات المتبادلة، وتختلف في بعض جوانبها عن الهجرات الأخرى، فقد خرج الحضارمة من مناطق معينة من بلادهم وتكثف نشاطهم في المحيط الهندي وبلدان الشمس المشرقة مما جعل الرحالة البريطاني الشهير (سيررتشارد بيرتون) يقول: "من المعلوم أن الشمس لاتشرق على أرض لايوجد فيها رجل من الحضارمة"[٣]، وتعيّن على هؤلاء الحضارمة المجردين من الحماية والسلطة أينما حلوا أن يشقّوا طريقهم بأنفسهم داخل التركيبة الاجتماعية والسياسية المحلية في المنطقة التي استقبلتهم، ولذلك صاهروا سكان هذه المجتمعات وأسسوا عائلات ارتبطت إلى حد ما ببلدهم عبر صلة الدم، وعبر ثقافة قامت على مفاهيم التنقل والعودة والثقافة الدينية الأخلاقية لإنشاء مجتمع يمتد عبر البحار والمحيط يعتبر

(١) القصير، أحمد،المصدر السابق، ص٧١

(٢) إنجرامس، دبليوإتش، حضرموت ١٩٣٤-١٩٣٥م، تعريب د. سعيد عبد الخير النوبان، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ٢٠٠١م،ص١٦١

(3) William.g.clarence-smith, Hadhramaut and the hadhrami diaspora in the modern era: an introductory survey in theorical historyin hadhramaut tradres-scolars and statesmen in Indian ocean 1750-1960s 1997, p1.

نفسه مرتبطًا بثقافة الوطن[١].

وتناول عدد من المؤسسات العالمية والباحثون من بلدان غربية وآسيوية بحث تاريخ الحضارمة ونشاطهم في مهاجرهم بأفريقيا وآسيا بما لهم من تأثير وإسهام في تطوير شعوب بلدان المهاجر ذات المساحة الجغرافية الواسعة مع كثرة عدد السكان والتنوع الثقافي والاجتماعي بها، يقابل ذلك قلة عدد سكان حضرموت وصغر مساحة أرضهم لهذا فهجرتهم تمثل الصورة الأكثر إثارة وتميزًا عن غيرها من الهجرات[٢].

ومنذ ظهور علم الانثروبولوجيا الاجتماعي زاد الاهتمام بظاهرة الهجرات وأصبح تعبير الشتات (DISPORA) كثير التداول، وهو يعني في الأصل الشتات اليهودي بعد تدمير القدس في القرن الأول الميلادي وانتشارهم في بقاع الأرض، وصار الشتات يعرف اليوم بأنه : "مجموعة من الأقليات العرقية التي هاجرت واستقرت في بلد آخر ومارست فيه نشاطًا متنوعًا وحافظت على روابط عاطفية ومادية متينة مع الوطن الأم"[٣]. واستخدم هذا المصطلح في كثير من الدراسات التاريخية والاقتصادية والانثربولوجية لظاهرة الهجرة الحضرمية وخاصة الهجرة إلى الشرق الأقصى وشرقي أفريقيا.ويرى بعض الباحثين أن دراسة سكان الشرق الأقصى المنحدرين من أصل حضرمي في إطار دراسة الشتات (DISPORA)[٤] يطرح

(١) أوين، روجر، قبور تريم،مجلة شعاع الأمل،العدد السابع والستون، ٢٠٠٧مص١٩

(2) William.g.clarence-smith, op.cit. p18.

(٣) ميولن، دانيال فان در، رحلة في جنوب شبة الجزيرة العربية، ترجمة: الدكتور محمد سعيد القدال،دار جامعة عدن للطباعة والنشر،٢٠٠١م ص٧

(٤) من أهم الدراسات التي تناولت الهجرة الحضرمية من منظور الشتات :
William.g.clarence - smith.op.cit and¤ Farid alatas Hadhramaut and hadhrami dis - pora; problems in theorical history.

عددًا من المشكلات المرتبطة بالتعريف الدقيق لهذا المفهوم والأهداف الحقيقية لتلك الدراسات التي قد تظهرهم اثنيه مميزة يمكن أن تهدم في أحد أبعادها بعض ماحققه المهاجرون الحضارمة من اعتراف كامل بمواطنتهم بفضل اندماجهم التام في المجتمع الإندونيسي الحديث(١).

وقد دشنت جامعة بيرقن بالنرويج عام ١٩٩٦م مشروعًا باسم برنامج المحيط لدراسة الهجرة الحضرمية، ثم تبعتها جامعة استكهولم ولندن، وعقدت لكل واحدة مؤتمرًا في الموضوع نفسه.كما عُقدت ندوات علمية في بطرس جراد وماليزيا. وجذبت ظاهرة الهجرة أنظار الكثير من الباحثين العرب والأجانب مثل كتابات كل من: شكيب أرسلان، وعبدالله البجرة، وأمين السعيد، وفان در ميولن، وسارجنت، وإنجرامس وغيرهم. ويمكن رد أسباب اهتمام مراكز البحوث الغربية والآسيوية بالهجرة الحضرمية إلى الآتي:

١- ارتباط هذه الهجرة بنشر الإسلام في بعض مناطق آسيا وإفريقيا مثل إندونيسيا وسنغافورا والفلبين وكينيا وجزر القمر وحيدرآباد،وارتباط مقاومة الجزء الكبير من أبناء هذه المناطق للاستعمار بالإسلام وربط الغرب كما هو حال هولندا والبرتغال وبريطانيا بين المقاومة والإسلام، والمهاجرين العرب وخاصة الحضارمة.

٢- تأسيس بعض المهاجرين مراكز نفوذ اقتصادي وتجاري كبيرة في بلدان المهجر، وهذا هو حال البعض من مهاجري حضرموت في إندونيسيا وسنغافورا والمملكة العربية السعودية؛ فقد برز في تلك

(١) عمشوش، مسعود،الحضارمة في الأرخبيل الهندي،دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن٢٠٠٦م، ص٤٣.

الدول أثرياء كبار مثل آل الكاف وآل السقاف وآل العطاس وباعبيد في إندونيسيا وسنغافورا. وابن لادن وابن محفوظ وبقشان وباخشب والعمودي وغيرهم في المملكة السعودية. والقعيطي والكثيري في حيدر آباد بالهند، وغيرت بعض العائلات الثرية الخريطة السياسية في حضرموت في النصف الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي .

٣- تأسيس سلطنات في بعض جزر الشرق الأقصى وبعض أقاليم الهند وشرق إفريقيا

٤- حدوث اندماج وذوبان لجيل أحفاد المهاجرين في بلدان الهجرة مع استمرار بعض جوانب العلاقات الوجدانية بين الأحفاد ووطن الأجداد[١].

ويدفعنا هذا المدخل الموجز لوضع التساؤلات الآتية : كيف دخل المهاجرون الحضارمة إلى جزائر الهند الشرقية الهولندية (اندونيسيا)؟وماذا قدموا لها؟ وماذا قدمت لهم؟ وكيف هي علاقاتهم مع السكان المحليين والمستعمرين الهولنديين،وذلك خلال المدة التي تبلورت وتكثفت فيها هذه الهجرة من مستهل القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين؟

الهجرة الحضرمية إلى إندونيسيا ومؤثراتها :

لايسعى هذا البحث في دراسة تاريخ ظهور وانتشار الإسلام في إندونيسيا وجزائر جنوب شرقي آسيا، فهناك العديد من الدراسات تناولت هذا الجانب. ولعله من المفيد الإشارة فقط إلى أن الروايات تعددت

(١) باصرة، صالح علي، دراسات في تاريخ حضرموت الحديث والمعاصر،ط٢،دار جامعة عدن للطباعة والنشر،٢٠٠١م ص٨٦-٨٧.

وتضاربت في تحديد متى وكيف دخل الإسلام إندونيسيا، فيرى بعض الكتاب الأوربيين أن الإسلام دخل إندونيسيا عن طريق الهند، ورفضوا قبول ما هو شائع من دور العرب في نشر الإسلام في إندونيسيا، وعزوا ذلك إلى الهنود[١] أما المستعرب الهولندي فان دن بيرخ فيميل إلى الرواية المغايرة وقال إن البحارة والتجار العرب هم الذين أدخلوا الدين الإسلامي إلى اتشي وبالمبنج أولاً، ثم في القرن الثالث عشر الميلادي إلى جزيرة جاوا[٢].

ولا يعرف على وجه التحديد بداية الهجرة الحضرمية إلى جزائر الهند الشرقية، ولكن المحقق أنهم وصلوها بصورة واضحة في أواخر القرن الثامن الميلادي[٣] ويذكر باكثير أن الحضارمة اتخذوا هذه الجزر مهاجر منذ عهد بعيد ونشروا هناك أو ساعدوا على نشر الإسلام [٤]، ويتفق الباحثون على أن هجرة الحضارمة في التاريخ الحديث إلى جاوا وماجاورها كسومطرة وسليب والملايو بدأت في القرن الثامن عشر الميلادي وأتوها عبر المحيط الهندي في مراكبهم الشراعية من شواطئ

(١) القادري، حامد، كفاح أبناء العرب ضد الاستعمار الهولندي في اندونيسيا، ترجمة: زكي باسليمان، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن، ١٩٩٨م. ص٢٤.
(٢) عمشوش، المصدر السابق، ص٦٨
(٣) البكري، صلاح، تاريخ حضرموت السياسي، ج٢، ص٢٤٠، ويذكر علوي بن طاهر الحدادان المسلمين وصلوا اندونيسيا في أواخر القرن السابع الميلادي في عهد الخليفة عثمان بن عفإن. ينظر : المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جدة، بدون تاريخ، ص١١٦
(٤) (٢٢) باكثير، علي أحمد،همام أو في بلاد الأحقاف، منشورات مؤسسة الصبان، عدن، ١٩٦٢م،ص١٣.

البحر العربي[١] وقسم من هؤلاء قدموا إليها من الهند وهم أحفاد المهاجرين الأوائل. ومعروف أن الهند تعد إحدى محطات الهجرة العربية القديمة ومنطقة عبور إلى الجزر الإندونيسية. وقد نجحت بعض الشخصيات الحضرمية الطموحة في تأسيس سلطنات مستقلة في جزيرة جاوا مثل: سلطنة سياك وسلطنة بونتياك وسلطنة اتشي[٢].

وقد سهلت الملاحة البحرية بوساطة البخار خلال النصف الأخير من القرن التاسع عشر عملية التواصل بين موانئ الجزيرة العربية وجزائر الهند الشرقية، وأخذ عدد المهاجرين الحضارمة في ازدياد[٣]. وقد أدخلهم هذا التطور العلمي في عصر جديد تقربت بموجبه الجغرافيا وأفرز ملابسات وتحديات جديدة.

حَمَل المهاجر الحضرمي معه نظمه الاجتماعية السائدة المتوارثة، ففي حضرموت كان السكان منقسمين إلى تراتبيات تتحرك أفقيًا في سلم اجتماعي معين- وإن اتفقوا في بعض مظاهر الحياة وسبل كسب العيش-. وهذا الانقسام قام على أساس عامل الدور والوظيفة الاجتماعية لهذه الشرائح، وعلى هذا الأساس ترتب السكان إلى شرائح وفئات على النحو الآتي: السادة، المشايخ، القبائل، الفئات الأخرى(فلاحين - حرفيين - عبيد - أخدام)[٤]، قد عزز مكانة السادة انتسابهم إلى الرسول محمد ﷺ.

---

(١) باصرة، صالح علي، المصدر السابق، ص٩٠

(٢) السقاف، جعفر محمد، المغتربون اليمنيون الحضارمة، من أدبيات ندوة "المغتربون الرافد الأساسي للتنمية، صنعاء ١٩٩٩م، ص٦٠. وميولن، فان در، حضرموت إزاحة النقاب، المصدر السابق، ص١٣

(٣) د. عمشوش، المصدر السابق، ص٦٩

(٤) بامطرف، محمد عبد القادر، المعلم عبد الحق، ط٢، دار الهمداني، عدن، =

ومن الظواهر البارزة في الهجرة الحضرمية أن السادة العلويين - كما يطلق عليهم في حضرموت - هم أكثر الشرائح هجرة وانتشارًا [١]، وساعدتهم مكانتهم وعلمهم في الإثراء في يسر أكثر من الفئات الأخرى من المهاجرين من غير السادة [٢]، وأول نقطة لهجرة السادة في القرون الإسلامية الوسيطة هي الهند، ولكن أكبر هجرة وأهمهالهم كانت إلى جاوا وسومطرة والملايو وآتشي، وقد وصلوا إليها قبل وصول الهولنديين، وحرص السادة أن ينشروا المذهب الشافعي في كل منطقة يقيمون فيها، ونشروا كتبهم ونقلوا بعض عاداتهم في الأذكار كراتب الحداد المشهور[٣].

وقد مهد السادة بجدهم، وتقبل السكان المحليين لهم، الطريق للحضارم المهاجرين في دور سماه مؤرخ حضرمي "التجاري"تمييزًا له

= ١٩٨٥م،ص١٩٥. الجعيدي، عبدالله سعيد، الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية في حضرموت، ١٩١٨-١٩٤٥م، دار الثقافة العربية للنشر الشارقة، ٢٠٠١م ص٢٥

(١) بامطرف، محمد عبدالقادر،الهجرة اليمنية،ص٩٦

(٢) القدال، محمد سعيد، والقعيطي، عبد العزيز علي، السلطان علي بن صلاح القعيطي ١٨٩٨-١٩٤٨م ونصف قرن من الصراع السياسي في حضرموت،دار جامعة عدن للطباعة والنشرو ١٩٩٩م،ص٢٧

(٣) (٢٩) سارجنت، آر.بي، حول مصادر التاريخ الحضرمي، ترجمة: د. سعيد عبد الخير النوبان، مطبعة الكويت، بدون تاريخ، ص١١٧. وتنسب هذه الأذكار أو ما يعرف في حضرموت براتب الحداد، إلى الصوفي الحضرمي عبدالله بن علوي الحداد (١٦٧٤-١٧١٩م) وهي أذكار وأدعية تردد بعد الصلاة، ولا تزال إلى الآن يعمل بها في بعض مساجد حضرموت.

عن دور الدعاة السابق [١]، والدور الأخير لم يختص به السادة العلويون بل شاركهم جميع الفئات الحضرمية الذين استطاعوا بما أوتوا من صبر وهمة عالية وأمانة في المعاملة أن يشقوا طريقًا لهم في تلك البلاد النائية والغنية[٢]. وقد تحسن الوضع المادي لهذه الفئات الذين ينتمون في مجملهم لمشايخ حضرموت وقبائلها. ووجدوا في هذه المستعمرات الهولندية مناخًا وبيئة تختلف عن موطنهم،وأعطاهم ذلك إحساسًا متناميًا بالندية مع السادة [٣]. وتطور ذلك في بداية القرن الماضي إلى خلاف مرير ستتم الإشارة إليه.

إن الهجرة الحضرمية صناعة وطنية حقيقية؛ لأنها تحرك أكثر من ٢٥٪من السكان، والقسم الأكبر يتجه إلى جزائر الهند الشرقية [٤]، وقد ازداد عدد المهاجرين الحضارمة في الجزر الإندونيسية بسهولة المواصلات وازدياد مواليدهم.فمعروف أن الحضارمة لا يصطحبون زوجاتهم في مهاجرهم، ولأنهم يقضون الجزء الأكبر من حياتهم في مهاجرهم فقد تزوجوا من النساء المحليات، وهكذا ظهرت في جاوا ما يسمى بالمولدين أو الحضارمة المهجنين[٥]، وتدلنا الإحصاءات الرسمية

(١) الحامد، صالح بن علي، رحلة جاوا الجميلة وقصة دخول الإسلام إلى شرق آسيا، مركز عبادي للدراسات والنشر،صنعاء، ٢٠٠٢م، ص٣٨

(٢) البكري، صلاح، المصدر السابق،ص٢٤١

(٣) القدال،محمد سعيد،والقعيطي عبد العزيز، المصدر السابق،ص٢٧

(٤) الحبشي، محمد عمر، اليمن الجنوبي سياسيا واقتصاديا، ترجمة: إلياس فرح-خليل أحمد خليل، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٦م،ص٥٢٧

(٥) رودينوف، م.أ، عادات وتقاليد حضرموت الغربية (العام والمحلي في الثقافة السلالية) ترجمة: د. علي صالح الخلاقي، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ٢٠٠٣م، ص٣٤.

الآتية على تنامي أعدادهم باضطراد: ففي سنة ١٨٥٩م كان عددهم في جاوا ومادورا (٤٩٩٢) وفي سنة ١٨٧٠م (٧٤٩٥) وفي سنة ١٨٨٥م (١٠٨٨٨) وسنة ١٩٠٥م (١٩١٤٨) وسنة ١٩٢٠م (٢٧٨٠٦) وفي الجزائر الإندونيسية الأخرى بلغ عددهم سنة ١٩٢٠م (١٧١١٥)[١] وأضاف إلى هذه القائمة المستعرب الهولندي فان دربيرخ عدد المواليد الحضارمة من أبناء المهاجرين في حضرموت وإندونيسيا على النحو الإجمالي الآتي: سنة ١٨٥٩م كان عددهم (٢٧٧٦)، وفي سنة ١٨٧٠م وصل عددهم إلى (٤٩١٧)، وفي سنة ١٨٨٥ ازداد عددهم إلى (٩٦١٣) نسمة[٢].

ولمعرفة حجم الهجرة الحضرمية إلى إندونيسيا ومقارنتها مع مناطق المهاجر الأخرى يمكن أن نستعين بالإحصاءات التي تعود إلى سنة ١٩٣٥م وهي على النحو الآتي:

إندونيسيا والملايو	٧٤٣٣٥
الهند	١٣٠٠٠
شرق إفريقيا (زنجبار - كينيا - تنجانيقا)	١٢٠٠٠
الصومال والحبشة	٢٠٠٠
السودان ومصر	٧٦٨
المجموع	١٠٢١٠٣[٣]

ويقارب مجموع المهاجرين الحضارمة نصفسكان الإقليم لهذا ليس غريبًا أن توصف حضرموت بأرض المهاجرين.كما نستفيد من هذا

(١) البكري، صلاح، المصدر السابق، ص٢٤١
(٢) عمشوش، المصدر السابق، ص ٧٠
(٣) بامطرف، محمد عبدالقادر، الهجرة اليمنية، ص٩٤.

الإحصاء المقارن أن إندونيسيا والملايو احتضنت ما يقارب ٧٠٪ من مجموع المهاجرين. ولعل التساؤل الذي يطرح نفسه لماذا هذه الهجرة المكثفة إلى إندونيسيا ؟ سنترك الإجابة إلى مؤرخ حضرمي معاصر زار جاوا ثلاث مرات في سنوات : ١٩٢١م- ١٩٢٧م١٩٣٥م حيث قال" كان مركز جاوا الممتاز وما آتاه الله من جمال الطبيعة وغزارة الأمطار وطيب الهواء وكثرة الحاصلات مدعاة لهجرة شتى الجاليات إليها على العموم،ولما تحلى به أهلها من حسن الأخلاق والوداعة واللين والإحسان إلى الأضياف وإكرامهم العرب وتبجيلهم بوصفهم الواسطة بينهم وبين هذا الدين الحنيف،كان ذلك أكبر جاذب لهجرة العرب إليها "[1].

وحتى العقد الثالث من القرن الماضي عدَّ المهاجرون الحضارمة إندونيسيا وطنهم الثاني، على أنه من المهم التمييز الحذر بين المهاجرين الجدد وجيل المولدين من حيث رصد درجة الانتماء لوطن الأجداد، وهي قضية سنتناولها لاحقًا، وما تجدر الإشارة إليه أن خط الاتصال بين المهاجرين والوطن ظل ممدودًا بوتائر متفاوتة، وجاء ذلك عبر الرسائل والحوالات المالية التي تبعث لذويهم.وعن طريق حركة الذهاب والإياب عبر الخطوط الملاحية الحديثة شبه المنتظمة التي لم تعد محكومة فقط باتجاه الرياح عبر السفن الشراعية وخاصة بعد فتح قناة السويس ١٨٦٩م، وتتجلى تلك الحركة أكثر في المهاجرين غير المولدين.

ويذكر الرحالة الهولندي (فان در ميولن) الذي زار حضرموت سنة ١٩٣١م أن ضابط الجوازات أخبره أن حوالي ٢٠٠٠حضرمي يرجعون من

(١) الحامد، صالح بن علي، المصدر السابق، ص٣٩.

جاوا كل عام، وعندما كان في المكلا شاهد سفينة هولندية ضخمة تحمل ١٥٠ حضرميًا قدموا من جاوا[١]، ويأتي إلى حضرموت في العادة من حقق نجاحًا معقولًا، والكثير من هؤلاء يعودون بعد زيارة ذويهم إلى أعمالهم، أما الميسورون المستقرون فيبعثون بأبنائهم المولدين إلى حضرموت لفترة خمس أو ست سنوات لتعزيز ارتباطهم بأسرهم ولغتهم وتقاليدهم [٢].

ويقدر التجار المحليون، بصورة تحفظية تحاويل المهاجرين من النقود قبل الحرب العالمية الثانية بسبعين ألف جنيه من إندونيسيا والملايو فقط[٣]، ولاشك أن هذا المبلغ الضخم يدخل بشكل أو بآخر في نسيج الاقتصاد الحضرمي وجزء منه يتسرب إلى مجالات غير ضرورية، ولا تدخل في مجالات ذات أبعاد اقتصادية واجتماعية نافعة، بعيدة المدى، ولامجال هنا لذكر الأسباب.وحول هذه المسألةوجه بامطرف نقدًا لاذعًا للمهاجرين الحضارمة حيث قال: "لقد طفق المهاجر الحضرمي في غدوّه ورواحه بين وطنه والمهجر يرفع تدريجيًا من مستوى معيشته، ويعقد أكثر وأكثر استهلاكاته المنزلية والشخصية، ولكنه لم يحاول إلا في حدود ضيقة لاتكاد تذكر لتعمير أرضه ليجعل منها مصدر رزق لنفسه أوفر مما كانت عليه لآبائه وأجداده. والواقع أن كل ما استطاع عمله في أحسن حالاته أن جعل بلاده تنطق بخيرات المهاجر في المسكن والمطعم والملبس فخلق بقصد أو بدون قصد هوة سحيقة بين حضرموت الحقيقية وحضرموت الاصطناع"[٤].

---

(١) ميولن، فان در، حضرموت إزاحة النقاب، ص ص ٥٠-٣٥

(٢) إنجرامس، المصدر السابق، ص١٦٤

(٣) بامطرف، محمد عبدالقادر، الهجرة اليمنية، ص ٩٤

(٤) المصدر نفسه، ص ٨٣.

لقد قدمت إندونيسيا فرصة العمل وكسب العيش والثراء لكثير من الحضارمة، ومن جانب آخر أسهم الأثرياء الحضارمة في نمو حركة الانتعاش الاقتصادي والتجاري والعمراني في إندونيسيا، وساهم العلماء والدعاة الحضارمة في الحفاظ على الهوية الإسلامية الإندونيسية بنكهة حضرمية صوفية. وبعيدًا عن منطق المكسب والخسارة، فإن إندونيسيا بلا شك أعطت الحضارمة الشيء الكثير. ولكن كيف هي علاقة المهاجرين بالسكان الأصليين؟ والى أي مدى وفقوا في مواجهة تحديات الاندماج والحفاظ على الهوية؟

عندما نتحدث عن المهاجرين الحضارمة في إندونيسيا، ونحاول تناول حياتهم المعيشية وعلاقاتهم المتوازنة بكل المكونات التي حولهم،لابد أن نتفهم قضية في غاية الأهمية وهي: أن المجتمع الحضرمي المهجري يتكون في ذاته من ثلاثة أجيال متعايشة في وقت واحد، وهذا الوضع نتاج طبيعي لديمومة حركة الهجرة، الجيل الأول هم الذين ينتمون إلى أب وأم كلاهما مولود في إندونيسيا، وهم الموالدة ويلقبون في الأوساط الحضرمية (مجلد)، والجيل الثاني ينتمون إلى أب من مواليد حضرموت وأم ولدت في إندونيسيا، وهم أيضًا موالدة ويلقبون (ابن طرف) تمييزا لهم عن الصنف الأول، والجيل الثالث المهاجرون الجدد وهؤلاء ولدوا وترعرعوا في حضرموت ويلقبون (ولايتي) وهم العرب الأصلاء.

وعلى الرغم من التجانس الظاهري العام الذي قد يبدو فيما بينهم بوصفهم ينتمون إلى أصول واحدة،فإنهم يمثلون عقولًا وثقافات متباينة.على أن هناك فاصلًا رقيقًا بين جيلي الموالدة الأول والثاني، ويصنفون في خانة واحدة (الموالدة)، ونستبعد من هذا التقسيم قدامى

المهاجرين الذين حسموا قضية أنصهارهم الكامل في المجتمع الإندونيسي.

كان المهاجرون الأصلاء يدركون أكثر من الموالدة الأهمية الاقتصادية للجزر التي هاجروا إليها، وأكثر حرصًا على الاستفادة منها وجمع المال؛ لأنهم قدموا من بيئة تعاني الجفاف والفقر[١]. وغذّت ثقافة الهجرة هذا الجانب فيقال في حضرموت : (السواحل والكروش) و(الهند والناموس) (وجاوا والفلوس)، ويقصد بالأولى أن الهجرة إلى السواحل الشرقية الإفريقية تعني وفرة الغذاء وانتفاخ البطون. والناموس المكانة والشرف بوصفهم يخدمون جنودًا في قوات الإمارات الإسلامية في الهند. أما الفلوس في جاوا فهي للحالمين بالثراء، ومعظم الأثرياء الحضارمة برزوا في جزر الهند الشرقية. ولا شك أن الثقافة الشعبية والمأثور يُعَدَّان انعكاسًا لتراكم الذاكرة الجمعية وتعبيرًا مباشرًا عن المكونات النفسية للمجتمع.

ويعبر المهاجرون الجدد عن ثقافة حضرموت الحقيقية،ويعد رجال العلم منهم استمرارًا للرسالة الإسلامية الثقافية للجزيرة العربية عبر الخط الحضرمي، ويغذي هؤلاء إندونيسيا بدماء متجددة تتغلغل في نسيج المجتمع الجديد. ويسند أصحاب العمل لهؤلاء المهام التي تتطلب الثقة والصبر.ولأن المهاجرين الجدد يمثلون معظم التراتبيات الاجتماعية في حضرموت فيظهر من بعضهم ما يعكس صورة مغايرة سلبية.وغالبًا ما يقع الكثير من هؤلاء على حافة الاندماج.ويمكثون سنين عديدة يبحثون عن

(١) مسعود، عمشوش، المصدر السابق، ص٨٣. وميولن، فان در، حضرموت إزاحة، ص١٥.

النجاح وهم مرشحون أكثر من غيرهم للعودة إلى الوطن، ومن يساعده الحظ يفضل البقاء وتظل مشاعر الوطن القوية في داخله مزيجًامن ذكريات الفاقة والحرمان المريرة، وذكريات الصبا والشباب الحلوة[١]. ويذكر إنجرامس أنه لا يوجد بين العرب الذين ولدوا في حضرموت من قطع ارتباطه بها،ولأغلبهم أمنية واحدة أن يقضوا آخر أيام حياتهم في حضرموت[٢].

أما جيل الموالدة من خط الآباء الأصلاء (الولايتية) فيمكن القول إنهم يعيشون فترة انتقال أو تجاذب ثقافي بين ثقافة الأب وثقافة الأم التي قد تكون إندونيسية أو عربية من الموالدة تجهل اللغة العربية إلا ما له علاقة قريبة بالشعائر الدينية، ولأن لغة التخاطب في المنزل هي اللغة الإندونيسية أو الملايوية فإن الكفة غالبًا ما تكون لصالح ثقافة المهجر. ومن نتائج عدم وجود الزوجات الحضرميات الأصيلات أن تتشابه الحياة العائلية للأزواج العرب مع عائلات السكان المحليين من حيث البساطة في السكن ونوعية الطعام[٣]. ولاشك أن رابطة العقيدة الإسلامية التي تربط بين الإندونيسيين والمهاجرين الحضارمة تمثل عامل دعم قوي لمزيد من التقارب والتصاهر والاندماج، كما أن ضخامة التنوع الثقافي والاثني الإندونيسي يجعل عملية الامتصاص التدريجي للمهاجرين أمراً مَمكنًا، والهجرة المتجددة تجعل هذا الامتصاص والتأثير والتأثر عملية مستمرة.

وجيل الموالدة الأول أقرب ما يكون مرشحًا للذهاب إلى وطن الآباء

(١) بامطرف، محمد عبد القادر، الهجرة اليمنية، ص٨١
(٢) إنجرامس، المصدر السابق، ص١٦٤
(٣) عمشوش، المصدر السابق، ص١٣٥.

لاكتساب اللغة والتقاليد.ولكن السنين القليلة التي يقضيها المولد في حضرموت لا تكفي لتحويلهم إلى عرب حقيقيين،فعند عودتهم يستخدمون اللغة الإندونيسية في حياتهم اليومية بشكل تلقائي ويبحثون عن أصدقاء الطفولة، ويأنفون معاشرة العرب القادمين من حضرموت[١]. وربما رسموا صورة قاتمة عن حضرموت القاحلة.

ويدرك الآباء أن أبناءهم متأثرون بطباع السكان المحليين أكثر من تأثرهم بالعرب، وأنهم سينصهرون في البيئة المحيطة. وأمام هذا الميل الحتمي للاندماج يفضل العرب الحضارمة تزويج بناتهم من رجال حضرموت حتى وإن كانوا فقراء [٢]. وفي اعتقادنا أن محاولات الآباء (الولايتية) المكثفة لاكتساب أبنائهم الموالدة ثقافة الوطن ينبع من أن الوطن أكثر حضورًا عندهم من الآخرين.

أما الموالدة أبناء الموالدة (مجلد) ففيهم تتأصل الشخصية الإندونيسية شكلًا وثقافة، ويعبرون بوضوح عن سلاسة الاندماج الحضرمي. وما يربطهم بالعروبة أسماء عوائلهم التي تمثل وقتئذ علامة شرف محترمة ومقبولة عند الإندونيسيين. بل يتفاخر الإندونيسيون بالتصاهر مع العرب خاصة السادة بوصف هؤلاء جميعًا أحفاد الناشرين للإسلام في إندونيسيا.وتفضل الأسر العليا والحاكمة التصاهر فقط مع أبناء السادة يعزز ذلك النسب النبوي الشريف. ومكنت هذه الزيجات من وصول بعض أسر السادة إلى مراكز الحكم بل تأسيس السلطنات المستقلة[٣].

---

(١) المصدر نفسه،ص١٦٠

(٢) المصدر نفسه،ص١٧٢

(٣) الحداد،علوي بن طاهر،المصدر السابق،ص١٣٥.

وباستثناء الأسر المشهورة يلاحظ أن قسمًا كبيرًا من أحفاد المهاجرين فقدوا روابطهم الأصلية مع وطنهم الأم، وفقدوا لغتهم العربية، بل إن منهم من لا يهمه إلا أن يكون إندونيسيًا اسمًا وجسمًا وثقافة [١]، ولكن هذا لا يمثل قاعدة محكمة ويختلف باختلاف المستوطنات العربية والمراتب الاجتماعية للمهاجرين. فقد لاحظ فان در بيرخ أن في سرابايا يحتفظ الموالدة بسماتهم القومية لفترة طويلة، وأن أبناء العائلات الميسورة يتكلمون اللغة العربية ويفتخرون بكونهم لم يصبحوا بعد محليين [٢]. وعلى النقيض من ذلك نجد أن أحفاد المهاجرين العرب الذين قدموا من الهند فقدوا هويتهم وتسموا بأسماء إندونيسية[٣]، وبعض المولدين استطاع أن يطور لغته العربية دون أن يغادر إندونيسيا وذلك بواسطة الدراسة والمحادثة مع الحضارمة إلا أن جميع تلك الحالات استثنائية ونادرة،وتؤكد حقيقة أن المولدين بشكل عام يميلون إلى جهة أمهم أي إلى جهة السكان المحليين[٤].

تجدر الإشارة إلى أن بعض الذين فقدوا هويتهم غلبت عليهم الاعتبارات السياسية وخاصة أولئك الذين اعتلوا المناصب الكبرى وصاروا أمراء وسلاطين، فطغى شرف المنصب الجديد على شرف العائلة القديم.أو أولئك الذين ليس لديهم إلا الشيء اليسير من الثقافة، وليس لديهم نسب يعتُّدون به ويدافعون عنه[٥].

---

(١) بامطرف، محمد عبدالقادر،الهجرة اليمنية،ص٦٩

(٢) عمشوش،المصدر السابق،ص٧٨

(٣) المصدر نفسه،ص١٦١-١٦٢

(٤) القادري، حامد،المصدر السابق،ص٣١

(٥) عمشوش،المصدر السابق، ص١٧.

إن الاندماج عملية ثنائية شبه مشتركة من حيث ملاحظة مدى تقبل الطرف المستقبل للطرف الوافد، واستعداده لاستيعابه، كما أن مسألة الاندماج بشكل عام ليس نتاجًا لقرارات شخصية آنية، بل عملية متدرجة تدخل فيها الكثير من الاعتبارات. ويمكن أن نلخص أهم العوامل التي ساعدت على الاندماج الطبيعي المتوازن للمهاجرين الحضارمة في المجتمع الإندونيسي في الآتي :

١) وحدة العقيدة الإسلامية،وما تفرضه من قيم تشجع على التآخي بين المسلمين وتفهم الاندونيسيين لذلك، والسمعة الطيبة للحضارم بوصفهم حاملين لغة الدين المشترك.

٢) ظلت علاقة الموالدة بأرض أجدادهم ضعيفة لأسباب منها : عدم وجود علاقات أسرية أو وجدانية بين أمهات الموالدة ووطنهم، وهذا من سلبيات الزواج بغير العربيات الأصيلات.وعزز من ذلك بعد المسافة بين حضرموت والجزر الإندونيسية وكلفة الرحلة.

٣) كما أن أوضاع حضرموت الاجتماعية المتردية وشيوع الفوضى القبلية لاتشجع من يرغب في استثمار أمواله والاستقرار في الوطن،هذا فضلًا عن مستوى الحياة المعيشية الأرقى في إندونيسيا مقارنة بحضرموت.

إن ثقافة الهجرة المتأصلة في الوجدان الحضرمي تدفع الحضرمي إلى التثاقف مع الآخر، وربما الانصهار في بوتقته. لقد كان للعرب مكان ومكانة لا يستهان بها في المجتمع الإندونيسي أكبر من علاقتهم بالوطن، ولكن الترابط والاندماج العربي بشكله الإيجابي لم يقدر له أخذ مداه الطبيعي المتوازن؛لأن السلطة العليا في هذا المجتمع للمستعمرين

الهولنديين الذين أصبح لهم مع تطور هذه العلاقات رأي آخر. فما هو موقف المستعمرين الهولنديين من الهجرة الحضرمية ؟

بالنسبة إلى الموقف الهولندي من الإسلام الذي يمثله العرب حسب فهمهم فكان خليطًا من التناقضات من بين الخوف والرجاء؛ وذلك لقلة معرفتهم بالإسلام[١]. فبداية لم تعر السلطات الهولندية أي اهتمام يذكر بالأقليات الموجودة بالأرخبيل الإندونيسي من عرب وصينيين وهنود ويابانيين وغيرهم، وكان يطلق على الجميع الأجانب الشرقيون، وكان هؤلاء يعيشون في أحياء أو مستوطنات تحت سلطة قادتهم المباشرين، وكانت السلطة الهولندية متساهلة في دخول المهاجرين الجدد[٢].

وبعد ازدياد موقع العرب الحضارمة في الأوساط الاجتماعية والحاكمة المحلية، وتنامي مركزهم التجاري والمالي ثم دعم ومشاركة بعض العرب للحركات الوطنية المناهضة للاستعمار الهولندي، وعرقلتهم لحملات التبشير المسيحي كل ذلك خلق لدى الهولنديين (الفزع العربي)حسب تعبير مؤرخ إندونيسي من أصل عربي[٣]، ودفع إلى تغيير سياستهم تجاه المهاجرين الحضارمة.

كانت الخطوة الأولى علمية استطلاعية، فقد كلف الحاكم الهولندي العام لجزر الهند الشرقية المستعرب الهولندي (فان دن بيرخ) بإعداد دراسة مفصلة عن العرب المقيمين في الأرخبيل الإندونيسي. وبعد دراسة

---

(١) القادري، حامد، المصدر السابق، ص٢٥

(2) Huub de jonge. Dutch colonial policy pertaining to hadhrami immigrants op.cit. p96.

(٣) القادري، حامد، المصدر السابق، ص ٦٣.

ميدانية للأحياء الحضرمية نشر عام ١٨٨٦م نتائج دراسته باللغة الفرنسية!في كتاب أسماه"حضرموت والمستعمرات الهولندية في الأرخبيل الاندونيسي"[١]، وهو أول كتاب وأطوله عن العرب هناك. وحمل في ثناياه أبعادًا سياسية هدفت إلى مساعدة السلطة الهولندية في معرفة البناء الاجتماعي والاقتصادي والخلفية الثقافية للمهاجرين الحضارمة. وهو كتاب وثائقي مهم أظهر فيه المؤلف العلاقة الوثيقة بين العرب والسكان الأصليين، وخرج باستنتاجات تقلل من درجة الخوف تجاه العرب،وطبعًا لم يخف نزعته الاستعمارية عندما تعمد تشويه صورة العرب، وتكلم عن وقاحة العربي وخشونته التي جلبها معه من الصحراء.

لم تنل استنتاجاته بخصوص العلاقات الإندونيسية العربية قبول الساسة الهولنديين المحافظين، وفي مقدمة هؤلاء المستشرق الهولندي الشهير(سنوك هورخروني) المستشار في مكتب المستعمرات في بتافيا، الذي يعد المخطط للسياسة الهولندية الرامية للضغط على العرب وإضعافهم، ومحاولات القضاء على قوة الإسلام في إندونيسيا.وكان إسلامه وتزوجه من امرأة مسلمة وأداؤه لفريضة الحج يدخل في باب معرفة الآخر عن كثب[٢].

(١) ترجم هذا الكتاب مؤخرا الدكتور مسعود عمشوش،ضمن أبحاث نشرها في نفس الكتاب تتناول الهجرة الحضرمية بعنوان" الحضارمة في الأرخبيل الهندي، وصدر عن دار جامعة عدن ٢٠٠٦م

(٢) في عام ١٩٣١م وتعزيزا لهذه المعرفة أرسل سنوك السياسي المستشرق الهولندي (فان دن ميولن) إلى حضرموت لدراسة الأرض التي انحدر منها المهاجرون العرب الحضارمة ونشرت تفاصيل الرحلة غي كتاب "حضرموت إزاحة النقاب عن بعض غموضها"وقام بزيارة حضرموت في عامي ١٩٣٩م-١٩٤٥م ونشر أيضا كتابين عن هاتين الزيارتين.

قدم سنوك مقترحات ونصائح سرية لحكومته - كشفت مؤخرًا- للحد من الهجرة العربية، وخلاصة هذه المقترحات التي تكشف جانبًا من السياسة والموقف الهولندي من الهجرة الحضرمية فقال : " إنه على الحكومة الهولندية معالجة أمر العرب وأبنائهم الذين هم في نظر هولندا محرّضي الأئمة وعلماء الدين والشعب الإندونيسي يشكلون خطرًا على هولندا إذا ما استقر بهم المقام في إندونيسيا وأقترح الآتي:

١) إعاقة هجرتهم إلى إندونيسيا بشتى الوسائل، وعرقلة إجراءات من يصل منهم
٢) تعقيد إجراءات الإقامة.
٣) إجبار المقيم على الحصول على إذن مسبق عند مغادرته المدينة التي يسكن فيها إلى مدينة أخرى، بل من جزء إلى جزء آخر من المدينة نفسها " [١].

وتوضح رسالة أخرى من سنوك وجهها من بتافيا إلى الحاكم العام الهولندي بتاريخ ٢٢/ ١٢/ ١٩٠٢م، كيف كان ينظر الساسة الهولنديون إلى الحضارمة ومدى معاناتهم من جراء هذه السياسة، ومما جاء في هذه الرسالة: "إن وجود الحضارمة في هذه البلاد لايفيد الشعب والبلاد،بل من الناحية السياسية يجلب الخسارة دائمًا،وإنهم سيشكلون خطرًا إذا ما ألغي قانون أماكن إقامتهم وحرية تنقلهم، وإذا فتحت جزيرة جاوا لهؤلاء سيصبح عددهم بدل الآلاف عشرات الآلاف"[٢].

---

(١) القادري، حامد، المصدر السابق، ص ١٠٠

(٢) نفسه، ١٠١. ويبين نص نسبه احد الكتاب الحضارمة المعاصرين للمستشرق (المسلم) سنوك ان النظرة له كانت إيجابية، ويفيد أيضا في إظهار معاناة =

لقيت هذه النصائح والمقترحات آذانًا صاغية لدى الحكومة الهولندية واتخذت لها مكانًا في التطبيق العملي.وتزامنت الإجراءات القوية ضد الحضارمة مع استمرار الثورة في جزيرة آتشه التي استمرت من ١٨٧٣م-١٩٠٣م، التي قادها مجموعة من العرب أشهرهم الحبيب عبد الرحمن الزاهر(١).

وعكست الصحافة الهولندية جانبًا من هذه السياسة المعادية للعرب فجاء في إحدى المقالات : "أن العرب يعكرون صفو الأمن، ويسببون القلاقل لذا فهم أعداء الحكومة والشعب . . . لذا فإن الإجراءات الحازمة تجاه العرب لايجب تأجيلها "ومنذ سنة١٩١٦م بدأت الحكومة الهولندية تخفف من سياسة العزل العنصري. وبعد الحرب العالمية الأولى مباشرة رفعت قيود الحركة وأصبح بالإمكان الانتقال في كل أجزاء الهند الهولندية(٢).

= المهاجرين من جراء السياسة الهولندية يقول سنوك" . . . .لكن بعد أن سمحت لهم بالإقامة جعلت تراقب تحركاتهم بصورة لاتطاق،وربما كان لسياسة المأمورين التي تختلف أنظار بعضهم عن بعض في الشدة وعدمها مدخل في تشديد هذا الخناق على الحضارمة،بحيث أصبح العربي لايملك هناك شيئا من الأمان على حاله واستقباله " ينظر :محمد بن عقيل،حضرموت، ضمن مجموعة أبحاث صدرت في بعنوان "حضرموت فصول في التاريخ والثقافة والثروة" جمع مادتها وقدم لها د. محمد أبو بكر حميد،الناشر جمعية أصدقاء علي أحمد باكثير، القاهرة،ص٣٥

(١) القادري، حامد، المصدر السابق، ص٥٨. الحداد،علوي بن طاهر،المصدر السابق، ص١٩٩

(٢) البكري، صلاح،المصدر السابق،ص٢٤٢. وفي حضرموت زاد ضغط الأهالي والمهاجرين من أجل إصدار جوازات سفر حضرمية ولو بختم الحماية البريطانية حسب الوضع السياسي في حضرموت وقتئذ.

ومن جانب آخر حرصت السلطة الهولندية في إندونيسيا على إيجاد شرخ في علاقة العرب الحضارمة بعضهم ببعض وفي علاقتهم مع السكان المحليين، واستمرت تلك السياسة حتى نهاية الحكم الهولندي باحتلال اليابانيين اندونيسيا سنة ١٩٤٢م. وتجسدت تلك السياسة في المقالات التي كتبت في الصحف والمجلات الهولندية التي يقرؤها الطبقة المثقفة من الإندونيسيين. حيث قدمت صورة مشوهة للعرب.بأنهم يستغلون الإندونيسيين بالربا،ويلهثون وراء جمع المال بمختلف السبل. وأظهرت مدى ابتعاد البعض منهم عن التقاليد الإسلامية الشائع أنهم حملتها والناشرون لها [١]، وتعمدت إظهار صورة المهاجر بهيئته وملابسه الوطنية عند قدومه لأول مرة. ثم صوروه وقد انتفخت كرشه وترهل جسمه،ثم وهو يضرب خادمه الإندونيسي[٢]، وتسللت هذه الصورة المشوهة للعرب التي رسمها الهولنديون إلى كثير من الشباب الإندونيسيين المثقفين بالثقافة الإندونيسية ثم تبلورت إلى حالة عداء وازدراء للعرب[٣].

وهكذا نجد أن المهاجرين الحضارمة عانوا من هذه السياسة الهولندية، وظلت شخصية العربي في نظرهم (الوقح والمحرض)، وصنفت قوانينهم العرب ضمن الأجانب الشرقيين. وماهت بين الإسلام والعرب ولم تقبلهم بوصفهم جزءًا من الدائرة الإسلامية الإندونيسية الكبيرة. وفي حقيقة الأمر عزز هذه السياسة ممارسة بعض الحضارمة الربا. بل بعض الدعاة استغل طيبة الأهالي لخدمة أغراضه الشخصية تحت ستار

(١) القادري، حامد، المصدر السابق، ص ٢٠
(٢) الجرو، سالم علي عبدالله، بلاد الأحقاف رموز وكنوز، مكتبة التراث الإسلامي، الرياض، ٢٠٠١،ص٤٣
(٣) القادري، حامد، المصدر السابق، ص١٩.

الدعوة الإسلامية[١]. كما استفاد الهولنديون من التناقضات في نظام التراتب الاجتماعي الحضرمي، واختلافهم على بعض المفاهيم والقيم الحضرمية المنقولة التي حاولت الاستمرار في بيئة مغايرة، وعملوا على تأجيجها.

لقد انقسم الحضارمة على أنفسهم، واشتد بينهم ماعرف في كتب التاريخ بالصراع العلوي الإرشادي، فزاد من اهتزاز صورتهم عند الإندونيسيين. ووضعتهم كل هذه التطورات في مفترق طرق. وطرحت مسألة الهوية والاندماج نفسها بشكل قوي وملح.

الحضارمة في إندونيسيا بين الحفاظ على الهوية وتحديات الاندماج:

في أواخر القرن التاسع عشر وحتى أواخر العقد الثاني من القرن الماضي واجه المهاجرون الحضارمة تحديات عديدة ومتسارعة؛ فقد جاءت السياسة الهولندية بثمارها. وشهدت هذه المدة مؤثرات خارجية تمثلت في حركة الحداثة التي أفرزتها الثورة الصناعية في أوربا، ووصلت تيارات من هذه الحداثة إلى المهاجرين في إندونيسيا عبر مصر خلال الحركة الإصلاحية والتنويرية التي شهدتها وقتئذ. فقد قرأ العديد من المهاجرين المجلات والكتب المصرية التي نشرت وحملت مفاهيم الإسلام الحديثة، وأصبحت شخصيات الإصلاح مثال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا تثير الاهتمام وتبعث الآمال[٢].

وبرزت قيادة جديدة داخل المجتمع المهجري الحضرمي تكون

(١) بامطرف، محمد عبد القادر، المصدر السابق، ص ٦٨

(٢) القادري، حامد، المصدر السابق، ص ١١٧.

أفرادها من التجار الأغنياء وملاك العقارات والضباط الذين تعينهم الإدارة الهولندية للإشراف على شؤون أهل منطقتهم، فبينما كان العديد منهم من السادة فإن الأثرياء من غير السادة شكلوا جانبًا من هذه القيادة الجديدة. فلم يعد المعيار للوضع الاجتماعي النسب الشريف وإنما الثراء والتعليم[١]. وكانت الجالية جزءًا من نظام سياسي متطور،أي الإدارة الاستعمارية الهولندية في إندونيسيا التي كانت تعتبر نظريًا في الأقل كل الحضارمة متساوين[٢].

لابد أن هذه التطورات مجتمعة جعلت المهاجرين يضعون لأنفسهم التساؤلات الآتية : من نحن؟ وما هي الخطوات العملية للتعامل مع هذه المتغيرات؟ وعندما حاولوا التصدي لهذه التساؤلات ومواجهة التحديات ظهر ماعرف بالنهضة الحضرمية التي ارتكزت على تأسيس الجمعيات والتعليم الحديث والصحف.وخلال ثلاثة عقود نشأت عشر هيئات وجمعيات عربية في إندونيسيا وهي :

(جمعية خير ١٩٠٣م)، (الجمعية الخيرية ١٩١٠)، (الجمعية العربية الاسلامية ١٩١٢م)، (جمعية الإصلاح والإرشاد ١٩١٤م)، (الجمعية اليافعية ١٩٢٥م)، (جمعية الرابطة العلوية ١٩٢٨م)، (الوحدة العربية ١٩٢٩م)، (الجمعية الكثيرية الشنفرية ١٩٣١م)، (وحدة مواليد العرب١٩٣٢م أو رابطة عرب إندونيسيا)، (اتحاد عرب إندونيسيا

(1) Natalie mobini-kesheh Islamc modernism in colonial java al-Irshad movement op.cit.p234.

(٢) بوجرا،عبدالله، الصراع السياسي والتراتب الاجتماعي في حضرموت،ضمن إصدارات المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية -سلسلة الدراسات المترجمة٢- اليمن كما يراه الآخر، ١٩٩٧م، ص٤١.

١٩٣٤م)[١]، حملت هذه الجمعيات الهم المهجري الحضرمي العام، والمسالك الخاصة التي تبنتها، ومواقفها تجاه تحديات الأصالة والمعاصرة والهوية والاندماج. والبحث ليس معنيًا بالخوض في تفاصيل هذه الجمعيات وصراعاتها رغم أهمية ذلك.وما سنركزعليه هو الإفرازات والمضامين التي لها علاقة مباشرة بموضوع البحث.

إن التحدي الأهم الذي زلزل المجتمع الحضرمي هو ظهور جمعية الإصلاح والإرشاد، والرابطة العلوية حيث انقسم الحضارمة إلى جناحين كبيرين من حيث قوة التأثير هما :الإرشاديون والعلويون. وكان الباعث إلى هذا الانقسام والتنازع سببًا - كما يبدو - عديم الأهمية وهو حق غير العلوي في الزواج من العلوية.وأفتى السيد العطاس بعدم شرعية هذا الزواج، وأرسلت الفتوى إلى الشيخ محمد رشيد رضا الذي عارض فتوى العطاس. وكان هذا أول أزمة هزت تفكير الحضارمة في الشرق الأقصى، وأدت إلى إدراكهم لقيم حرية التفكير، وروح المساواة المتأصلة في الإسلام [٢]. وانفجرت المعركة عام ١٩١٣م عندما أفتى الشيخ السوركتي بشرعية الزواج[٣]، وأصبح للفتوى صدى كبير في الأوساط الحضرمية المهجرية، بل في حضرموت نفسها، مما أثار حفيظة السادة العلويين وسخطهم. واضطر السوركتي لتقديم استقالته من جمعية خير، ثم أسس

(١) بارجاء،عبد الرحمن عبدالله، الجمعيات والهيئات العربية في اندونيسيا، مخطوط، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، ص ٢

(٢) بوجرا، عبدالله، المصدر السابق ص ٣٠

(٣) البكري،صلاح، المصدر السابق، ص٢٥٦. أبو شوك،أحمد إبراهيم، تاريخ حركة الإصلاح والإرشاد وشيخ الإرشاديين أحمد محمد السوركتي في إندونيسيا، دار الفجر، ماليزيا، ٢٠٠٠م، ص٢٢٦.

جمعية الإصلاح والإرشاد بمساعدة بعض الأثرياء الحضارمة، وفتحت الجمعية مدرسة لها وصحيفة عبرت عن أهدافها[١] وكانت الجالية الحضرمية في إندونيسيا تعيش في حالة توتر قبل وقوع هذه الأحداث التي أدت إلى الصراع المكشوف. فكان الحضارمة من غير السادة يشعرون باستياء من إصرار السادة على المحافظة على مكانتهم الاجتماعية كما هي مقرّة ضمن التركيب الاجتماعي في حضرموت نفسها، ومن هنا فإن الانقسام ظهر في وضع قابل للانقسام[٢].

قال الأديب العربي علي أحمد باكثير عن هذه الجمعية: " . . . لكن جمعية الإرشاد بمبادئها القويمة ومطالبها العادلة، ومناصرة روح العصر لها، وكونها حاجة أتت في حينها تشعر بها نفس كل حضرمي أبصرت عينه النور تغلبت على كل تلك المقاومات وأخذت طريقها في القوة والاتساع "[٣].

تقوم أيديولوجية الإصلاح على أن الإسلام تحول من دين إلى مجموعة من الخرافات والانحرافات. وكانت الدعوة للعودة إلى الكتاب والسنة صدى لحركة الاستنارة المصرية[٤]، ومن أبرز أهدافها :الإصلاح الاجتماعي،و تحقيق مبدأ المساواة بين المسلمين على اختلاف أجناسهم، ورفض الامتيازات الخاصة بالسادة المنقولة من حضرموت كتقبيل اليد وتخصيصهم فقط بلقب سيد قبل أسمائهم[٥].

---

(١) الجعيدي، عبدالله سعيد، المصدر السابق، ١٥٠

(٢) بوجرا، عبدالله، المصدر السابق، ص٢٨

(٣) باكثير، علي أحمد، المصدر السابق، ص١٥

(4) Natalie mobini. Op.cit. p239.

(٥) صلاح البكري، المصدر السابق، ص٢٤٣.

لم يقف العلويون مكتوفي الأيدي أمام الحركة الإرشادية وأسسوا (الرابطة العلوية) التي حددت لنفسها أهدافًا منها : السعي إلى كل مايحصل به تقدم الشعب الحضرمي،أدبيًا وماديًا وتقوية روابط الإخاء بين العلويين خاصة والحضرميين عمومًا،والقيام بضبط أنساب العلويين[١]. ولعقدين من الزمن تفاقم الصراع بين العلويين والإرشاديين واتخذ مظاهر شتى تطور من الاتهامات المتبادلة والوشايات والأحقاد وفي حالات محدودة إلى الاشتباك المباشر[٢]. وتنافست الجمعيتان في إنشاء العديد من المدارس العربية، وفي نشر الإصدارات الدورية، وسعى كل منهما إلى جذب المهاجرين الحضارمة[٣].

إن هذا الانقسام المهجري يعبر بشكل واضح عن أزمة المهاجرين في التعامل مع أوضاع صعبة فرضت عليهم أن يكونوا خارج النسيج الإندونيسي المسلم. ولأن معظم المؤسسين لهذه الجمعيات من المهاجرين الجدد [٤]، (الولايتية) فقد كانوا أقرب إلى مواجهة هذه التحديات بالعودة إلى حضرموت نفسها وإلى الهوية العربية؛ إذ عرفوا أنفسهم بأنهم أمة حضرمية مميزة، عِوضًا عن أن يشكلوا جزءًا من المجتمع الإندونيسي المسلم متعدد الأجناس[٥]. ويمثل هذا انتكاسة لسلاسة الاندماج المهجري الإيجابي.ولعلنا لانبالغ عندما نقول إن الانقسام الحضرمي في

(١) علي أحمد السقاف، لمحات عن جمعية خير،دار الأيتام، الرابطة العلوية، ١٩٩٣م ص٤٧

(٢) د.أحمد إبراهيم أبو شوك، المصدر السابق،ص٣٢٣-٣٢٤

(٣) م.أ. رودينوف، المصدر السابق،ص٨٩

(4) Natalie mobini.op.cit.p235.

(5) ibid.p246.

إندونيسيا هو جزء من تاريخ حضرموت الحديث الذي وجد مجالًا مساعدًا للظهور في أرض بعيدة.

وغني عن القول إن هذا الانقسام المهجري لايمثل إلا حيزًا ضئيلًا من مجمل النشاط الحضرمي الإيجابي في إندونيسيا، بل نجد وسط هذا الانقسام نفسه تنافسًا مفيدًا لإقامة المشاريع الخيرية مثل بناء المدارس والمستشفيات[١] كماأوجد هذا الانقسام حراكًا ثقافيًا قدم العديد من الأدباء والصحفيين،وأسست دور للنشر والطباعة طبعت الكثير من كتب التراث،كما ألفت في هذه المدة مؤلفات في التاريخ والأنساب والفقه وغيرها[٢] وقد ألقت هذه التطورات بظلالها على الواقع السياسي والاجتماعي في حضرموت من خلال محاولة البعض سحبه إليها.وقد حالت بنية المجتمع الحضرمي الاقتصادية والاجتماعية المتخلفة مقارنة بإندونيسيا دون انتشاره في نطاق واسع، واتسم بالصراع شبه النخبوي، ولكنه حمل في حركته البطيئة عوامل قابلة للظهور والبروز.

ومع تزايد انعزال الحضارمة عن التيار العام شعر القادة منهم بأن وضعهم في إندونيسيا أصبح مهددًا، وأسرّ أحدهم مخاوفه للموظف الهولندي (فان در بلاس) عام١٩٣١م قائلا: " إذا ما رحل الهولنديون من إندونيسيا فعليهم وضعنا في السفينة التالية " [٣]. لقد كان لهذا النشاط المهجري الحضرمي الكثير من الإيجابيات والسلبيات، ولكنه سار خارج الزمان، والمكان وخلق نوعًا من العزلة الثقافية والاجتماعية في المجتمع

(١) الكاف، سقاف علي، حضرموت عبر أربعة عشر قرنا، مطبعة أسامة، بيروت ١٩٩٠م ص١٢٧

(٢) سارجنت، المصدر السابق ص٨٧

(3) Natali mobini.op. cit.p247.

الإندونيسي الذي تزايد نضال أهله من أجل الحرية والتطور، وظهر الأمر كأن المهاجرين يسبحون بعيدًا عن التيار. وقد تنبّه المولدون إلى خطورة هذا الوضع على مستقبلهم وبدأوا يأخذون زمام المبادرة من خلال العودة إلى المجتمع الإندونيسي. ولكن كيف سارت خطى المواليد نحو الاندماج في هذا المجتمع الكبير؟

أدت السياسة الهولندية - سواء كانت العزل العنصري أم تشويه صورة العرب -إلى وحدة المسألة المهجرية الحضرمية، وهذه السياسة لم تميزبين المواليد (الموالدة) و المهاجرين الجدد والمتجددين، لهذا ارتد الجميع وبنسب متفاوتة إلى الهوية العربية الحضرمية،والحال كذلك كان منطقيًا تحمل المهاجرون الجدد مقاليد الأمور للجالية بوصفهم حاملين أصول الثقافة المحلية الوطنية. ولاشك أن جيل الموالدة كانوا أكثر من غيرهم إحساسًا بالاغتراب والاضطراب بين مجتمع إندونيسي ينتمون له بالجغرافيا والوجدان، ولكنه رافض لمواطنتهم،وبين جذور لايمكن الانفصال عنها ولكنهم لايدركونها. وما حدث في إندونيسيا من انقسام في المجتمع المهجري كانوا فيه أطرافًا غير مباشرين بحكم الانتماء أو الميل، وليس بضغط التراث والتقاليد القديمة المنقولة من حضرموت.

ومن عناصرالموالدة جرت محاولات لرأب الصدع العربي عندما أسس الشيخ محمد عبدالله العمودي - وهو من الموالدة الذين تعلموا في المدارس الهولندية- جمعية الوحدة العربية عام **١٩٢٩**م. وكان الهدف منها توحيد جهود الجمعيات العربية وتقريب أفكارها[١]، إضافة إلى ذلك

(١) رودينوف، المصدر السابق، ص٨١.

تركيز الجهود للوقوف أمام المنافسة الاقتصادية القوية للجالية الصينية [١]، لكن هذه الجمعية تلاشت ولمّا يمض على قيامها غير سنة وبضعة شهور، ويذكر البكري أن سبب تلاشيها حادث حل بدعاة الوحدة فجأة ودب إليهم الخلاف والانشقاق[٢]. ولعل للموضوع أبعادًا أخرى تتمثل في أن الجمعية لها أهداف عربية حماسية آنية جمعت بين متناقضات، في وقت كان تيار الانقسام في بداية قوته، ولكن هذا الفشل هيأ الظروف لظهور تيار يهتم بالمواليد العرب، لهذا تأسست كما يقول بارجاء وحدة المواليد العرب[٣]. أو رابطة عرب إندونيسيا على غرار حركة المولدين الهولنديين(أوروبي إندونيسيا)، وهدفت إلى لمِّ شمل مواليد العرب الحضارمة، والسعي لصالح مستقبلهم، ورفع مستواهم العلمي والاجتماعي والمادي، والمطالبة بحقوقهم الوطنية في تمثيل عادل في المجالس النيابية الحكومية المركزية العربية، وركزت اهتماماتها على العروبة؛ إذ سعت إلى تقوية الحس العربي داخل الرابطة وخارجها " وأن أبناء العرب عرب ويجب أن يظلوا عربًا "، ولكن الرابطة فشلت في محاولاتها؛ لأنها اعتمدت على مساعدات أثرياء الحضارمة، ولم تستطع التخلص من النظام العشائري الذي سبب الانقسامات، ولم يربطوا أنفسهم بالواقع الإندونيسي نفسه؛ حيث إن معظم أبناء العرب قد اندمجوا وابتعدوا عن نظام حضرموت العشائري[٤]

وفي عام ١٩٣٤م ظهر اتحاد عرب إندونيسيا الذي تعامل مع المسألة

(١) بارجاء، عبد الرحمن عبدالله، المصدر السابق، ص٣٦
(٢) البكري، صلاح، المصدر السابق، ص ٣٤٩
(٣) بارجاء، عبد الرحمن، والمصدر السابق، ص٤٠
(٤) القادري، حامد، المصدر السابق، ص١١٨.

المهجرية في تلك الظروف الخاصة بواقعية سياسية؛ إذ رأى قادة الاتحاد أن الاندماج الكامل والمواطنة الإندونيسية وربط مصير المواليد بمصير الإندونيسيين هو الحل الأمثل للحفاظ على مكانتهم ووجودهم.فقد تغلغلت بين المواليد العرب في إندونيسيا مبادئ القومية الوطنية بعد ظهور الأحزاب الإندونيسية التي من أهدافها الاستقلال التام عن هولندا، وكان من أهدافهم البعد قدر المستطاع عن الاشتراك رسميًا في الجمعيات والهيئات العربية وصراعاتها [١]، وذكر البكري الأسباب التي دفعت إلى تأسيس هذا الاتحاد منها :

١) شعور أولئك المواليد بالعجز عن مجاراة مواليد الصينيين والهولنديين ومشاركتهم في الحقوق.
٢) عجز المدارس العربية عن تكوين ناشئة مثقفة تثقيفًا عاليًا.
٣) النزاع القائم بين العلويين الذي طال أمده ولم يسفر عن شيء[٢].

لقد ظهر هذا الاتحاد منافسًا قويًا لرابطة عرب إندونيسيا، وذكر القادري وهو أحد المؤسسين له أن الاتحاد تخلص من نظام حضرموت العشائري، وربط نفسه مع الواقع الاجتماعي في إندونيسيا، واستبدلت لفظة السيد (موضع الخلاف) بلفظة الأخ بين أعضاء الاتحاد كما هو متبع في نطاق الحركات الوطنية الإندونيسية وتتماشى مع تعاليم الإسلام، واعترف الاتحاد أن إندونيسيا وطن أبناء العرب، وربط الاتحاد نفسه بالحركات الوطنية الإندونيسية[٣]. لقد انتشرت مبادئ الاتحاد بسرعة كبيرة

(١) بارجاء، عبد الرحمن، المصدر السابق،ص٤٠
(٢) البكري،صلاح،المصدر السابق،ص٣٤٩.
(٣) القادري، حامد،المصدر السابق، ص١٢٣.

أينما وجد العرب في إندونيسيا؛ حيث شكلت فروعًا وأغصانًا للاتحاد، وخرج العرب الحضارمة من المجموعتين المتنازعتين وانضموا إلى هذا الحزب (صار حزبًا عام ١٩٤٠م)، وأصدر مجلة بعنوان التيار الحديث[١].

وكان لاعتراف الاتحاد بالمواطنة الإندونيسية صداه الإيجابي لدى الحركات الوطنية الإندونيسية، وعزز من ذلك نشاط الاتحاد الثقافي عبر الصحافة والكتابات الأدبية التي سعت لتصحيح الصورة المشوهة للعرب.فقد أصدر الاتحاد صحيفة باللغة الملايوية لتفيهم الإندونيسيين بأهدافهم الحقيقية[٢]. كما كتب حسن بافقيه أحد زعماء الاتحاد مسرحية "فاطمة" عرضت في عدد من المدن الإندونيسية، وانتقدت هذه المسرحية بقوة وبدون تحفظ المعاملة الربوية عند العرب، ووصفتها بأنها عملية ملعونة تتعارض مع تعاليم الإسلام. وقد أورد القادري مقتطفًا من استحسان الصحافة الإندونيسية لهذه المسرحية، ومما جاء فيه (. . . نقدم تقديرنا لمؤلف ومنفذي هذه المسرحية، ونحن واثقون أن كل من شاهد هذه المسرحية سيكون مع رأينا في أن مسرحية كهذه انتقدت مجتمعها، وعرضت بهذا الأسلوب، سيتعاطف معها الناس وستحقق الهدف المنشود وستلقى أفكار هذه المسرحية التأييد الكامل ١٠٠٪ [٣].

وقد دفعت سياسة الاتحاد وأهدافه الواضحة إلى إحداث تغير لصورة العرب القديمة. وعند مساندة الاتحاد المتواصل للحركة الإندونيسية قبل

(١) باصرة، صالح علي، المصدر السابق، ص١٠٤
(٢) البكري، صلاح، المصدر السابق، ص٣٥٠
(٣) القادري، حامد، المصدر السابق،٢١.

عضوًا دائمًا في اتحاد الأحزاب الاندونيسية الذي كان يعد نفسه للبروز قبيل حرب الباسفيك[١]، وبعد الاحتلال الياباني لإندونيسيا ألغت الحكومة العسكرية اليابانية كل الأحزاب السياسية في الساحة الإندونيسية ومنها اتحاد عرب إندونيسيا[٢] بعد الحرب العالمية مباشرة صارت إندونيسيا جمهورية مستقلة، وشجع اتحاد عرب إندونيسيا أعضاءه للانضمام في الأحزاب السياسية الإندونيسية التي فتحت أبوابها لقبول العرب.وفي اعتقادنا أن هذا الاتحاد قدم قراءة سياسية صحيحة للأحداث وكان اندماجه ذكيًا في الحركة الوطنية سهل فيما بعد قبول المجتمع الإندونيسي للمهاجرين الحضارمة مواطنين كاملي الحقوق وهذه مرحلة لاتدخل في نطاق هذا البحث.

ومن جانب آخر احتفظت مجموعة رابطة عرب إندونيسيا التي يقودها العمودي بالهوية العربية للمواليد، وعاد البعض إلى الوطن وخاصة في إثر الظروف الصعبة التي مرت بها إندونيسيا في أثناء الحرب العالمية الثانية مباشرة وبعدها. وبينما نجح اتحاد عرب إندونيسيا في انحسار النزاع العلوي الإرشادي وإلغاء التمييز بين العرب وغيرهم من سكان إندونيسيا، لكنه أذاب الهوية للمهاجرين،وحولهم إلى جزء من نسيج المجتمع الإندونيسي، ينظر إلى أصوله العربية كماض قديم أو جزء من تاريخ العائلة [٣].

إن اتحاد عرب إندونيسيا مثَّل اندفاعةً حادة نحو الاندماج و الهوية

(١) المصدر والصفحة نفسها
(٢) بارجاء،عبد الرحمن،المصدر السابق، ص٤١
(٣) باصرة، صالح علي،المصدر السابق،ص١٠٥.

الإندونيسية، وجاء كرد فعل نحو الاندفاع العربي في المجتمع الإندونيسي نحو الهوية العربية، وللاتجاهين أسبابهما التاريخية التي تسوغ هذا الجنوح. وفي ظننا أن الدم الحضرمي سيظل إلى مدى طويل خطًا رفيعًا ومميزًا في الجسم الإندونيسي الكبير، وسيمتد هذا الخط بشكل أو بآخر نحو جنوب الجزيرة العربية جنبًا إلى جنب مع امتدادات ثقافة هذا الجسم الدينية نحو القبلة في وسط هذه الجزيرة.



قائمة المصادر

أولا: المؤلفات العربية

١) الحداد، علوي بن طاهر، المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جدة، بدون تاريخ.
٢) الجرو، سالم علي، بلاد الأحقاف رموز وكنوز، مكتبة التراث الإسلامي، الرياض، ٢٠٠١.
٣) الجعيدي، عبدالله سعيد، ، الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية في حضرموت، ١٩١٨-١٩٤٥م، دار الثقافة العربية للنشر، الشارقة، ٢٠٠١م.
٤) باحاج، عبدالله سعيد، قراءة جغرافية وتاريخية في دوافع الهجرة اليمنية، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ٢٠٠٢م.
٥) القصير، أحمد، اليمن الهجرة والتنمية، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ١٩٨٥م.
٦) بامطرف، محمد عبد القادر، الهجرة اليمنية، الآفاق للطباعة والنشر، صنعاء، ٢٠٠١م.
٧) بامطرف، محمد عبد القادر، المعلم عبد الحق، ط٢، دار الهمداني، عدن، ١٩٨٥م.
٨) عمشوش، مسعود، الحضارمة في الأرخبيل الهندي، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن ٢٠٠٦م.

٩) عثمان، شوقي عبد القوي، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب -الكويت رقم ١٥١.
١٠) باصرة، صالح علي، دراسات في تاريخ حضرموت الحديث والمعاصر، ط٢، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ٢٠٠١م
١١) باكثير، علي أحمد، ، همام أو في بلاد الأحقاف، منشورات مؤسسة الصبان، عدن، ، ١٩٦٢م.
١٢) السقاف، جعفر محمد، المغتربون اليمنيون الحضارمة، من أدبيات ندوة "المغتربون الرافد الأساسي للتنمية، صنعاء ١٩٩٩م.
١٣) القدال، محمد سعيد، والقعيطي، عبد العزيز علي، السلطان علي بن صلاح القعيطي ١٨٩٨-١٩٤٨م ونصف قرن من الصراع السياسي في حضرموت، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ١٩٩٩م.
١٤) الحامد، صالح بن علي، رحلة جاوا الجميلة وقصة دخول الإسلام إلى شرق آسيا، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ٢٠٠٢م.
١٥) بارجاء، عبد الرحمن عبدالله، ، الجمعيات والهيئات العربية في اندونيسيا، مخطوط، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا.
١٦) أبو شوك، أحمد إبراهيم، تاريخ حركة الإصلاح، والإرشاد وشيخ الإرشاديين أحمد محمد السوركتي في إندونيسيا، دار الفجر ماليزيا، ٢٠٠٠م.
١٧) السقاف، علي أحمد، ، لمحات عن جمعية خير، دار الأيتام، الرابطة العلوية، ١٩٩٣م.
١٨) الكاف، سقاف علي، ، حضرموت عبر أربعة عشر قرنا، مطبعة

أسامة، بيروت ١٩٩٠م.

ثانيا: المؤلفات المعربة

١٩) د. محمد عمر الحبشي، اليمن الجنوبي سياسيا واقتصاديا، ترجمة: إلياس فرح - خليل أحمد خليل، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٦م.

٢٠) ميولن، دانيال فان در - فون، فيسمان، حضرموت إزاحة النقاب عن بعض غموضها ترجمة وتقديم وتعليق: الدكتور محمد سعيد القدال، دار جامعة عدن للطباعة، والنشر، عدن، ١٩٩٨م.

٢١) إنجرامس، دبليوإتش، حضرموت ١٩٣٤-١٩٣٥م، تعريب: د. سعيد عبد الخير النوبان، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ٢٠٠١م.

٢٢) ميولن، دانيال فان در، رحلة في جنوب شبة الجزيرة العربية، ترجمة: الدكتور محمد سعيد القدال، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ٢٠٠١م.

٢٣) القادري، حامد، كفاح أبناء العرب ضد الاستعمار الهولندي في اندونيسيا، ترجمة: زكي باسليمان، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن، ١٩٩٨م.

٢٤) سارجنت، آر.بي، حول مصادر التاريخ الحضرمي، ترجمة: د. سعيد عبد الخير النوبان، مطبعة الكويت، بدون تاريخ.

٢٥) بوجرا، عبدالله، الصراع السياسي والتراتب الاجتماعي في حضرموت: ضمن إصدارات المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية - سلسلة الدراسات المترجمة٢- اليمن كما يراه الآخر، ١٩٩٧م.

٢٦) رودينوف، م.أ، عادات وتقاليد حضرموت الغربية (العام والمحلي

في الثقافة السلالية)ترجمة: د. علي صالح الخلاقي،دار جامعة عدن للطباعة والنشر،٢٠٠٣م.

ثالثا: المؤلفات الانجليزية

27- William.g.clarenceÙsmitñ Hadhramaut and the hadhrami. diaspora in the modern era ¤ an introductory survey in theorical historyin hadhramaut tradresÙscolars and statesmen in Indian ocean1960-1750s 1997.

28- Huub de jonge. Dutch colonial policy pertaining to hadhrami immigrants an introductory survey in theorical historyin hadhramaut tradresÙscolars and statesmen in Indian ocean 1960-1750s 1997.

29- Natalie mobiniÙkesheh Islamc modernism in colonial java alÙIrshad movement an introductory survey in theorical historyin hadhramaut tradresÙscolars and statesmen in Indian ocean 1960-1750s 1997.

رابعا :الدوريات

٣٠) الملاحي، عبد الرحمن عبد الكريم، اليمنيون في المهاجر الإفريقية - هجرة الحضارمة الدوافع - الاستيطان التأثير، مجلة شعاع الأمل، العدد السابع والستون، ٢٠٠٧م.

٣١) أوين، روجر، قبور تريم، مجلة شعاع الأمل، العدد السابع والستون، ٢٠٠٧م.

المواقف الشعبية المعارضة للسياسة البريطانية في حضرموت*
(١٩٣٦-١٩٥٠م)

تمهيد:

خضعت حضرموت للاستعمار غير المباشر بعد توقيع سلطنتيها القعيطية والكثيرية على معاهدة الاستشارة مع السلطات البريطانية في عدن، وبموجب هذه المعاهدة وتحت بند النصيحة تدخل المستشارون البريطانيون في شؤونها الداخلية، بل كانت لهم الكلمة النافذة في الكثير من القضايا، وقد قدمت الرواية الرسمية مسوغًا لهذا الوضع بأنه جاء تلبية لإرادتها في إحداث الإصلاحات اللازمة بالاستعانة بالخبرات الأجنبية، لكن هذا لم يحل دون ظهور الأصوات الحضرمية المغايرة التي عبرت عن نفسها بالشعر الشعبي والكتابات الصحفية وبتقديم العرائض وبالقيام بالمظاهرات الشعبية، ورغم عفوية هذه التحركات التي كانت تعكس درجة جنينية من الوعي الجمعي فإنها عبرت عن النزعة الوطنية الكامنة.

لقد ركزت الدراسات السابقة التي تناولت هذه المرحلة المهمة من تاريخ حضرموت على انتقاء الأحداث التاريخية بمعزل عن أبعادها، وعناصر الترابط فيما بينها أي أنها عُنيت بالحدث لذاته دون تتبع منابعه،

---

* مجلة سبأ، تصدر عن قسم التاريخ والآثار كلية الآداب / جامعة عدن(مقبول للنشر).

والتحلق في آفاقه، وتداعياته، وهو الأمر الذي ترمي هذه الدراسة القيام به، وتحاول بلوغه.

أولاً: بدايات التدخل البريطاني في حضرموت

بدأ الاهتمام البريطاني الرسمي بحضرموت حين فكرت السلطات في الهند في إنشاء محطة تتوقف في مينائها السفن البريطانية للتزود بالوقود في طريقها بين أوروبا والهند،ففي الوقت الذي زار الكابتن (هنس) عدن عام ١٨٣٥م يستطلع صلاحية الميناء قام أيضًا بزيارة مماثلة لمينائي المكلا، وقلنسية في جزيرة سقطرى، ثم توقفت الاتصالات بعد أن استقر الرأي على صلاحية ميناء عدن[١].

احتل البريطانيون عدن في ١٩ يناير عام ١٨٣٩م، ثم اتجهوا بعد ذلك إلى الاستفادة من وجودهم فيها بجعلها مركزًا للتوسع والانطلاق لبسط نفوذهم في جنوب الجزيرة العربية من جهة، وفي حوض البحر الأحمر بساحليه الآسيوي والأفريقي من جهة أخرى[٢].

وقد استندت بريطانيا لتحقيق مصالحها في منطقة جنوب الجزيرة العربية على سياسة غير ثابتة كيّفتها وفقًا لمقتضيات الظروف، وتطور الأحداث[٣] ولم تحاول في بداية وجودها في عدن القيام بأي اتصالات

(١) النوبان، سعيد عبد الخير (الدكتور)، قصة الإنجليز في حضرموت، مجلة اليمن، العدد الأول، السنة الأولى ١٩٨٨م، ص ٤٥

(٢) أباظة، فاروق عثمان (الدكتور)، عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر (١٨٣٩-١٩١٨م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨م، ص ٢٠٠

(٣) عكاشة، محمد عبد الكريم (الدكتور)، قيام السلطنة القعيطية والتغلغل الاستعماري في حضرموت (١٨٣٩-١٩١٨م)، دار ابن رشد،عمّان،١٩٨٥م، ص١١٦.

رسمية بحضرموت، ولم تتدخل في الصراع القبلي الدائر فيها؛ لأنه لا يمثل خطرًا على مصالحها في عدن[١].

وجاء الاتصال الرسمي بين حضرموت والحكومة البريطانية في عدن على خلفية المساعي البريطانية في محاربة تجارة الرقيق، ففي عام ١٨٥٥م زار المقيم السياسي لعدن البريجادير (وليام كوجلان) مينائي الشحر والمكلا، ووجد أن هذين الميناءين هما أبرز محطات العبور لتجارة الرقيق بالترانزيت على امتداد السواحل من شرق أفريقيا إلى محطات وصولهم في بعض مناطق الخليج العربي والحجاز[٢].

وقد تمكن (كوجلان) من إقناع كل من أمير المكلا صلاح بن محمد الكسادي (١٨٥١-١٨٧٣م) وأمير الشحر علي بن ناجي البريكي (١٨٢٧-١٨٦٦م) على إبرام معاهدة معهما كلًا على حدة وفي تاريخ واحد (١٤مايو ١٨٦٣م) التزما فيها بمنع تجارة الرقيق في إمارتيهما، وفي عام ١٨٧٣م وبعد السيطرة القعيطية على مدينة الشحر: وقّع كل من :عبد الله بن عمر القعيطي وأخيه عوض من جهة وحاكم عدن البريجادير جنرال (شنايدر) معاهدة مشابهة في صياغتها[٣].

وقد ارتبط امتداد النفوذ الاستعماري البريطاني إلى حضرموت بمسألة

(١) اليزيدي، ثابت صالح، التطورات السياسية في حضرموت ١٩٢٧-١٩٦١م،أطروحة دكتوراه، كلية التربية،جامعة بغداد، ٢٠٠١م،ص ٣٥

(٢) عكاشة، محمد عبد الكريم، المرجع السابق،ص١٢٣

(٣) مجموعة التعهدات والسندات ذات العلاقة بالهند (البريطانية) والخليج والجزيرة العربية، جمع وتصنيف سي يو اتجيسون بي سي اس، وكيل حكومة الهند البريطانية في الخارجية الهندية، ترجمة عبد الوهاب عبد الستار القصاب، بيت الحكمة،بغداد، ٢٠٠١م، ص ١٨٣-١٨٤.

الصراع بين القوى المتنافسة على السلطة فيها، والمحاولات العثمانية في التدخل في شؤونها ولاسيما بعد المحاولة الفاشلة التي قام بها الكثيريون لاستعادة الشحر من القعيطيين عام ١٨٦٧م[١]، وما أعقب ذلك من محاولات للحصول على التأييد والمؤازرة الخارجية. فقد اتجه آل كثير وبتشجيع من سادة حضرموت (العلويين) نحو الدولة العثمانية المتطلعة إلى إعادة بسط نفوذها الاسمي على حضرموت لهذا، قاموا بإرسال باخرة حربية استعراضية إلى الشحر والمكلا في أغسطس عام ١٨٦٨م[٢].

أما بريطانيا فإنها حتى ذلك الحين لم تقرر فرض الحماية أو مد نفوذها إلى الشحر والمكلا، ولكنها نظرت بعين القلق لهذه التحركات، وانطلاقًا من مصالحها في جنوب الجزيرة العربية، ولإبعاد التدخل التركي في شؤون حضرموت قامت الحكومة البريطانية بطرح مسألة الباخرة العثمانية - التي وصلت بالقرب من سواحل حضرموت- على الباب العالي، وبعد مراسلات تم الاتفاق بين الجانبين على أن تتوقف كل منهما عن التدخل في شؤون حضرموت[٣].

وبافتتاح قناة السويس في نوفمبر ١٨٦٩م ازدادت أهمية عدن على الصعيدين الاقتصادي والاستراتيجي، وأدركت بريطانيا أن ذلك يتطلب جهودًا كبيرة لتأمين عدن والأراضي المتاخمة لها باتخاذها سياجًا أو حزامًا آمنًا لها. وباحتلال العثمانيين لليمن عام ١٨٧٢م تحركت السياسة

---

(١) محمد عبدالقادر بامطرف، في سبيل الحكم،ط٢،دارالهمداني للطباعة والنشر، عدن، ١٩٨٣م ص٥٤

(٢) عكاشة، محمد عبد الكريم، المرجع السابق، ص١٢٦

(٣) نفسه، والصفحة نفسها.

البريطانية نحو حماية مصالحها،وتعزيز مكانتها في المنطقة وذلك بعقد المزيد من اتفاقيات الولاء والصداقة ثم معاهدات الحماية مع حكام جنوب الجزيرة العربية[١].

وفيما يخص السلطنة القعيطية في حضرموت فقد وقعت معاهدة الصداقة في ٢٩ مايو ١٨٨٢م أي بعد ما يقارب الستة أشهر من استيلائهم على مدينة المكلا عاصمة الإمارة الكسادية بالمؤازرة البريطانية، وقع المعاهدة عن الجانب القعيطي (الجمعدار) عبدا لله بن عمر القعيطي، وعن الجانب البريطاني المقيم السياسي بعدن البريجادير جنرال (جيمس بلير)، بموجبها وافق (الجمعدار) عبد الله بن عمر عنه وعن أخيه وورثتهما على قبول النصيحة البريطانية في معاملاتهم مع القوى الخارجية وعلى عدم بيع أو رهن أي جزء من الممتلكات القعيطية لأي جهة سوى الحكومة البريطانية. ولوضع حد للتطلعات العثمانية في المنطقة عقدت بريطانيا سلسلة من معاهدات الحماية مع سلطنات الجنوب ومشيخاته منها المعاهدة مع الدولة القعيطية عام ١٨٨٨م، ومن نصوصها قبول القعيطي الحماية البريطانية للشحر والمكلا[٢]. وقد دخلت السلطنة الكثيرية ضمنيًا تحت الحماية البريطانية بعد توقيعها معاهدة عدن عام ١٩١٨م مع السلطنة القعيطية برعاية المقيم السياسي البريطاني[٣].

---

(١) عراسي، شفيقة عبد الله، السياسة البريطانية في مستعمرة عدن ومحمياتها (١٩٣٧-١٩٤٥م) دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن ٢٠٠٤م،ص٢٣-٢٤

(٢) مجموعة المعاهدات والتعهدات والسندات، المرجع السابق، ص١٨٦-١٨٨

(٣) الجعيدي، عبد الله سعيد (الدكتور)، الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية في حضرموت ١٩١٨-١٩٤٥م، ط٢، دار الوفاق للدراسات والنشر، عدن، ٢٠١٠م، ص ١٧.

ولعقدين من الزمان خضعت حضرموت بسلطنتيها للحماية البريطانية مما عزز الوجود البريطاني فيها. وفي هذه المدة حدثت تحولات إقليمية وعالمية مهمة جعلت بريطانيا تنتهج سياسة جديدة عرفت بسياسة التقدم إلى الأمام.فقد برزت على الساحة الدولية أنظمة دكتاتورية في كل من ألمانيا وإيطاليا واليابان، كما توجست بريطانيا من الاتفاقيات التي أبرمتها المملكة المتوكلية اليمنية مع عدد من الدول الأوروبية، وقد ترتب على ذلك نتائج واضحة التأثير على المنطقة بخاصة بعد أن أجبرت بريطانيا الإمام يحيى على توقيع اتفاقية عام ١٩٣٤م التي تعد مدخلًا للتوسع البريطاني في المنطقة(١).

وفي ما يتعلق بوضع مستعمرة عدن وعلاقاتها مع الهند نجد أنه تقرر تحويل عدن عام ١٩٢٨م إلى مقر للقوات الجوية تحت مسئولية وزارة الطيران، وظلت جزءًا من ولاية بومباي. وفي عام ١٩٣٢م خضعت عدن لإشراف حكومة الهند المركزية. وفي عام ١٩٣٧م تم تحويلها إلى مستعمرة خاضعة للتاج البريطاني. وبموجب ذلك أصبح لعدن حاكم تعينه الحكومة البريطانية بالتنسيق مع وزير المستعمرات(٢). كما أن المحميات أصبحت خاضعة لتشريع جديد سمي باسم قانون محمية عدن، وبموجب هذا التشريع أصبحت المحميات موزعة إلى وحدتين إداريتين هما المحمية الغربية، والمحمية الشرقية(٣).

---

(١) ناجي، سلطان، التاريخ العسكري لليمن، ١٨٣٩-١٩٦٧م عدن،١٩٧٦م،ص٩٢

(٢) شفيقة عبدالله عراسي، المرجع السابق، ص٢٩-٣٠

(٣) مجموعة من المؤلفين السوفييت، تاريخ اليمن المعاصر ١٩١٧-١٩٨٢م، ترجمة محمد علي البحر، المطبعة الفنية القاهرة،١٩٩١م ص٧٠.

يعد التقرير الذي كتبه المقيم السياسي في عدن (برنارد رايلي) في ٢٧ مارس١٩٣٣م إلى وزارة الخارجية البريطانية بعد زيارته لحضرموت بداية التدخل عن كثب في شؤون حضرموت؛ إذ قدم فيه نصائح للتدخل المباشر وإقامة علاقات متوازنة مع السلطنتين لتحقيق الأهداف البريطانية[١]، وقد ارتبطت الجهود البريطانية في التدخل المباشر في شؤون حضرموت بالسيد (هارولد إنجرامس) الذي زار حضرموت لأول مرة عام ١٩٣٤م. وبناءً على توصية المقيم السياسي (رايلي)، كتب إنجرامس تقريرًا عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في حضرموت للاستفادة منه في وضع توجّهات السياسة البريطانية الجديدة[٢]، وكان لهذا التقرير أكبر الأثر في رسم سياسة التدخل البريطاني المباشر في حضرموت وفي عام ١٩٣٦م عُين إنجرامس مستشارًا مقيمًا لكل من السلطانين القعيطي والكثيري، ثم تمكن من إبرام معاهدة الاستشارة المثيرة للجدل مع السلطان القعيطي عام ١٩٣٧م، ومع السلطان الكثيري عام ١٩٣٩م[٣]، وبهذا دخلت السلطنتان مرحلة جديدة في تاريخهما عرفت في بعض الأدبيات التاريخية بمرحلة الاستعمار البريطاني لحضرموت.

(١) ثابت صالح اليزيدي، المرجع السابق، ص ١١٠
(٢) الجعيدي، عبد الله سعيد، المرجع السابق،ص٢٢٦
(٣) مكنون، صادق عمر (الدكتور) أثر هارولد إنجرامس في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في حضرموت (١٩٣٤ - ١٩٤٤م)، أطروحة دكتوراه، الجامعة الوطنية الماليزية، ٢٠٠٤م، ص١٨٧-١٩٠.

ثانيًا: الموقف من نظام الاستشارة

نص البند الثاني من معاهدة الاستشارة على قبول السلطان صالح القعيطي بمستشار بريطاني يعمل بمقتضى نصائحه في جميع الأمور ماعدا المختصة بالديانة الإسلامية والعادات[١] وقد تمكنت بريطانيا عن طريق هذه المعاهدة من أن تجد لها موطئ قدم في حضرموت، وغدت تدبر الأمور وتديرها وفقًا لمصلحتها؛ إذ لا يجوز لهذا السلطان رفض الاستشارة. ولم يكن توقيع هذه المعاهدة بالحدث المفاجئ؛ فقد مهد السلطان صالح لذلك في خطبة التولية على العرش عام **١٩٣٦**م عندما ألمح عن نيته في قبول المشورة البريطانية بقوله: " إن روابطنا مع الدولة الانجليزية ستبقى ودية كما كانت على الدوام...وقد لقيت من سعادة والي عدن السير (رايلي) كما يليق من الترحيب والتكريم...ووعدنا أن لا يحرمنا من ثمين مشورته ومساعدته فيما يخصنا من الأمور المتعلقة بشؤوننا "[٢].

جوبهت هذه المعاهدة وبما أفرزته من وقائع جديدة بردود أفعال تراوحت بين التوجس والرفض والتأييد. وإذا كنا لا نستطيع تحديد مؤشرات ترصد ردود أفعال الأهالي بدقة نتيجة للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المتخلفة وقتئذ فإننا يمكن أن نتتبع جوانب من مظاهر المعارضة لهذه المعاهدة من خلال الشعر الشعبي، والمقالات الصحفية التي كتبها الحضارمة في الصحف المصرية والعدنية والمهجرية، وكذا

(١) اليزيدي، ثابت صالح، المرجع السابق، ص ٤١٤-٤١٥

(٢) ينظر نص الخطاب في: صلاح البكري، تاريخ حضرموت السياسي،دار الآفاق العربية،ج٢، ص٨١-٨٤.

البيانات التي أصدرتها بعض تجمعاتهم في مهاجرهم.

وتعد قصيدة الشيخ صلاح بن أحمد الأحمدي القعيطي المهاجر بحيدر آباد بالهند من أشهر القصائد الشعبية التي عبرت عن الرفض لتلك المعاهدة، ونبهت إلى تبعات التدخل البريطاني في شؤون حضرموت. وإذا كانت الدراسات التاريخية تنظر بحذر كبير للشعر بوصفه تعبيرًا خاصًا لا يخلو من المبالغة والانفعالات فإن الباحث المدقق يستطيع الاستفادة التاريخية من إشاراته الصريحة والمستترة، وتكمن أهمية قصيدة الأحمدي في أنها لقيت بلهجتها العامية صدىً وانتشارًا كبيرين عند معاصريها في المجتمع الحضرمي، كما أنها أثارت حفيظة الدوائر الرسمية في حضرموت، لهذا أوعزت لحلفائها بالرد عليها للتقليل من تأثيرها.

والقصيدة في مجملها مهمة لمن يتناول بالدرس أبعادها التاريخية والاجتماعية وسنشير لبعض أبياتها على سبيل المثال :

قالوا جهة لحقاف لحمة فاس سرحت بالبرود
سرحت مع الصاحب بلا قيمة ولا سلم نقود
يا حر جوفي يا حياة الذل يا حر الكبود
أين الشنافر أين نهد اللي يزرون الشدود
أين الجعيدي أين كندة لا تعزوى بن كنود[1].

عبرت هذه الأبيات عن المرارة لما آلت إليه الأوضاع في حضرموت وما سيكون مصيرها بعد توقيع السلطنة القعيطية لمعاهدة الاستشارة،

(١) ينظر نص القصيدة في: جريدة الترجمان (جريدة حضرمية مهجرية) العدد الخامس أكتوبر ١٩٣٧م، ص٤. وأيضًا ينظر: البطاطي، عبد الخالق عبد الله، إثبات ما ليس مثبوت من تاريخ يافع في حضرموت، دار البلاد، جدة، ١٩٨٩م،ص١٠١-١٠٢.

والقصيدة لا تقف عند الألم والحسرة لكنها حملت دعوات تحريضية للقبائل الحضرمية للوقوف إزاءها.

وإذا مثلت هذه القصيدة صدى أبناء حضرموت المهاجرين، وحملت معاني قوية تحررت من الضغوط أو الخوف من السلطة القائمة، فإننا نجد الصوت المعارض في داخل حضرموت يستخدم الأسلوب الرمزي، ويسير على حافة التساؤلات، وعبر عن ذلك الشاعران الشعبيان محفوظ عبد الرحمن العطيشي، وسعيد سالم زحفان. قال العطيشي:

ذا فصل والثاني وقع شي ذي السنة ما بعد وقع
جابوا معلم يعرف المبنى وتعقيد القبال

ورد الشاعر زحفان:

هيا عسى هذا المعلم لا يقع فينا طمع
يشل خط الدار يتملك ويحكم بالزوال[1]

الشاعر الأول يستغرب الحدث الجديد في حضرموت ويؤكد وصول قادم (مستشار) وصَفَهُ بمعلم البناء الماهر، أما زحفان فلا يخفي خوفه من سيطرة هذا المعلم على الدار وما فيها. وتفيدنا هذه الأبيات الشعرية الشعبية في استنتاج مظاهر التوجس والريبة من الوضع الجديد في حضرموت بعد توقيع معاهدة الاستشارة.

إن الشعر كغيره من فنون الأدب يعكس ما يعتمل في المجتمع، ويسهم بشكل أو بآخر في بلورة الوعي، وتكوين حالة من التفاعل

(١) باوزير، أحمد عوض، الشعر الوطني العامي، مطابع مؤسسة الطباعة والنشر، عدن، ١٩٧٨م، ص٢٢.

الجمعي، وللشعر الشعبي بخاصة دلالات مهمة؛ لأنه قريب إلى عامة الناس من حيث سهولة ألفاظه ووضوح معانيه. ولابد من الإشارة إلى أنّ ظاهرة المساجلات الشعبية الشعرية التي تقام في المناسبات العامة كانت تشهد الأصوات المعارضة والمؤيدة للحكومات القائمة مما يهيئ فرصة مناسبة أمام الشعراء للتعبير عن انطباعاتهم ومواقفهم فيما يعتمل في وطنهم[١].

ولم تقف ردود الأفعال تجاه نظام الاستشارة عند الشعراء الشعبيين، بل نجدها عند المثقفين الحضارمة المعاصرين الذين وجدوا في الصحافة المصرية والمهجرية والصحف المحلية المخطوطة مجالًا استوعب رؤاهم وأفكارهم، وهؤلاء وإن كان تأثيرهم محدودًا بحكم الأمية السائدة في المجتمع،وندرة وصول الصحف إلى حضرموت وصعوبة توزيعها، فإننا سنجد في مقالاتهم الصوت المعارض الأكثر وضوحًا في تلك المرحلة. ومن الأهمية بمكان التأكيد على أن المقالات تعبر في الأساس عن وجهة نظر أصحابها مؤيدًا كان أو معارضًا، وهي تحتمل ما يحتمله الشعر من العواطف والميول الذاتية. وإذا حيّدنا هذه الأمور نستطيع أن نستشف جوانب من تفاعلات الأهالي ولاسيما المتنورين منهم تجاه أحداث عصرهم، ومن ثم نستطيع إعطاء صورة معبرة عن مواقفهم، وردود أفعالهم. وحول دور الصحافة ومدى تأثيرها كتب صحفي معاصر لتلك المرحلة ما يأتي: " وأخذت الجرائد المصرية والتواليف العصرية الواردة إلى حضرموت- بقصد وبغير قصد- تعمل عملها في تلقيح الأفكار وتطعيم

(١) ما يزال الشعر الشعبي في حضرموت حاضرًا في المناسبات العامة والخاصة.

العقول. . .وبدأت سحابة الجمود والبلادة تنقشع عنهم رويدًا "[١].

وقد حفلت مجلة الرابطة العربية بمقالات صدرها كتاب حضارمة بأسماء مستعارة [٢] تضمن معظمها نقدًا لاذعًا لمعاهدة الاستشارة، ولكل من المستشار البريطاني، والسلطان صالح بن غالب القعيطي، عبروا في صفحاتها عن رفضهم للرواية الرسمية التي سوغت الوجود البريطاني في حضرموت بأنه جاء بإرادة السلاطين، ومن أجل تنمية المجتمع المحلي. كما انتقدوا تزلف رجال السلطنتين للساسة البريطانيين، وقد صنفوا الوضع الجديد بعد معاهدة الاستشارة بأنه استعمار لحضرموت، ففي سبتمبر ١٩٣٧م أي بعد شهر من توقيع تلك المعاهدة جاء في أحد المقالات المعنون (الموقف من الاستعمار) ما يأتي : " إن الاستعمار الإنكليزي يتغلغل في جنوب الجزيرة بدون أدنى اعتراض أو مقاومة من زعماء الجهات، بل بالعكس فإن مظاهر الغبطة والابتهاج متجسمة في وجوههم "[٣]، وهناك من وضع صورة قاتمة وربما يائسة نستشفها من خلال هذه الإشارة : " الكارثة قد حلت والدود قد نخر في الصميم، والسم قد ذاب في أعماق القلوب وحضرموت قد صارت بين أنياب

(١) مجلة الإخاء، تصدر عن جمعية الأخوة والمعاونة بمدينة تريم، العدد ١١يناير ١٩٣٩م ص٤-٥

(٢) من الأسماء المستعارة: دوعني، مخلص، شرحبيل، عباس،عدناني، حضرمي، ع.س، عدني، أحقافي، ابن الحضرمي،وطني، حضرمي غيور، ابن الاحقاف، حضرمي متمصر، حضرمي متألم، ابن الصحراء، المكلا مراسل، المكلا عالم بالحقيقة، المكلا غيور،حضرمي مطلع. وتذيل المقالات بمصادرها من المدن والبلدان مثل: المكلا، حضرموت،تريم، الحوطة حضرموت، عدن، القاهرة، مكة، بغداد، بورسودان، اندونيسيا.

(٣) مجلة الرابطة العربية، المجلد الثالث،١ سبتمبر ١٩٣٧، ص ١٥- ١٦.

الاستعمار"[١]، أو في فخ الاستعمار البريطاني كما جاء في وصف آخر[٢].

وفي صحيفة (الترجمان) المكتوبة باللهجة الحضرمية الدارجة وتحت مقال بعنوان عام (أخبار البلاد) وصف الوضع تارة بالاحتلال وأخرى بالاستعمار، وتضمن عبارات لا تخلو من الشك من معاهدة الاستشارة[٣]. لكننا نجد بعد ذلك تبدلًا لافتًا في موقف الصحيفة بخاصة بعد نشرها بيان السلطان صالح - سنتناوله لاحقا - حول علاقة السلطنة القعيطية مع الإنجليز؛ إذ علقت في ذيل المنشور: "ليكون القراء على علم تام بما جرى وسيجري في حضرموت وإن في هذا المنشور من الحقائق ما يكفي لأن تقطع ألسنة المرجفين"[٤]. ومع هذا ظلت بعض صفحاتها تلمح إلى توجسات الناس من الوجود الأجنبي : " والناس يتخابرون لمعرفة نوايا الانجليز"[٥].

وعلى أية حال فإن الأقلام غير المعارضة استخدمت مصطلحات مرنة أو ربما مهادنة عند وصفها لهذه المستجدات مثل: (الانقلاب الجديد) أو (النظام الجديد) أو (العهد الجديد)[٦]، ويبدو أن أصحاب هذا الاتجاه نظروا لهذه السياسة من زاوية منفعتها الملحة للمجتمع الحضرمي،

(١) مجلة الرابطة العربية، المجلد السادس، الجزء ١٣٤، ١٨ يناير ١٩٣٩م ص٣٩
(٢) مجلة الرابطة العربية، المجلد السادس، الجزء١٤١، ١٥ مارس ١٩٣٩م،ص٤٨
(٣) جريدة الترجمان، جريدة حضرمية مهجرية، تصدر في جاوا، العدد ٣، سبتمبر ١٩٣٧م
(٤) جريدة الترجمان، العدد٩، ديسمبر ١٩٣٧م، ص٤
(٥) جريدة الترجمان، العدد١٣، فبراير ١٩٣٨م، ص٢
(٦) وأحيانا يستخدم البعض لفظة : قبل الانقلاب أو ما بعده، للتمييز بين المرحلتين.

ووجدوا فيها حلا لمشاكله الاجتماعية المستعصية بصرف النظر عن تتبع الأهداف البريطانية القريبة أو البعيدة.

وتداخلات هذه السياسة البريطانية بين المنافع والمضار عكست نفسها على تنوع مواقف الأهالي ومشاعرهم فكانوا بين راضٍ وساخط ومصدق ومرتاب، وهذا التنوع يمكن ملاحظته عند بعض الشخصيات الحضرمية البارزة، فعلى سبيل المثال نجد للأديب محمد بن هاشم موقفين مختلفين، ففي موضع تساءل بنوع من عدم الرضا عن هذه السياسة عندما كتب : " أخذت بريطانيا تهدد وتتوعد وتقتص وتؤدب. . . .تعلن أنها ليس لها أقل مطمع إنما هي تتصرف لمساعدة السلاطين على استتباب الأمن وفعلت وستفعل وتفعل والناس يتساءلون إلى أين؟ "[١]؛ بينما نجده في موضع آخر يؤكد على أن الأمور تسير على أحسن ما يرام[٢] وفي اعتقادنا أن هذا المنحى لا يمثل تناقضًا صارخًا بقدر ما يمثل رؤية عامة أو اتجاهات عند بعض شرائح المجتمع الحضرمي تحركت قناعاتها ومواقفها مع حركة الأحداث وتغير الأحوال.

وعمومًا لقيت هذه الكتابات بخاصة المعارضة صدى قويًا في داخل حضرموت وفي خارجها حيث مواطن مهاجرهم المنتشرة في مساحة جغرافية واسعة تبدأ غربًا من مصر والسودان والسواحل الأفريقية الشرقية والحجاز إلى الهند وإندونيسيا شرقًا، ويتضح لنا ذلك من ردود السفارة البريطانية في القاهرة التي حاولت التقليل من أثرها وتفنيدها من خلال

(١) مختارات من كتابات شيخ الصحافة الحضرمية الأستاذ محمد بن هاشم، جمع وتعليق، علي بن أنيس الكاف، ط ١، تريم للدراسات والنشر، ٢٠٠٨م، ٧٣
(٢) نفسه، ص٧٨.

التأكيدعلى أن التدخل البريطاني جاء لدعم سلطة الحكام المحليين في تعزيز الأمن بحسب الاتفاقيات المعقودة بينهم(١).

وبهذا تماهى الموقف الرسمي للسلطنة القعيطية مع الموقف البريطاني، ولا غرابة في ذلك فقد تطورت العلاقات بينهما إلى أن وصلت إلى ما وصلت إليه من تدخل بريطاني بموجب معاهدة الاستشارة. لهذا وبعد أسبوعين فقط من الرد البريطاني أصدر السلطان صالح منشورًا جاء فيه: إنه نمى إلى علمه أخبار كثيرة منتشرة في كل مكان على أن الحكومة البريطانية استولت على مملكته، وأشار إلى أن ذلك مجرد إشاعات، وطلب من والي عدن تكذيب ذلك ونشره في مجلة محمية عدن، وهدد في المنشور بالتنكيل بمن يستمر في إشاعة هذه الأخبار بعد هذا الإعلان، وأكد أن المستشار البريطاني موجود بحسب رغبته لرفاهية مملكته(٢).

حمل المنشور بعض المضامين التاريخية المهمة، وفي ما يتعلق بموضوعنا نجد أنه عكس مدى الانزعاج والغضب الرسمي تجاه الكتابات المناهضة للسياسة البريطانية، والمشنعة على الحكام المحليين، وما آلت إليه الأوضاع،وأكد أيضًا ضمنيًا على انتشار الإشاعات، واضطرار السلطان إلى مناشدة السلطات البريطانية لتفنيدها يدل على تمكن (النخب المثقفة) في حضرموت من توصيل صوتها ليس لأصحاب الحكم فحسب بل إلى قطاع واسع من الأهالي في حضرموت. تجدر الإشارة هنا إلى أن معظم الكتابات كانت بأسماء مستعارة ومن أشتات مختلفة من مهاجر

(١) مجلة الرابطة العربية، المجلد الرابع، الجزء ٧٨، ١ديسمبر ١٩٣٧م ص٢٤
(٢) نفسه، الجزء ٨٠، ١٥ ديسمبر ١٩٣٧م، ص ٤٣.

الحضارمة، وإذا كان لهذا الأمر أن يحمي أصحاب المقالات من أي مساءلة قانونية،أو مضايقات، فإنه يشير أيضًا إلى مسألة مهمة في تاريخ حضرموت الحديث وهو انتشار مهاجر الحضارمة في أصقاع متعددة، وهذا الوضع مكّنهم من تكوين شبكة غير مؤطّرة من العلاقات فيما بينهم يمكن وصفها (بالعولمة الحضرمية) التي من خلالها خاضوا في الشأن العام الحضرمي في وقت كانت حضرموت ذاتها تعيش حالة من التخلف الاقتصادي والاجتماعي. وهكذا وكما جاءت أشعار المهاجرين المعبرة عن رفض حضرموت للتدخل البريطاني دون لثام، سجل المثقفون الحضارمة تحت أسمائهم المستعارة مواقفهم وسعوا لأن يكونوا ضميرها، وبهذا كانت حضرموت في هذه المرحلة أقرب إلى ترديد صدى صوت المهاجرين منها لأن تكون مصدرًا له، ومعبرًا عنها.

ويبدو أن المتاعب أمام السلطان صالح كانت كبيرة، وأن محاولاته السابقة في وضع حد للأصوات المعبرة عن رفض سياسته المتحالفة مع البريطانيين لم يحالفها النجاح لهذا نجده يكرر امتعاضه أمام أعيان حضرموت، ويهدد بأشد العقاب لمن يحمل سوء النية نحو السلطنة[١]. ولم يكتفِ السلطان صالح بلقائه المباشر مع أعيان حضرموت؛ إذ إنه بعد أيام خاطب الحضارمة بمنشور ثانٍ كرر فيه كلمات الوعيد : " للطائفة الذين يريدون لأجل أغراضهم الخصوصية أن يثيروا الفتنة بيننا وبين الدولة البريطانية وأن يتدخلوا في سياسة حكومتنا "[٢]. واللافت للنظر في هذا المنشور أنه جعل الأصوات المناهضة لنظام الاستشارة مبعثًا للفتنة بينه

(١) نفسه، المجلد الخامس، الجزء ١٠٨، ١٣ يوليو ١٩٣٨م، ص٤٠
(٢) نفسه، الجزء ١١٠،٢٧ يوليو ١٩٣٨م، ص ٤٠.

وبين البريطانيين وليس مع الأهالي لهذا توعّد حملة لواء المعارضة منهم بأشد العقاب. والسؤال الذي يضع نفسه هنا : هل فعلًا استبعد السلطان صالح الإشارة إلى موقف الأهالي في حضرموت عن عمد؟ أو أنه وبذكاء أراد أن يحرف القضية عن جوهرها ويحولها إلى خلاف في تفاصيل العلاقة بينه وبين الحكومة البريطانية؟

إنَّ الموقف الحضرمي المعارض قد اتخذ من نظام الاستشارة أبعادًا تجاوزت الجهد الفردي الذي مثله أصحاب المقالات والشعراء الشعبيون إلى الشكل المنظم ممثلا في الهيئات الحضرمية في المهاجر، فعندما زار المستشار البريطاني إنجرامس مدينة (سورابايا) بجاوا قدمت له اللجنة الإصلاحية الحضرمية رسالة تضمنت إحدى عشرة نقطة هي في حقيقتها تمثل رؤية لمستقبل الدولة في حضرموت كما يراها المهاجرون، ولاسيما أصحاب هذه اللجنة وفيما يتعلق بالموقف من الاستشارة البريطانية جاء في الرسالة عدم الاعتراف بأي استشارة تكون في غير صالح الوطن، واستنكار أي تدخل فعلي مباشر يمس الاستقلال الذاتي[١].

وفي سنغافورة قدمت اللجنة الوطنية ثلاث عشرة نقطة أكدت على أهمية تحديد مدة الاتفاق، وعلى إسناد الوظائف للوطنيين، وعلى إفساح الحريات العامة، وإنشاء مجلس شورى[٢]. وتعكس هذه المطالب تفاعل المهاجرين الحضارمة الإيجابي مع قضايا وطنهم، وعلى موقفهم المتوجس تجاه السياسة البريطانية في حضرموت، ويمكن أن نعزو هذا الموقف الواعي عند المهاجرين إلى احتكاكهم بالحياة المدنية الحديثة

(١) نفسه، المجلد السابع،الجزء ١٦٤، ٣٠ غسطس ١٩٣٩م، ص١٢
(٢) نفسه، الجزء ١٦٥، ٦سبتمبر، ١٩٣٩م، ص١٦.

ولاسيما إذا قورنت بأوضاع حضرموت وقتئذ. وقد حرصت اللجنتان الإصلاحية الحضرمية بجاوا، والوطنية بسنغافورة على نشر مطالبتهما في الصحف العربية في جاوا وفي مصر لتوضيح الأمور واستنهاض الهمم؛ لأن المعني بها ليس السلطات الاستعمارية والحكام المحليين فحسب، وإنما الأهالي في حضرموت، وهذا يؤكد ما أشرنا إليه آنفًا بأن حقائق الواقع فرضت على المهاجرين الحضارمة أن يكونوا صوتًا لحضرموت في خارجها.

ثالثًا: الموقف من معاهدة السلام

وفي وسط هذا الزخم من الآراء الرافضة للوجود الاستعماري، والمؤيدة له؛ مضى المستشار البريطاني في خطواته الإصلاحية المتزامنة، من أبرزها إحلال السلام في حضرموت. وذلك بعقد صلح عام بين القبائل الحضرمية لمدة ثلاثة أعوام (١٩٣٧-١٩٤٠م)، ثم مُدِّد عشرة أعوام أخرى، وقد تناولت عدد من المصادر التاريخية الحضرمية تفاصيل هذا الصلح المعروف في الأدبيات الحضرمية (بصلح إنجرامس)[١]، وذهبوا في ذلك مذاهب شتّى فمنهم من يرى فيه مدخلًا لترسيخ الأقدام الاستعمارية في حضرموت، وآخرون يرون فيه فهمًا واقعيًا لمجرى الأمور وحلًا حاسمًا للمشاكل وعلى رأسها الصراع القبلي، والفوضى الضاربة أطنابها في المنطقة.

اشتركت في نجاح هدنة السلام ثلاثة عناصر رئيسة الأول: تمثَّل في

(١) لمزيد من التفصيل عن معاهدات السلام وملابساتها ينظر: القعيطي،عبد العزيز بن علي بن صلاح، إحلال السلام في حضرموت - دراسة تاريخية لتجربة حضرموت في القضاء على الثأر القبلي ١٩٣٣-١٩٥٣م.

السلطة في حضرموت المتمثلة في الحكام المحليين والمستشار البريطاني إنجرامس، والعنصر الثاني دور النخبة والأعيان وعلى رأسهم السيد أبوبكر بن شيخ الكاف، أما العنصر الثالث فهو المجتمع الحضرمي ذاته. ولا توجد فواصل بين تحركات رجال الحكم والشخصيات الاجتماعية، فالجميع عمل تحت راية إحلال السلام في حضرموت.

وإذا اختلف المؤرخون حول الأهداف البريطانية الاستعمارية من هدنة السلام فإن معظمهم يؤكد على نبل الأهداف الوطنية للسيد الكاف. أما بريطانيا- كما هو معروف- لم تكن تدير جمعية خيرية وإنما دولة استعمارية تسعى إلى توطيد دعائم حكمها، وهي في سعيها ذلك تدخل بعض منجزات الحضارة الأوروبية من نظم الحكم والخدمات الاجتماعية، ولكن معاداة الاستعمار بدون رؤية تاريخية يدفع البعض إلى إنكار المنجزات الإيجابية ويقف عند السلبيات[١].

وربما هذا الإدراك هو ما دفع عددًا من رموز المجتمع إلى تشجيع خطوات إحلال السلام في حضرموت، وتماهي خطواتهم مع خطى المستشار البريطاني، وكان المجتمع الحضرمي في حواضره وفي ريفه قد أنهك بالصراعات القبلية وصار تحقيق الأمن أمرًا ملحًا لاستمرار الحياة ولو بحدها الأدنى، بل كان سباقًا بطلب التدخل لإنهاء الصراع القبلي خارج المنظومة القبلية المحلية بالاتصال المبكر مع الساسة البريطانيين في عدن قبل قدوم إنجرامس إلى حضرموت. كما عبر الحضارمةعن حاجتهم للأمن في مجالسهم واجتماعاتهم وناشدوا الزوار الأجانب في البحث

(١) القعيطي، عبد العزيز بن علي بن صلاح، المرجع السابق، ص٥٦-٥٧.

معهم عن حلول عملية لهذه المعضلة[١].

ولهذا نستطيع القول إن أهم عوامل نجاح هدنة السلام هو المجتمع الحضرمي ذاته، لتفاعله الإيجابي في تحقيق الهدنة رغم تعرض الحضارمة للنقد من بعض الجهات لقبولهم تسليم أسلحتهم للسلطات مقابل دخولهم في اتفاق السلام، ويؤشّر الجنوح الكبير إلى الهدنة العامة على طبيعة المجتمع الحضرمي الذي يميل إلى الهدوء والسلام وهي صفات يمكن ملاحظتها بوضوح في اندماجهم السلس في مواطن المهاجر ذات الثقافات المتعددة.

تجدر الإشارة إلى أن بعض القبائل لم تدخل في الصلح العام، أو إنها دخلت فيه ثم حاولت إفشاله، ولكن هذا الموقف لا يعبر عن موقف سياسي تجاه السياسة البريطانية الراعية لهذا السلام وإنما لأمور اقتصادية لسنا بصدد الحديث عنها، لهذا فإن معاهدة السلام حظيت بقبولٍ كبيرٍ عند معظم قطاعات المجتمع وحتى الكتابات التي رفضت نظام الاستشارة ونظرت إليه كمنظومة متكاملة لم تتعرض في مجملها إلى هذه القضية وإن شاب بعض ما تتناوله نوع من المخاوف، والتوجسات.

وقدم لنا الشعر الشعبي في حضرموت صورة تقرب إلى معرفة مدى استجابة الأهالي لهدنة السلام أو الصلح العام، يقول الشاعر خميس الكندي المعارض للهدنة:

من ناحية ساد الأمن في ظل الجمود
ولكن المستعمر الغاصب بذل كل الجهود

(١) الجعيدي، عبد الله سعيد، المرجع السابق، ص ٢٢٨.

كـي يـفـرض نـفـوذه ومـنـانـا بـشـي مـالـه وجـود

والشاعر يقر بسيادة الأمن، ويصف الوضع بالاستعماري، لكنه يتبع حسنة البريطانيين بذكر سيئة لهم ويقلل من تأثير السلام على حضرموت. بينما نجد آخر مؤيد لهذه الهدنة يقول من قصيدة طويلة:

يـا حـضـرمـوت ارقـدي وتـبـلـغـي فـي الـنـوم
لا صـاح صـايـح ولا خـايـف زعـل نـومـه[١]

وإذا استبعدنا الأهداف المعلنة وغير المعلنة للقوى المحركة للهدنة العامة في حضرموت فإن هذه العملية الحيوية لكل المجتمعات البشرية كانت تتطلب استجابة مرنة، وواعية للملابسات التي تكتنفها، لهذا نستطيع القول إن تفاعل الحضارمة مع دعوات السلام ودخولهم في هذه العملية الموجهة من الاستعمار البريطاني هي في حقيقتها تلبية لرغبة داخلية ملحة أكثر منها خضوعًا لسلطة أجنبية.

رابعًا: الموقف من التنظيمات الإدارية والمؤسسية والموظفين العرب والأجانب

جرت محاولات في إحداث إصلاحات إدارية في سلطنتي حضرموت قبل التدخل البريطاني المباشر، ولاسيما في السلطنة القعيطية، فعندما تولى السلطات صالح الحكم عام ١٩٣٦م حدد في أول خطاب له أمام أعيان حضرموت - سبقت الإشارة إليه - ما يمكن وصفه ببرنامجه السياسي ورؤيته لمستقبل الحكم في السلطنة بهدف تهيئة الأهالي في حضرموت لقبول فكرة الربط بين النهوض المرجو، وضرورة الاستعانة بالخبرات الأجنبية. وقبيل هذا الخطاب كان البريطانيون يهيئون الأجواء

(١) باوزير، أحمد عوض، المرجع السابق، ص٢٣.

لترسيخ أقدامهم في حضرموت. وهنا ربما يبرز تساؤل: هل كان هذا الخطاب يتماهى مع التطلعات البريطانية الجديدة تجاه حضرموت؟ أو أن السلطان صالح المعروف بمحاولاته الإصلاحية المبكرة في حضرموت منذ كان وليًا للعهد قد توصل إلى قناعة مفادها أن المساعي في تطوير مؤسسات السلطنة وتحديثها لا يمكنها النجاح إلا بهذه المساعدة الأجنبية رغم محاذيرها، فهل ضحى السلطان فعلًا بسيادته في سلطنته مقابل قبول بريطانيا ولاية العهد لابنه عوض عِوضًا عن ابن أخيه محمد بن عمر حسب وصية جده السلطان عوض القعيطي الشهيرة؟

ناقشت المصادر التاريخية هذه التساؤلات وتباينت آراؤها، والثابت أن السياسة البريطانية الجديدة في حضرموت المتعلقة بتحديث مؤسسات السلطنتين سارت بمباركة السلاطين وبتوجيه مباشر من المستشار البريطاني إنجرامس. وبموجب هذه التحديثات تم تنظيم المؤسسات العسكرية والمدنية وتطوير التعليم والنظام المالي والضريبي، ولأن هذه الإجراءات الجديدة كانت على حساب النظم التقليدية القائمة فقد أدى ذلك إلى ردود أفعال غير مرحّب بها، ولاسيما من الفئات التي تضررت مصالحها من تلك الإجراءات.

كانت القوات العسكرية في السلطنة القعيطية تتكون من جيش المكلا النظامي والشرطة القعيطية المسلحة، أما السلطنة الكثيرية فقد اعتمدت على قبائل الشنافر، وكذا على عبيد السلطنة، ولم تساعد مواردها الاقتصادية المحدودة على تأسيس قوة منظمة. وجاء تأسيس الشرطة الكثيرية المسلحة عام ١٩٣٧م نتيجة لهذه السياسة، وبالنسبة لجيش المكلا النظامي كان أشبه بجماعات قبلية متحدة متماسكة يتكون أغلبه من القبائل اليافعية والعبيد، وكان الهدف من إعادة تنظيمه ليكون احتياطًا للشرطة

المدنية في حالات الطوارئ والاضطرابات الخطرة[١].

ومن أبرز المشكلات التي واجهت إنجرامس هو كيفية التخلص من كبار السن الرافضين للأنظمة العسكرية الحديثة والعبيد وأولئك الذين يجمعون بين الوظيفة العسكرية والمدنية[٢] تجدر الإشارة إلى أن السلطنة القعيطية في بداية تأسيسها قامت على دعم القبائل اليافعية المستقرة في حضرموت وتلك المجموعات المجلوبة من منطقة يافع، ثم تعززت بالتحالفات المعقودة بينها وبين بعض القبائل الحضرمية، وظل اليافعيون سواء كانوا منضوين أم غير منضوين في نظام السلطنة هم الدعامة الأساسية للسلطنة القعيطية[٣].

وأدت السياسة القائمة على تنظيم حمل السلاح بما يتناسب مع النظم الحديثة إلى شعور اليافعيين بسحب البساط من تحت أقدامهم. وفي بداية يناير من عام ١٩٣٨م واجه بعض رؤسائهم المستشار وصارحوه بأن حضرموت لرجالات يافع الذين امتزج دماء أسلافهم بترابها وأصبحوا أهل الحل والعقد فيها، وأجروا اتصالات مع الأمير علي بن صلاح القعيطي وسلطان يافع للاعتراف بالحق اليافعي في حضرموت[٤]. ولو ربطنا ذلك مع تأسيس المستشار البريطاني لجيش البادية الحضرمي الذي يتكون من أبناء القبائل الحضرمية وما يحمله ذلك من دلالات مست المعادلة العسكرية في حضرموت سندرك أبعاد التحالف بين الأمير علي بن صلاح

(١) ناجي، سلطان، المرجع السابق، ص١٦٤
(٢) مكنون، صادق عمر، المرجع السابق، ص ٢٢٧
(٣) البطاطي، عبد الخالق عبد الله، المرجع السابق، ص٥٦
(٤) مجلة الرابطة العربية، المجلد الرابع، الجزء ٨٤، ١٩ يناير ١٩٣٨م، ص٤٠-٤١ الترجمان العدد، ١٣، فبراير ١٩٣٨م، ص٣.

القعيطي غير المعلن مع ابن عبدات في مدينة الغرفة[١]، والرامي إلى إضعاف الدور البريطاني في حضرموت، وإعادة ترتيب الخريطة السياسية فيها لصالحهما، وبُني هذا الموقف كما يبدو على توقع هزيمة بريطانيا في الحرب العالمية الثانية.

وإذا اتسمت تحركات اليافعيين الرافضين لهذه السياسة بأساليب الضغط والعمل السري كما أسلفنا القول فإن فئة العبيد في السلطنة القعيطية(الحاشية)عبروا عن موقفهم بالتمرد على الإجراءات التي ترمي إلى إعادة تنظيمهم في المؤسسة العسكرية القعيطية حسب السياسة الجديدة، وقد وصف بعض المؤرخين هذا التمرد بثورة العبيد في حضرموت[٢] وكانت أكبر عملية تحرير للعبيد تمت في عام ١٩٤٠م عندما أعلن السلطان صالح بن غالب القعيطي عتق جميع عبيد الحكومة القعيطية[٣].

وقد برز موقف العبيد في سيطرتهم المباشرة على بعض الحصون في مدينتي المكلا والشحر، بيد أن قوات السلطنة تمكنت من احتواء الموقف

---

(١) للمزيد من المعلومات حول هذا التحالف ينظر: محمد سعيد القدال وعبدالعزيز علي القعيطي، السلطان علي بن صلاح القعيطي.

(٢) الملاحي،أحمد عبد القادر، المذكرة الملاحية، مخطوط،ص٢٤

(٣) العبيد في حضرموت من الناحية الواقعية التراتبية أرفع منزلة من وضع العبيد التقليديين، وفي واقع الأمر يمثلون القوة الكبرى الضاربة للسلطنتين، واختلفت المعاملة في السلطنة القعيطية بين العبيد والجنود ولاسيما في المستحقات، فبينما تصرف رواتب شهرية للجنود (القلمة) كان للعبيد ذكورا كانوا أم إناثا، كبارا أم صغارا، كيلة شهريا من الذرة كانت تكفيه ويبيع ما يفيض منها ليشتري به سلعا أخرى،وتصرف السلطنة مصاريف العبيد منذ الولادة وتساعد الأمهات عند الولادة في أثناء (النفاس) وكذا تدفع مصاريف الختان، وهم بهذا يتمتعون بامتيازات أفضل مما يتحصل عليه الجندي وإذا ميزنا بينهم وبين عبيد المنازل فهم أوفر حظا.

واضطر البعض منهم إلى قبول الدخول في الجندية مقابل راتب شهري[١] وتكمن الأهمية التاريخية لتلك الإجراءات في كونها سهلت دمج هذه العناصر في منظومة الدولة، وأسهمت في تفكيك الارتباط التقليدي المعيق لتطورها.

وتزامنت الخطوات التحديثية للمؤسسات الرسمية مع بروز ظاهرة الموظفين الأجانب في الإدارة المدنية والسلك العسكري. فكان المستشار البريطاني إنجرامس يدرك أن أفضل من سيتعاون معه في تنفيذ هذه الخطوات هم الموظفون الأجانب. وللحساسية العربية من وجود الأجانب (النصارى) في مجتمعاتهم المحافظة حرص على تقليل عدد البريطانيين قدر الإمكان، وعوّض عن ذلك بموظفين عرب من السودان والأردن وعمان ومن الجالية الهندية المسلمة،[٢] وقد تغلغل هؤلاء في المؤسسات المدنية والعسكرية والقضائية، ووصل البعض منهم إلى منصب السكرتير أو (الوزيرالأول) في السلطنة القعيطية.

هذا التنوع اللافت للنظر من الموظفين العرب والأجانب القابضين على أهم مفاصل الحكم وخاصة في السلطنة القعيطية جعل حضرموت تُدار بأيدٍ من غير أبنائها، وإذا سلمنا بما يُقال في حينه إنه لا توجد في حضرموت كفاءات وطنية قادرة على إدارة أمور الحكم وهو أمر نبّه إليه السلطان صالح في بداية عهده فإن هذا الوضع مهما كانت مسوغاته إذا تجاوز حدودًا معينة لن يلاقي القبول العام. ففي أثناء المجاعة التي

(١) اليزيدي، ثابت صالح، المرجع السابق، ١٧١

(٢) محمد سعيد القدال، القدال باشا معلم سوداني في حضرموت ومضات من سيرته ١٩٠٣-١٩٧٥م، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن، ١٩٩٧م، ص٩٢.

شهدتها حضرموت جراء الحرب العالمية الثانية ارتفع عدد الموظفين البريطانيين إلى ثمانية، وعندما شعر إنجرامس بعدم ارتياح الأهالي لهذا الوجود قلص هذا العدد(١).

وأحيانًا يرتبط الموقف من العرب والأجانب بالموقف الشخصي؛ فقد نشرت مجلة الرابطة العربية رسالة لمهاجر حضرمي يصف الوضع في حضرموت بالآتي: "يا أخي إن حالة حضرموت خطيرة وإن الإصلاح المطلوب لم يأتِ وقته مادام أولياء الأمور يا هندي أبله أو عربي متعجرف"(٢). ومن الصعوبة بمكان تعميم هذا الإحساس بالمرارة، ولكن التعمد في نشر هذه الرسالة أو حتى اصطناعها ممكن أن نستشف منه ظهور اتجاه لا ينظر بعين الرضا لتلك السياسة، وعزا البعض تعيين مدرسين سودانيين بوجود كفاءات محلية إلى السياسية البريطانية التي لا تريد الاعتماد على أهل البلاد الوطنيين كي لا يعارضوها(٣)، ولسنا هنا بصدد دراسة أبعاد هذه السياسة وما لها وما عليها إلا بالقدر الذي يوضح لنا كيف تعامل معها الأهالي في حضرموت.

كانت البنية الاجتماعية التقليدية هي المهيمنة في المجتمع الحضرمي، كما أن جوانب من الخطوات الإصلاحية في المجتمع الحضرمي لقيت في ذاتها قبولًا شعبيًا ولاسيما ما يخص تعزيز الأمن العام وتحديث التعليم وإصدار القوانين اللازمة لتنظيم بنية الحكم، وإذا أخذنا هذه الحيثيات بوصفها منظومة تساعد على خلق الرأي العام نستطيع أن نتفهّم لماذا

(١) البكري، صلاح، حضرموت وعدن، مطبعة المدني، مصر، ١٩٦٠م، ص١٧٨
(٢) مجلة الرابطة العربية، المجلد الخامس، الجزء ١١٨، ٢١ سبتمبر ١٩٣٨م، ص٤٣
(٣) نفسه، المجلد السابع، الجزء ١٨٧، ١٣ ديسمبر ١٩٣٩، ص ١٦.

المواقف المعلنة المعبرة عن الرفض لهذه الأوضاع جاءت في مجملها من المهاجرين الحضارمة ولم تأتِ من داخلها؟

ومن المهم الإشارة إلى أن مواقف هؤلاء المهاجرين لا يعني نسقًا مستقلًا عن حضرموت فهم - بحكم حركة الهجرة القائمة على التنقل والعودة والذهاب - جزء من نسيجها ومن معاناتها، وهذا يعني أن حضرموت لم تكن معزولة عما يجري حولها بل برزت مساع تطلعت ليكون للحضارمة دور حقيقي في مجتمعهم، وسنشير إلى موقفين قام بهما سكان مدينة المكلا حاضرة حضرموت بوصفهما إنموذجين ممكن أن نتتبع من خلالهما الموقف من السياسة الجديدة التي تتعلق بالتنظيمات الجديدة، وسياسة إسناد الوظائف الرئيسة لغير الحضارمة. وكذا قياس مدى نمو الوعي الاجتماعي.

في عام ١٩٣٩م نشرت مجلة الرابطة العربية خبرًا تحت عنوان (مظاهرة في المكلا)، ولما يحمله الخبر من دلالات نورده هنا بنصه: " جاء من المكلا أنّ جمعًا غفيرًا من أهالي المكلا تجمهروا في الشارع الكبير وساروا نحو قصر المعين [القصر السلطاني] وصراخهم يملأ الفضاء قائلين: " لا نقبل البدع، لا نهضم الظلم، يكفينا ظلم الجمرك.." ، ولما شاهدهم حرس القصر توهموا أنّهم أمام ثورةٍ خطيرةٍ فأقفلوا أبواب الحوش بسرعة، ولكن ما هي إلا دقائق حتى حطّم الجمهور بابًا من أبواب الحوش، ويقول من شاهد الحادث إنّه لما وصل الخبر إلى المستر إنجرامس المستشار المقيم، ركب سيارته وخرج بها من باب جنينة الدار التي يسكنها، وتقع مقابل قصر السلطان، قاصدًا الدخول إلى القصر فحال المتظاهرون دون سيره بالسيارة مخترقًا جمعهم فترجل ومشى نحو القصر، ودخل على عظمة السلطان فإذا بوفد المتظاهرين هناك

يهدد بالهجرة إلى بلاد أخرى إذا لم يمتنع التدخل الأجنبي في شؤونهم ولاسيما الدينية منها، ومما قاله الوفد إنّ بلادهم فقيرة لا تهضم المشروعات الإصلاحية بالأساليب التي يريد العمل بها المستشار الإنجليزي، وإنهم يرحبون بكل مشروع إصلاحي يتفق وحالة بلادهم الاقتصادية... فردّ عليهم عظمته راجيًا أن يتفرقوا وقال لهم: " كلّ بدعةٍ مردودة، الآن أنا مسافر إلى حضرموت[الوادي] للزيارة، وعند عودتي يكون خيرًا إن شاء الله "[1].

سجل هذا الخبر صفحة مهمة من تاريخ حضرموت المعاصر عبّر فيه أهالي المكلا عن موقفهم إزاء السياسة الاستعمارية البريطانية الجديدة في بلادهم، ونستشف من الشعارات المرفوعة أن المتظاهرين خرجوا بعد أن تنامى سخطهم، وما نود الإشارة إليه هو إنعام النظر في مضامين الشعارات التي رفعها المتظاهرون وهي: (لا نقبل البدع) (لانهضم الظلم)، ويبدو أن من أطلق هذه الشعارات هم عناصر من النخبة الوطنية الواعية في المجتمع التي رأت في أن التحديثات المتسارعة في مؤسسات الدولة التي شرع فيها المستشار البريطاني إنجرامس لا تتناسب مع واقع المجتمع الحضرمي، أو ربما أطلقها عناصر تضررت من هذه الإجراءات، وكيفما كان الأمر، فإننا نستشف من وراء هذه المطالب موقف الرفض من الوجود الاستعماري ذاته الذي مثله إنجرامس وقتئذ، ولا نرى في شعار (لا نقبل البدع) شأنًا ما يتعلق بالدين؛ فمعاهدة الاستشارة نصت صراحة بقبول السلطان القعيطي مشورة المستشار البريطاني في كل الأمور ماعدا التي تتعلق بالدين الإسلامي والعادات.

(١) نفسه، المجلد السادس، الجزء١٣٣، ١١يناير ١٩٣٩م،ص٤٥.

أما التلويح بالهجرة من قبل وفد المتظاهرين فهو أقرب إلى الرجاء منه إلى التهديد لكنه كان طرحًا يؤشر إلى درجة جنينية من الوعي الوطني تجلى في التعبير عن الاعتراض على بعض الإجراءات الاقتصادية ولم يصل بعد لمرحلة الرفض لسياسة السلطنة القعيطية ذاتها، وهو أمر حدث في مرحلة تاريخية لاحقة عندما تظاهر سكان مدينة المكلا احتجاجًا على تعيين سكرتير(وزير) أجنبي للسلطنة القعيطية.

وكانت السلطنة القعيطية قد شهدت منذ تأسيسها وإلى ما قبل عهد الاستشارة فترة حكم (الوزارة المحضارية)؛ إذ تعاقب على هذا المنصب كل من : حسين بن حامد المحضار ثم ابنه أبوبكر ثم حفيده حامد بن أبوبكر[١]، وتماهيًا مع السياسة التي انتهجها المستشار إنجرامس في إسناد الوظائف الرسمية لغير الحضارمة، أسند منصب الوزير الأول (السكرتير) لشخص عماني من سكان جزيرة زنجبار شرقي أفريقية وهو: سيف بن علي البوعلي (١٩٣٩-١٩٥٠م)، وكان يتقاضى راتبًا كبيرًا من ميزانية السلطنة القعيطية[٢]، وقد اعتلى الوزارة في بدايات الحرب العالمية الثانية، وفي مدة توليه هذا المنصب شهدت حضرموت حراكًا ثقافيًا وسياسيًا، ففي عام ١٩٤٥م انتهت حركة ابن عبدات المتطلعة إلى

(١) للمزيد عن علاقة أسرة آل المحضار بالسلطنة القعيطية ينظر: حامد أبوبكر المحضار، صفحات من تاريخ حضرموت، ترجمة الزعيم السيد حسين بن حامد المحضار والسلطنة القعيطية.

(٢) غادر الشيخ سيف بن علي البوعلي المكلا يوم ١٨ ديسمبر١٩٥٠م بعد أن مكث في منصب سكرتير الدولة ما يزيد عن عشر سنوات ينظر: أحمد عوض باوزير، شهداء القصر، دار الهمداني للطباعة والنشر، عدن، ١٩٧٨م المرجع السابق، ص٦١.

الحكم، وتركت أصداءها المعززة للمشاعر الوطنية[١]، لكنها لم تستطع التحول إلى تيار منظم يلقى قبولًا في كل أرجاء حضرموت،[٢] واتسمت هذه المدة بدخول معظم القبائل في الصلح العام فتهيأت بذلك ظروف مساعدة للاستقرار. كما وجد المثقفون الحضارمة في الصحف العدنية التي صدرت في أثناء الحرب العالمية الثانية وما بعدها وعاءً عبروا فيه عن رفضهم للطريقة المتبعة في توظيف العرب والأجانب، وكشفوا للرأي العام مدى انتشار هؤلاء، في مفاصل الدولة ففي إحدى المقالات أشير إلى أبرز المناصب التي يتبوأها الأجانب ابتداء من: " سكرتير الدولة من زنجبار، وناظر المعارف من السودان، وناظر الجمارك من الهند، وقادة الأمن والشرطة والجيش من شرق الأردن، وقائم لواء حجر من زنجبار، وكذا رئيس محكمة الاستئناف، وناظر السجون من الأجانب[٣].

ويسجل الشعر الشعبي جانبًا من هذه السيطرة ذات الأثر السلبي في

(١) تعمدنا عدم التطرق للصراع القعيطي الحمومي وحركة ابن عبدات في مدينة الغرفة؛ لأن الدراسة معنية بتتبع المواقف الشعبية بعد التدخل البريطاني في حضرموت، ومعروف أن تلك الصراعات لها امتداداتها التاريخية قبل هذه المرحلة وهي بهذا لا علاقة لها مباشرة بالأوضاع المترتبة على السياسة الاستعمارية في حضرموت وإن استمر حضورها في المشهد السياسي إلى نهاية الحرب العالمية الثانية بخاصة حركة ابن عبدات في الغرفة. وللمزيد من المعلومات عن هذه الحركة ينظر: د. محمد سعيد داود، حركة ابن عبدات في الغرفة بحضرموت، من وثائق الندوة التاريخية، كلية التربية بالمكلا، ١٩٨٩م.

(٢) الحبشي، محمد عمر(الدكتور) اليمن الجنوبي سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، ترجمة إلياس فرح، خليل أحمد خليل، لدار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٦م، ص٨٧.

(٣) القدال، محمد سعيد، المرجع السابق،ص٩٢.

حضرموت، ولمّح إلى خيراتها التي تذهب بعيدًا عنها، وإلى سيطرة بعض الزنجباريين على حضرموت بخاصة السكرتير ونائب لواء حجر.من ذلك الشعر هذه الأبيات:

الـــخـــروصـــي قـــال نـــا زنـــدي قـــوي
والـــمـــكـــلا حـــقـــنـــا يـــآل الـــبـــوعـــلـــي
والـــزبـــيـــنـــة حـــجـــر تـــســـقـــى زنـــجـــبـــار
عـــلـــى خـــزى الـــســـلـــطـــان هـــو والـــمـــســـتـــشـــار[١]

إن هذه التعيينات جاءت بموافقة السلطان وبتدبير المستشار ولا يغيظهم ذلك في شيء، ومثل هذه الأبيات الشعرية غالبًا ما تكون عابرة للمناطق والبلدات، وتحقق أغراضها المباشرة، وتحمل دلالاتها اللاذعة، وستؤدي دورها التراكمي في الوعي الجمعي من هذه السياسة.

وقد رصدت المقالات التي أرسلها مراسل صحيفة النهضة العدنية تحت عنوان (رسالة حضرموت) جوانب من الحياة السياسية، وكذا موقف الأهالي من الموظفين الأجانب في تلك الأجواء التي سبقت ما يعرف في الأدبيات التاريخية الحضرمية بحادثة القصر (ديسمبر عام ١٩٥٠م). وتحتل هذه المقالات أهمية قصوى من الناحية التاريخية فقد مزج كاتبها بين شخصية الصحفي الناقل للأخبار، والمثقف الوطني الذي يحمل هموم وطنه[٢].

(١) نفسه، والصفحة نفسها.

(٢) للمزيد من المعلومات عن الأستاذ أحمد عمر بافقيه ودوره الصحفي، ونشاطه الوطني، ينظر: باذيب، محمد بن أبي بكر، السيد أحمد عمر بافقيه من رواد الصحافة العربية في القرن العشرين صفحات من حياته ونماذج من مقالاته، دار الفتح للدراسات والنشر، ٢٠٠٨م.

واحتلت الإشارات المتعلقة بالموظفين السودانيين في تلك المقالات حيزا لافتًا؛ إذ ذكرت الهمس الذي يدور في عاصمة السلطنة على تصرفات مدير المعارف في استقدام موظفين جدد من موطنه السودان إلى حضرموت[١]، ولم تغفل تلك الإشارات العلاقة الأخوية بين الحضارمة والسودانيين وفضلهم على حضرموت مع الدعوة إلى تعيين أبناء حضرموت من أصحاب الشهادات في الوظائف الرسمية، والوصول إلى أعلى المناصب[٢].

وفي هذه الأثناء شاع عند الأهالي في مدينة المكلا خبر تعيين سكرتير جديد للسلطنة القعيطية عِوضًا عن السكرتير سيف بن علي البوعلي المنتهي عقد ولايته في أكتوبر١٩٥٠م، وظهرت أصوات متناثرة تلمّح إلى ضرورة تعيين سكرتير وطني للسلطنة القعيطية[٣] أما الخطوات الشعبية المنظمة نجدها في العريضة التي تقدم بها وفد من عقلاء حارة البلاد في يوليو١٩٥٠إلى السلطان صالح القعيطي عبروا فيها عن رفضهم للمحاكم القنصلية وطالبوا بتنفيذ الأحكام الشرعية[٤]، وفي اليوم التالي قدموا له عريضة أخرى تضمنت الشكوى من ثلاث مسائل هي : وضعية الخيرية وطريقة صرف أموالها، طريقة توزيع ماء الشرب في المكلا، والضرائب الباهظة. ويبدو أن ما شجع على تقديم العريضة الأخيرة هو السلطان نفسه التي تفهم ما جاء في عريضتهم الأولى، وركزت هذه العرائض في مطالبها

(١) باذيب، محمد بن أبي بكر، المرجع السابق، ص، ٥٣٥
(٢) نفسه، ص،٥٥١
(٣) يعد كتاب شهداء القصر للمؤلف أحمد عوض باوزير أول كتاب تحدث عن حادثة القصر الشهيرة في المكلا عام ١٩٥٠م.
(٤) باذيب، محمد بن أبي بكر، المرجع السابق، ص، ٥٣٨.

على النواحي الحقوقية، لكنها حملت بعض الدلالات السياسية المتمثلة في الرغبة الشعبية في الخوض في بعض شؤون الحكم وحق الاعتراض على بعض الإجراءات الرسمية، وهذه الدلالات وإن لم تأخذ نسقًا مترابطًا واضح المعالم فلها أهميتها التاريخية في تقريب الهوة في العلاقة التقليدية بين الحكام والمحكومين.

وعندما جاء الرد سلبيًا على المطالب السابقة التي تبنتها فقط حارة البلاد أخذ رؤساؤهم بالتشاور مع الأحياء الأخرى في المكلا وذلك لتوحيد موقف الأهالي في كل حارات مدينة المكلا[١]، وتم تشكيل هيئة ممثلة للحارات مكونة من اثني عشر عضوًا.

وأول قرار اتخذته هذه الهيأة هو تقديم عريضة للمستشار المقيم تتضمن المطالب السابقة، وعلى أن تحمل العريضة الأخيرة توقيع أكبر عدد من الشعب، وقد وصف الصحفي أحمد عمر بافقيه تفاعل الأهالي مع هذه الخطوة قائلًا: "... وقد خصص لتسجيل التوقيعات في دار الحزب الوطني[٢] ثلاثة أيام بلياليها تبدأ بليلة الجمعة ١٥ سبتمبر [١٩٥٠]

(١) كانت مدينة المكلا مقسمة إلى ثلاث حارات هي حارة البلاد وهي نواة المدينة، والحارة، وحارة برع السدة (حي السلام حاليًا). للمزيد من المعلومات ينظر كتاب: سالم أحمد الخنبشي حارات المكلا، دار حضرموت للدراسات والنشر، ٢٠٠٥م.

(٢) أعلن عن تأسيس الحزب الوطني بمبادرة سلطانية في أبريل عام ١٩٤٧م وكان أبرز الداعين لقيامه هم من كبار موظفي الدولة، وتكونت سكرتاريته من: أحمد باعشن (قاضٍ) وعمر باحشوان (نائب ناظر المعارف) والشيخ عبدالله بكير (رئيس القضاء) وقام الحزب على ثلاثة مبادئ هي: الولاء للعرش القعيطي؛ تساوي الأفراد في الحقوق والواجبات؛ خدمة الصالح العام. ومما جاء في برنامجه: =

فما وافت هذه الليلة حتى كنت ترى العاصمة في حالة غير اعتيادية، والجو فيها مكهرب، وليس للناس حديث غير هذه الحركة والجماعات تفد زرافات ووحدانًا إلى دار الحزب بحيث لم يبق في تلك الليلة متسع لقدم، وما زالت التوقيعات مستمرة، وقد بلغت حتى مساء اليوم [١٦ سبتمبر] أكثر من ألفي توقيع"[١].

تؤشر هذه الحركة إلى درجة محدودة من درجات تطور الوعي الوطني؛ إذ بدأ الأهالي يدركون أن أمور الحكم ليست قدرًا محتومًا عليهم، وأنهم إذا ما وحدوا أصواتهم يمكن أن يشكلوا أداة ضغط تدفع لتحقيق المطالب المتعلقة بشؤون حياتهم، وفي غمرة هذه الأجواء المشجعة بدأ الحزب الوطني يضع مقترحاته في تعيين سكرتير وطني عِوضًا عن السكرتير المنتهي عقده. وكان الشائع في الدوائر الرسمية ترشيح القدال سعيد القدال وهو سوداني الجنسية وجيهان خان باكستاني الجنسية[٢]، ومرة أخرى سجل بافقيه تلك اللحظات المهمة في تاريخ حضرموت بمقال عنوانه (أسبوع البعث والخلود في حضرموت) واصفًا مظاهرة شارك فيها ما يقارب عشرة آلاف من سكان المكلا وذلك في يوم الأربعاء ١٣ ديسمبر ١٩٥٠م، وكتب: " ... وخرج الناس من منازلهم... فلم يكونوا يجتازون الأعتاب ويدلفون إلى الشوارع

= محاربة كل ما من شأنه أن يضر بالدولة وتنبيه الرأي العام إلى ذلك السعي لإيجاد مجلس تشريعي في الدولة تنتخب الأمة من يمثلها فيه، وفي مرحلة لاحقة تغيرت قيادات الحزب وأظهر نشاطا سياسيا وغير من أهدافه، وأغلق بعد حادثة القصر الشهيرة بعد أن زج بقياداته في السجن.

(١) باذيب، محمد بن أبي بكر، المرجع السابق، ص ٥٤٩

(٢) باوزير، أحمد عوض، شهداء القصر، ص٦١.

والأسواق حتى يشاهدوا عجبًا: حيوية جديدة وحركة غير عادية، وبلادًا غير التي ألفوها وشعبًا غير الذي عهدوه هذه منشورات ولافتات ملصقة بكل جدار تحمل معاني الوطنية (حضرموت تناديكم - تحيا حضرموت - رشحوا ابن الوطن، حضرموت تنتبه لمآلها.. إلخ) وتلك مظاهرات تطوف بالشوارع وتجوس خلال الديار مؤلفة من النابتة الناشئة رجال الغد تمشي أفواجًا أفواجًا وتهتف بعبارات الوطنية وتنشد الأناشيد الحماسية"[١].

وقد رفع المتظاهرون ثلاث لافتات كتبت عليها الشعارات الآتية: الأولى في مقدمة المظاهرة (الشعب يريد تحقيق مطالبه)؛ والثانية في الوسط (نريد سكرتيرًا وطنيًا)؛ والثالثة في الساقة (الوطن للوطني). والشعار عبارة عن تركيز حاد للأفكار، والتطلعات المواكبة للتطورات، وفي الخطاب الذي تقدم به المتظاهرون إلى ولي العهد الأمير عوض بن صالح القعيطي[٢]، جاء فيه: " نحن نعتقد ونجزم أن الحكومة والشعب شيء واحد، غير أن للحكومة امتيازًا هو بمثابة امتياز مقام الأبوة، والشعب كالولد ولابد للولد من التمتع بحقوقه كاملة مع الحرية التامة"[٣].

إن القراءة التاريخية لهذه الشعارات المرفوعة والعرائض المقدمة ستساعدنا على تتبع كيفية تبلور موقف الأهالي المواكب لمجريات الأحداث في حضرموت، ولاسيما حاضرتها مدينة المكلا، وواضح من صيغ الشعارات حصول تطور لافت في الرؤية الوطنية، فبعد أن كانت

(١) نفسه، ص٥٧٤

(٢) غادر السلطان صالح المكلا في ٢٥سبتمبر ١٩٥٠م.

(٣) باذيب، محمد بن أبي بكر،المرجع السابق، ص ٥٨١.

المطالبات لا تقترب من شؤون الحكم صارت تحتل الصدارة وتنظر إلى الحقوق السياسية بوصفها إرادة شعبية واضحة يجب تحقيقها. إن هذه الشعارات تستحق الكثير من الوقفات التأملية، وما نود الإشارة إليه بخصوصها أن ترتيبها لم يكن جزافًا، بل عكست التدرج التصاعدي للمطالب الشعبية، فالشعار الأول أشار إلى المطالب الداخلية التي سبق تقديمها وهي تخص مدينة المكلا؛ والشعار الثاني حدد مطالب الشعب بأعلى منصب في السلطنة القعيطية بعد منصب السلطان (السكرتير). بينما رفع الشعار الثالث سقف المطالب ليشمل حضرموت كلها وبنية الحكم فيها، وحدد أن الوطن لأبنائه وليس للأجانب.

وعلى الرغم من الشحن النفسي العاطفي الذي ميز تلك التحركات العارمة فإنها مضت في جو سلمي دون حوادث تذكر، ورصد بافقيه تلك اللحظات بأسلوب لا يخلو من الحماسة قائلا: " مر الأسبوع المنصرم على هذه العاصمة حافلًا بأحداث جسام، من حقها أن تمنحه صفة الخلود. . .يقف عندها المؤرخ فيقول: هنا ينتهي تاريخ، ويبدأ تاريخ! هنا تنطوي صفحة من تاريخ الشعب الحضرمي، تغيّم فوق سطورها سحابة سوداء من اليأس، ويجللها إطار قاتم من الخنوع والخذلان، لتبدو صفحة أخرى مشرقة مضيئة، كلها قوة وإشعاع وتضامن وإيمان"[1].

إن هذه المشاعر الجارفة، والآمال الكبيرة المعقودة ستقربنا إلى فهم الأحداث اللاحقة التي شهدتها مدينة المكلا، فالسلطان صالح القعيطي قطع إجازته وعاد من حيدر آباد مستشعرا خطورة هذه المطالب التي لامست ما يراه من صميم صلاحياته، وأول إجراء قام به هو دعوة مجلس

(١) نفسه، ص ٥٧٣.

الدولة للاجتماع والموافقة على تعيين القدال سكرتيرًا للسلطنة. ويرى بعض المؤرخين أن السلطان نزل في هذا التعيين عند إرادة المستشار البريطاني (بوستيد)[١]، وسواء كان ذلك إرادة السلطان أم مستشاره فإن هذا الاختيار جاء صادمًا لإرادة الأهالي، وفي اليوم التالي ٢٧ ديسمبر تقدم وفد من الأهالي للسلطان صالح وقدم له مطالبه المتضمنة تعيين سكرتير وطني، وقد تناولت بعض الدراسات التاريخية[٢] تفاصيل اللقاء وما أعقبه من تداعيات أدت إلى مصادمات بين رجال الأمن والمتظاهرين أسفرت عن استشهاد أكثر من سبعة عشر رجلًا من سكان مدينة المكلا، وهو أول صدام أهلي (غير قبلي) بين السلطنة القعيطية ممثلة في قواتها الأمنية والسكان المدنيين.

وقد تساءل المؤرخ محمد بامطرف عن قيمة المطالب بتعيين سكرتير دولة أجنبي أو محلي في ظل الأوضاع الاستعمارية، وفي السياق نفسه أجاب بأنه لن يختلف اثنان في أن تلك المطالبة لم تكن ذات قيمة سياسية على الإطلاق[٣]؛ بينما يرى أحمد عوض باوزير أن تلك الأحداث لم تكن مجرد تظاهرة عابرة ترمي إلى تحقيق غاية معينة بقدر ما كانت دلالة مهمة لصوت المعارضة الذي أخذ يرتفع لأول مرة ضد مشيئة السلطان الذي تعود من رعاياه الطاعة والولاء التام[٤] لقد تناولت الكثير من

(١) باوزير، أحمد عوض شهداء القصر، ص٦٢

(٢) ومن أشهر الدراسات التي تناولت هذه الحادثة هي كتاب أحمد باوزير(شهداء القصر)، وكتاب محمد سعيد القدال (القدال باشا معلم سوداني في حضرموت) المشار إليهما في هوامش هذه الدراسة.

(٣) جاء ذلك في تقديمه لكتاب: باوزير، أحمد عوض، شهداء القصر، ص٦

(٤) نفسه، ص٢١.

الدراسات حادثة القصر وحاولت الاقتراب منها وفقًا لأحكام مسبقة أو بنوازع ذاتية أو أوضاع سياسية ضاغطة فأصابها شيء من رذاذ أربك بوصلتها التاريخية، وفي اعتقادنا أن هذه الاجتهادات على الرغم ما لها من قيمة تاريخية فإنها توقفت عند حادثة القصر ذاتها، وأهملت ما وراءها من آفاق تمكّن الباحث _ بعد تجميع خيوطها، وإنعام النظر في ملابساتها_ من أن يضعها في إطارها التاريخي المناسب.

ولهذا فإن حادثة القصر في جوهرها ما هي إلا تعبير عن موقف عميق منطلق من الذات الحضرمية التي شعرت بالمهانة من تسيّد العرب والأجانب على مفاصل الحكم والوظائف في حضرموت، وهي بهذا حركة واعية بحسب ظروف عصرها من أجل الكرامة الوطنية رغم الملابسات والتداخلات التي اتصفت بها، كما أنها أيضًا تعبير منطقي عن تراكم كمي معارض لمنظومة السياسة الاستعمارية البريطانية في حضرموت.

الخلاصة

تأرجح موقف الحضارمة في الأعوام الأولى من التدخل البريطاني في شؤون حضرموت بموجب معاهدة الاستشارة، فبينما عوّل البعض منهم على مقدرة البريطانيين في إحداث تحولات لصالح المجتمع الحضرمي مسنودًا بالرواية الرسمية التي تؤكد على سلامة التعاون بينهما، هناك من رفض العلاقة مع البريطانيين وقد عبر عن هذا الموقف عن طريق الشعر الشعبي والمقالات التي كتبها المثقفون الحضارمة في الصحف المصرية والمهجرية. والعرائض التي قدمت للسلطان، وكان الصوت الحضرمي المهجري هو البارز في هذه المرحلة.

وإذا سلّمنا بأن الوجود البريطاني في حضرموت لا يمثل عملًا خيريًا

إنسانيًا وإنما يخدم أهدافه الاستعمارية القريبة منها والبعيدة فإنه لابد من الإشارة إلى أن هذه الأهداف لا تعني خطًا عدائيًا تجاه مناطق مصالحها لهذا لابد من النظر إلى أن بعض السياسات الإصلاحية جاءت لصالح المجتمع الحضرمي مثل فرض معاهدة السلام وتحديث التعليم والمؤسسات العسكرية والمدنية، وهي وإن كانت تحت التوجيه البريطاني لكنها في حقيقتها جزءٌ من البناء المؤسسي لمنظومة الحكم في حضرموت باعدت بين نظمها التقليدية السائدة، وقربتها إلى أشكال الدولة الحديثة ذات المؤسسات المنظمة، لهذا لم يكن الموقف الحضرمي على وتيرة واحدة، وعلى العموم استمرت التوجسات والشكوك ملازمة للوجود البريطاني.

أدت السياسة البريطانية التي قامت على الاعتماد في إسناد الوظائف الرسمية_ صغيرها وكبيرها_ للعرب والأجانب دون مراعاة لمشاعر الأهالي إلى تصاعد حالة عدم الرضا عند الحضارمة ولاسيما بعد الحرب العالمية الثانية، وهذه الحالة التي ربما تكون شكلية في وجود سلطة المستشار البريطاني التي تتجاوز فعليًا صلاحيات السلطان فإنها كانت مرحلة منطقية لمراحل نمو الوعي الوطني؛ إذ شكلت مع العوامل الأخرى موقفًا جمعيًا حرك نظرة الحضارمة نحو السلطة من مجرد رعايا عليهم السمع والطاعة إلى مواطنين يبحثون من خلال هذه السلطة عن حقوقهم ومصالحهم.

وبغض النظر عن مدى اقتناع السلطان صالح بالسياسة البريطانية التي يعدها ضرورية لتطوير البلاد فإنه على ما اتصف به من الاهتمامات العلمية، والرغبة الحقيقية في تنمية المجتمع الحضرمي لم يهتم بالجوانب السياسية، ولم يُعر الأصوات التي تدعو إلى استقلال القرار الحضرمي الاهتمام اللائق؛ لأنه يرى ذلك من اختصاصه، وهذا ما عقّد الأمور أمام السلطنة وجعلها تدخل في تحديات غير متوقعة، أو بالأحرى غير محسوبة بدقة.

تأرجح موقف المثقفين الحضارمة تجاه السياسة البريطانية بين التأييد والرفض، والتأييد لا يعني التحالف مع البريطانيين أو الركون إليهم، بل هو التعاطي المرن مع المستجدات التي ربما وجدوا فيها حلولًا لمشكلات المجتمع الملحة وقتئذ وفوائد لمستقبل لحضرموت رغم ما يشوب ذلك من رمزية غير مقبولة عند الأهالي، وعمومًا هي رؤية ربما تكون أقرب إلى الواقعية السياسية لاسيما أنها تبلورت قبل أن تسفر السياسة البريطانية عن أهدافها بعيدة المدى، ومن جانب آخر أسهمت البنية الاجتماعية التقليدية السائدة في تأخير ظهور المواقف المعارضة المنظمة وبخاصة بعد أن تغلغلت السيطرة الأجنبية وأسفرت عن مظاهر غير مقبولة، ولهذا كان الصوت المعارض في بداياته أقرب ما يكون إلى المثالية السياسية لكنه لم يحاول القفز على المراحل، ويمكن أن نعد المظاهرة التي شهدتها مدينة المكلا أواخر ديسمبر ١٩٥٠م - رغم بعض التحفظات - تتويجًا لسلسلة المواقف الوطنية الرامية لجعل حضرموت بمنأى عن فك الأسد البريطاني.

تركز خطاب الصوت المعارض على رفض ربط حضرموت بالاستعمار البريطاني، وليس تغيير النظام السلاطيني ذاته، وتشير رمزية المطالبة بوزير (سكرتير) وطني عام ١٩٥٠م إلى وصول خط المعارضة إلى حد المطالبة بالشراكة في السلطة، وليس فقط التطلع إلى منصب رفيع فيها، وهي مرحلة يمكن وصفها بحسب عصرها بالخطوة المتقدمة في الوعي السياسي للمجتمع الحضرمي.



دور الدَّلَل في مجتمع مدينة شبام حضرموت (١٨٥٧م-١٩٦٧م)*

الملخص

اشتهرت مدينة شبام؛ بوصفها أحد أهم المراكز التجارية في وادي حضرموت، كما ارتبطت في مخيلة الكثيرين بمبانيها العالية ونمطها المعماري التقليدي، وهذه الدراسة التاريخية شبه الميدانية تحاول التغلغل في بعض تفاصيل الحياة الاجتماعية تحت جدران هذه المباني، ودراسة ما يمكن وصفه بثقافة السوق، ودور فئة الدَّلَل فيه، وقد درجت الدراسات والمؤلفات التاريخية الحديثة المتعلقة بتاريخ حضرموت في التركيز على تناول الجوانب السياسية، أما حظ الدراسات التاريخية الاجتماعية فما يزال محدوداً؛ وذلك لصعوبة تتبع الإشارات عن الحياة الاجتماعية في ثنايا المصادر، وتكمن أهمية فئة الدَّلَل في قيامهم بالدور المزدوج في مجتمع مدينة شبام وهو: الوساطة التجارية (مهنتهم الرئيسة)، والتدخل في تناقضات المجتمع القبلي، وبخاصة بين القبائل المحيطة بمدينة شبام. وهذا الدور المزدوج الذي يبدو بعيد الارتباط بين أطرافه خلق - مع عوامل أخرى - ما يمكن وصفه بظاهرة الدَّلَل في مجتمع مدينة شبام،

---

* مجلة جامعة حضرموت للعلوم الإنسانية، تصدر عن جامعة حضرموت(مقبول للنشر).

وهي ظاهرة تعددت الاجتهادات في تفسيرها، وتضاربت نظرة المجتمع حيالها.

أولاً: لمحة عن التطورات السياسية في مدينة شبام

تقع مدينة شبام على ربوة مرتفعة إلى الشمال من مجرى وادي حضرموت الرئيس[١]، واستناداً إلى ما ورد ذكره في المصادر الكلاسيكية الإسلامية ذكر المؤرخ السقاف أن لا مدينة في داخل حضرموت إلا هي ومدينة تريم[٢]، وتؤكد الشواهد التاريخية أن بداية ظهور هذه المدينة موغل في القدم، فقد ذكرت في النقوش القديمة؛ بوصفها حاضرة من حواضر حضرموت القديمة في ضمن ذكر تلك المصادر لحواضر سبقتها من حيث الظهور والشهرة[٣].

وقد حفلت مدينة شبام بالأحداث التاريخية لاسيما بعد ظهور الإسلام ودخول الحضارمة طواعية فيه، وبهذا دخلت شبام في منظومة الحكم السياسي في دولة الإسلام الفتية، وعاصمتها المدينة المنورة. واختيار عامل الرسول (ﷺ) زياد بن لبيد الأنصاري الخزرجي البياضي[٤] لأن تكون مدينة شبام مقراً لحكمه يدل على موقعها الاستراتيجي، وعلى

(١) صالح أحمد باخبيرة، تقرير عن الحملة الوطنية والدولية لصيانة مدينة شبام وآثار وادي حضرموت، مقدم إلى الندوة العلمية لصيانة مدينة شبام وآثار وادي حضرموت، جامعة عدن، ١٩٨٨م، ص٦

(٢) عبدالرحمن بن عبيد الله السقاف، إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت،دار المنهاج للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى٢٠٠٥م، ص٥١٩

(٣) نقش القائد يعمر أشواعوأخيه زيد قوم sh -٣٢)).

(٤) محمد أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، دار المهاجر للنشر والتوزيع، المدينة المنورة،١٩٩٤م، ص٨٧.

أهميتها السياسية .

وفي أواخر عهد الدولة الأموية جربت مدينة شبام الفعل السياسي المباشر من خلال تزعمها للثورة المناهضة للحكم الأموي وهو ما يعرف في المؤلفات التاريخية بثورة عبدالله بن يحيى الكندي (طالب الحق)[١]. وقد حوّلت هذه الثورة - بغض النظر عن نتائجها - مدينة شبام لفترة من الزمن من مدينة نائية في جنوب الجزيرة العربية إلى مركز محرك للأحداث، وخلال القرون الإسلامية المتوالية خضعت شبام بطريقة مباشرة وغير مباشرة لحكم القوى المركزية في داخل حضرموت، وفي خارجها. ثم عرفت نوعاً من الاستقلال السياسي عندما ظهرت في حضرموت ما عُرِفَ بدويلات المدن، أو الدويلات المحلية[٢].

ودخلت شبام في مرحلة جديدة من تاريخها بعد أن تمكن السلطان علي بن عمر الكثيري في عام ١٤٢١م من السيطرة عليها، وضمها لممتلكات السلطنة الكثيرية الفتية، لكن سرعان ما نشب الصراع والانقسام في صفوف الأسرة الكثيرية إلى أن تمكن السلطان بدر بن عبدالله الكثيري الملقب (بوطويرق) من إعادة السيطرة عليها وذلك في عام ١٥١٩م[٣]،

(١) سعيد عوض باوزير، صفحات من التاريخ الحضرمي، دار الوفاق للدراسات والنشر، الطبعة الثالثة، ٢٠١٢م،ص٦٧. وينظر:محمد أحمد الشاطري، المرجع نفسه، ص١٢٧.

(٢) د.سرجيس فرانتسوزوف، تاريخ حضرموت الاجتماعي والسياسي قبيل الإسلام وبعده، تقديم وتعريب د. عبدالعزيز جعفر بن عقيل، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية صنعاء، ٢٠٠٤م، ص١٩٧

(٣) محمد بن عمر الطيب بافقيه، تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، مكتبة الارشاد، الطبعة الأولى، صنعاء، ١٩٩٩م، ص١٥٠.

واستمرت تحت حكمهم إلى أن زالت هذه السلطنة في العقد الرابع من القرن الثامن عشر الميلادي.

وبعد زوال السلطنة الكثيرية تحوّلت معظم المدن والبلدات الحضرمية إلى القوى اليافعية التي استأثرت بالحكم في المناطق المتمركزة فيها، لكن هذه المناطق لم تكن خاضعة لسلطة واحدة مما أوجد حالة من التمزق السياسي في حضرموت[١].

وفي عام ١٨٠٣م عاد جعفر بن علي بن جعفر الكثيري إلى حضرموت من بلدة (برودة) بالهند حيث كان مهاجراً فيها، وتزعم الحركة المناهضة لليافعيين في حضرموت، وبعد أن حشد المؤيدين لإعادة السلطنة الكثيرية نجح في عام ١٨٠٦م من السيطرة على نصف شبام وعلى سيئون، كما استولى على تريم في عام ١٨٠٧م، لكنه لم يستطع الاحتفاظ بما تحت يده؛ إذ تمكن اليافعيون من استعادة المناطق التي فقدوها[٢].

لم تكن هذه التطورات نهاية المطاف في الصراع اليافعي الكثيري في السيطرة على حضرموت، ولاسيما مدينة شبام، فما أن يسيطر عليها طرف حتى يسيطر عليها طرف آخر أو يقاسمه السيطرة عليها في اتفاقات أقرب ما تكون إلى الهدنة منها إلى التصالح وتبادل المصالح، وفي عام ١٨١٨م

---

(١) محمد عبدالكريم عكاشة، قيام السلطنة القعيطية والتغلغل الاستعماري في حضرموت (١٨٣٩- ١٩١٨م)،دار ابن رشد للنشر والتوزيع، عمّان، ١٩٨٥م، ص٣٦.

(٢) ثابت صالح اليزيدي، الدولة الكثيرية الثانية في حضرموت، (١٨٤٥-١٩١٩م) الناشر: جامعة عدن- ودار الثقافة العربية، الطبعة الاولى، ٢٠٠٢م، ص ١٢٤-١٢٥.

- نتيجة لاحتدام الصراع في صفوف الأسرة الكثيرية - انتقل الحكم في شبام إلى عمر بن جعفر بن عيسى بن بدر الكثيري (آل عيسى)[١].

وفي خضم التجاذبات الكثيرية اليافعية واجهت دويلة آل عيسى بن بدر في شبام تحديات كبيرة أحدثت انقلابًا جوهريًا في تركيبة الحكم في حضرموت وذلك عندما تصدّر الساحة السياسية كلٌّ من غالب بن محسن الكثيري و(الجمعدار) عمر بن عوض القعيطي، فقد كان لكلٍّ منهما تطلعات ذات أهداف متنوعة، وبإمكانات مادية مدعومة من ثرواتهما في حيدر أباد بالهند تفوق إمكانات القوى التقليدية في حضرموت.

كانت الخطوات التوسعية لغالب بن محسن الكثيري هي الأسرع وعلى حساب السيطرة اليافعية في أهم مدن وادي حضرموت، ففي عام ١٨٤٥م سيطر الكثيريون على مدينة تريم، وفي عام ١٨٤٧م سيطروا على مدينة سيئون، ولحقتهما مدينتا تريس ومريمة[٢]. وقبل ذلك وبالتحديد في عام ١٨٣٩م تمكَّن عمر بن منصور الكثيري من طرد اليافعيين من شبام[٣].

وقد لقيت هذه التطورات صدى كبيراً في الأوساط اليافعية في حضرموت؛ إذ رأوا فيها تهديدًا لوجودهم الفعلي في حضرموت؛ لهذا أرسلوا إلى (الجمعدار) عمر بن عوض القعيطي رسائل عدة يستنجدون به لدرء هذه المخاطر[٤]، وكان عمر بن عوض القعيطي قد اشترى قبل ذلك

(١) د. محمد عبدالكريم عكاشة، المرجع السابق، ص٥٥.
(٢) سعيد عوض باوزير، المرجع السابق، ص٢٤٩.
(٣) ثابت صالح اليزيدي، المرجع السابق،ص١٣٠.
(٤) محمد عبدالقادر بامطرف، في سبيل الحكم، دار الهمداني للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، عدن،١٩٨٣م، ص٣٤.

منطقة الريضة - التي تقع بالقرب من مدينة القطن - من السادة آل العيدروس عام ١٨٣٩م؛ ليجعل منها نواة لدولته القعيطية في حضرموت[١].

وفي ضوء هذه التطورات استولى القعيطيون على مدينة شبام في عام ١٨٥٧م [٢] وظلت تحت حكمهم إلى أن سقطت السلطنتان الحضرميتان القعيطية والكثيرية في عام ١٩٦٧م[٣]. وقد تناولت مصادر تاريخ حضرموت تفاصيل الصراع السياسي في حضرموت، ونهاية الكيانات السياسية القديمة، سواء كانت يافعية أو كثيرية، لتفسح المجال أمام القوى الجديدة التي مثلها كل من أسرة (الجمعدار) عمر بن عوض القعيطي وأسرة السلطان غالب بن محسن الكثيري.

ثانياً: الأهمية التجارية لمدينة شبام

١- مكانة شبام التجارية:

بدخول شبام تحت السيطرة القعيطية بدأت صفحة جديدة من تاريخها؛ إذ تحولت من مركز سياسي تعصف به الأحداث وتؤثر فيه بشكل مباشر إلى مدينة دخلت في دائرة أمنية جديدة مثلتها السلطنة القعيطية. وقد ساعدت عوامل محلية ودولية في تعزيز مكانة شبام التجارية، ففي هذا العهد تمكن القعيطيون عام ١٨٦٧م من السيطرة على

(١) محمد عبدالكريم عكاشة، المرجع السابق، ص ٥٩.

(٢) للمزيد من المعلومات عن هذا الصراع ينظر: محمد عبد القادر بامطرف، في سبيل الحكم.

(٣) صحيفة الطليعة، سياسية أسبوعية، صاحب الامتياز ورئيس التحرير أحمد عوض باوزير، العدد ٣٩٤/ ١١أكتوبر ١٩٦٧م،ص١.

مدينة الشحر[١] التي تعد ميناء حضرموت الأول في العصور الوسطى وإلى مطلع القرن العشرين، وتفيدنا المصادر التاريخية بمعلومات تؤكد على قدم العلاقات بين المدينتين التي تجاوزت في بعض ملامحها المنافع التجارية إلى الامتدادات العائلية باستقرار بعض العائلات الشبامية في مدينة الشحر[٢]، وفي عام ١٨٨١م استولى القعيطيون على مدينة المكلا.

وعلى أية حال فإن سيطرة القعيطيين على ساحل حضرموت يعني سيطرتهم على الموانئ البحرية، وعزّز هذا من مكانة مدينة شبام التجارية؛ إذ صارت الموانئ الحضرمية بيد الدولة القعيطية.

كما أنَّ ارتباط القعيطيين باتفاقيات صداقة وحماية، ثم استشارة مع السلطات الاستعمارية البريطانية في عدن [٣] جعل السلطنة القعيطية تدخل

(١) عبدالله بن محمد باحسن جمل الليل، نشر النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية، دراسة وتحقيق، د. محمد يسلم عبدالنور، تريم للدراسات والنشر، تريم ٢٠١٠م، ص٤٧١.

(٢) محمد عبد القادر بامطرف، الشهداء السبعة، الطبعة الثانية دار الهمداني للطباعة والنشر، عدن، ١٩٨٣م، ص٣١، وأشار إلى أنه في بداية القرن السادس عشر الميلادي كان يطلق على سوق من أسواق الشحر بـ (سوق شبام) وما تزال هذه التسمية تطلق على سوق من أسواقها.

(٣) تغير مسمى المعاهدات بين السلطات البريطانية في عدن والسلاطين القعيطيين بحسب مقتضيات الأمور وتقلبات الأحوال فبعد أن سيطر القعيطيون على المكلا عام ١٨٨١م، وقع الجانبان على معاهدة صداقة في ١٩ مايو ١٨٨٢م، التزم بموجبها القعيطي بأن لا يبيع أو يرهن أي جزء من ممتلكاته لأي دولة غير الحكومة البريطانية، ولا يدين بالولاء لأية دولة أو يعترف بسيادتها دون موافقة بريطانيا. ولإبعاد التغلغل الأجنبي في المنطقة وبخاصة العثمانيين الذين سيطروا على صنعاء في عام ١٨٧٢م فرضت بريطانيا على القعيطيين معاهدة الحماية في ١ مايو =

في النظام الأمني للإمبراطورية البريطانية، ولاريب أن ذلك ينتقص من السيادة الوطنية ولكن على الصعيد الاقتصادي - ولو في حدود ضيقة - يساعد على انسيابية الحركة التجارية.

وقد تفاعل التجار الشباميون مع هذه التطورات، ولم يتقوقعوا داخل مدينتهم، بل قامت بعض العائلات التجارية بتوسيع نشاطها التجاري في المدن والموانئ الرئيسة، وافتتحوا لأنفسهم ما يشبه المحطات التجارية، وصاروا حلقة الوصل بينها وبين مراكز عائلاتهم في مدينة شبام، وعلى أية حال فإن هذه التحولات التي يمكن وصفها بالمهمة ربطت شبام بحركة التجارة الخارجية.

وللّتجار مكانة خاصة في المجتمع الشبامي بحكم تجارتهم وثرواتهم، واشتهروا بالمهارة والحنكة في ترويج بضائعهم[١]، وكان يضرب بهم المثل في حصافتهم، حتى أن بعض التجار في المدن الحضرمية الأخرى يبعثون أبناءهم إلى شبام للعمل عند التجار من غير مقابل إلى أن يتمرنوا على التجارة وطرق الكسب[٢]. ومن أشهر العائلات التجارية الشبامية : آل باذيب، وآل جبر، وآل التوي، وآل باعبيد، وآل باشمّاخ، وغيرهم[٣].

= ١٨٨٨م، وبعد تحول عدن إلى مستعمرة تاج تابعة لوزارة المستعمرات وبسبب الأزمات التي مر بها نظامها الاستعماري حينئذ أبرمت بريطانيا معاهدة الاستشارة مع السلطنة القعيطية في ٣١ أغسطس ١٩٣٧م.

(١) صالح أحمد باخبيرة، المرجع السابق، ص٨

(٢) صلاح البكري، تاريخ حضرموت السياسي، الجزء الثاني، دار الاوقاف العربية، الطبعة الأولى ٢٠٠١م، ص١٣٤.

(٣) عبدالرحمن بن عبيد الله السقاف، المرجع السابق، ص٥١٨.

٢- أهم الأنشطة الاقتصادية:

ينطبق على مدينة شبام من حيث النشأة ما ينطبق على المدن الحضرمية التي نشأت بجانب القرى الزراعية أو على النقاط الاستراتيجية، وتمتعت مدينة شبام بالميزتين التجارية والزراعية مما أكسبها أهمية خاصة بالنسبة لهذه المدن؛ إذ صارت أهم مركز تجاري في وادي حضرموت[١]. وقد ارتبط الازدهار التجاري لمدينة شبام بالمرحلة التاريخية التي كانت حركة التجارة تعتمد على قوافل الجمال التي يملكها رجال القبائل البدوية، ويتولون نقل البضائع وحمايتها.

وكانت ترد إلى مدينة شبام القوافل التجارية من مناطق حضرموت ومن خارجها، وبخاصة تلك التي تقدم من مدينة صنعاء، ومدينة عدن، وبئر علي، وظفار. وذكر (إنجرامس) العديد من المناطق التي تمر بها هذه القوافل وهي في طريقها إلى شبام، وقدر عدد الجمال التي تدخلها شهريًا ما بين ٤٠٠ - ١,٠٠٠ جمل محمّل، كما يدخل أيضا ١,٠٠٠ جمل من صنعاء سنويًا في ثلاث أو أربع قوافل[٢] ويؤكد هذا الخط الطويل والمتنوع للقوافل الواردة إلى شبام على أحقيتها بأن تكون مركزا اتجاريًا

(١) محمد عبدالكريم عكاشة، بحث مقدم إلى الندوة العلمية لصيانة مدينة شبام وآثار وادي حضرموت، جامعة عدن، ١٩٨٨م، ص٣.

(٢) دبليو اتش إنجرامس، حضرموت ١٩٣٤-١٩٣٥م، تعريب د. سعيد عبد الخير النوبان، دار جامعة عدن للطباعة والنشر،عدن، ٢٠٠١م، ص٧٤. وقد زار (هارولد إنجرامس) حضرموت عام ١٩٣٤م وكتب تقريرًا عن أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وتحدث فيه عن طرق القوافل التجارية التقليدية المتجهة إلى وادي حضرموت، وأجور النقل، وقدر قوافل الجمال التي تخرج إلى حضرموت الداخل سنويا من خارج البوابة الغربية لمدينة المكلا بـ٥٠,٠٠٠ - ٥٣,٠٠٠ جمل ومن الشحر عدد القوافل ٣٠,٠,٠-٣٢,٠٠٠ جمل.

وملتقى يتداخل فيه الناس باختلاف مناطقهم، وعاداتهم المحلية، وتعدد بضائعهم.

ومن أبرز السلع التي ترد إلى شبام سواء كانت من مناطق حضرموت أو من محيطها أو ما يتم استيراده من مواطن المهاجر: الحبوب بأنواعها، والبلح، والعسل، والتبغ، والزيوت، والسمن، والمواشي، والأرز، والسكر، والبن، والشاي، والمنسوجات بأنواعها، والبنادق[١]، وبهذا احتلت شبام مكانتها التجارية بجدارة، وفي أربعينيات القرن الماضي زار المؤرخ صلاح البكري مدينة شبام ووصفها قائلاً: " موقع شبام مهم من الناحيتين الاستراتيجية والاقتصادية، فسوقها أعظم أسواق حضرموت، وأسعار الحاجيات ترتبط إلى حد ما بأسعارها في سوق شبام، فهي أشبه بالبورصة التجارية، والشباميون مشهورون بالنشاط، وحب الحركة والعمل، ولذا لا تجد أحدًا منهم يقبع في داره بالنهار إلا المرضى والعجائز، وهذا عكس الحال في سيئون وتريم"[٢]. إن هذه الحركة التجارية الكبيرة في مدينة شبام ما كانت لتمضي بجهود العائلات التجارية الشبامية وحدها، بل برزت عائلات أخرى مارست دور الوسيط التجاري، وتركت بصمات في مجتمع مدينة شبام، ومحيطها القبلي.

ثالثا: الدَّلَل في مدينة شبام

١- مفهوم الدَّلَل لغة واصطلاحًا:

الدلّال؛ كلمة عربية فصيحة تعني الشخص الذي ينادي على السلع

(١) علي بن عقيل، حضرموت، مطبعة سوريا، دمشق، ١٩٤٩م، ص٣٠

(٢) صلاح البكري، في جنوب الجزيرة العربية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٨٨.

للبيع، أو الذي يجمع بين البيِّعين والاسم الدَّلالة والدِّلالة، وجمعها دلل[١]، ولها عند الحضارمة معان إضافية منها: التوسط في الصلح بين القبائل، أو المناداة بالإشعارات القبلية أو الحكومية، وفي نظام التراتب الاجتماعي في حضرموت وضع المؤرخ بامطرف تراتبية الدَّلَل في فئة المساكين، وقال إنهم من أسوأ مروجي الفتن ومثيريها بين القبائل من جهة، وبين القبائل والسلاطين من جهة أخرى، و بأنهم السبب في إزهاق العديد من الأنفس البريئة بين القبائل وغيرهم[٢].

وينتشر الدَّلَل في معظم حواضر حضرموت، وتتفاوت أدوارهم في مناطق استقرارهم بحسب أهمية المنطقة التي يعيشون فيها، ففي حين يمارس البعض منهم دور الوسيط التجاري في عملية البيع والشراء صغيرها وكبيرها، هناك من يتجاوز هذا الدور الاقتصادي إلى الدور الاجتماعي والسياسي، ففي بعض القرى كان الدلال هو المتحدث باسم المنطقة أو القرية في حالات التعامل مع الغرباء، وفي فحص جودة البضائع المجلوبة ومقاربة ما تستحق من سعر[٣]، وهي بلا شك ميزة تتطلب خبرة خاصة، وجرأة في المجادلة.

والدَّلَل عمومًا يعدون من فئات المجتمع الحضري في حضرموت التي لا يحمل أفرادها السلاح[٤]، وهم وإن تماسوا بمسافة محسوبة مع

(١) ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثاني، باب الدال. ص١٤١٤

(٢) محمد عبدالقادر بامطرف، المعلم عبدالحق، الطبعة الثانية، دار الهمداني، ١٩٨٣م، ص٢١١

(٣) المؤرخ عبد الرحمن عبد الكريم الملاحي، مقابلة شخصية في منزله بمدينة الشحر، يناير ٢٠١٣م

(٤) كان رجال القبائل هم الفئة المسلحة في المجتمع من غير الجنود الرسميين =

المجتمع القبلي المجاور لأماكن استقرارهم فإنهم لا يتدخلون بصورة مباشرة في الصراعات القبلية، ولا يكتوون بنارها. والعلاقة بين الدَّلَل في حضرموت ورجال القبائل علاقة قديمة[١]، ارتبطت بالحركة التجارية، ونسجت بدوافع المصالح المتبادلة، وعززها الدَّلَل بخبرات اكتسبوها جراء تعاملهم المتكرر مع القادمين من مناطق الأرياف إلى المراكز الحضرية، وساعد عدم حملهم للسلاح، وعلاقاتهم الخاصة مع القبائل على حرية حركتهم، وأحيانًا التحدث باسم (قبائلهم) في التسويات بين القبائل، وبهذا يمكن وضعهم في خانة السفراء الذين يهيئون الأجواء قبل أن تبرم الاتفاقات بشكلها الرسمي بين أطراف النزاع.

وقدم الموروث الشعبي الحضرمي وبخاصة الشعر العامي بعض الصور السلبية غير المباشرة عن فئة الدَّلَل، من ذلك قول الشاعر صالح عبد الرحمن المفلحي:

على كتف الدَّلَل تفحسك في الأسواق كل يد
وعرضوا بزّك البالي على أبيض وأسود [٢]

ويقول شاعر آخر:

= وهذه الوضعية تتعلق ببنية المجتمع القبلي التقليدية في حضرموت التي تشجع على حمل السلاح، والقيام بالأعمال القتالية.

(١) تنقسم القبائل الحضرمية إلى قسمين قبائل مستقرة وقبائل مترحلة، وفد اعتمدنا في هذه الدراسة لفظة (رجال القبائل) لنقصد بهم المنتمين للقبائل الحضرمية المستقرة منها والمترحلة.

(٢) كتاب: أربعينية الشاعر صالح عبدالرحمن المفلحي (قطرة ندى على قبر المفلحي)، تحرير: د. سعيد الجريري - د. عبدالقادر باعيسى- صالح الفردي، مطابع وحدين الحديثة للأوفست، المكلا، ٢٠٠٥م، ص١٥٦.

ما قلت شيء صابر على قول الدَّلَل
واطلب من الله كل غالي لا يهين

وإذا كان هذا التلميح يعطي إشارات يسيرة في كيفية التعامل مع الدَّلَل والصبر على ما يسفر عنهم، نجد الشاعر هادي عوض عسكول يفضل التصريح عن التلميح إذ قال واصفًا الدَّلَل:

خَسّ[١] المسالك مع الدلال من يوم يخلق وهو حَيّال
والصدق عند الدَّلَل مدفون
محسنه[٢] لا قال حيّابك[٣] وإن قد لحق[٤] مصلحه باعك
ليل الزّقارين[٥] يتعشون[٦]

والدَّلَل بشكل عام ظاهرة صوتية يمكن ملامستها في وسط الأسواق، وفي أماكن الجدال، ويتحاشى الناس الخوض في جدالهم؛ لأن البعض منهم لا يتورع - إذا استُفِزّ - عن الجهر بالسوء من القول والفعل، وفي هذا الصدد قال بامطرف: "وللدلل أساليب غريبة في إثارة الفتن بين القبائل منها على سبيل المثال لا الحصر أن الدلال لا يتورع في أن يكشف سوءته أمام القبيلي على مشهد من الناس، ويقول له ادخل هنا،

(١) خس: أسواء
(٢) محسنه: ما أحسنه
(٣) حيابك: أهلا بك
(٤) وإن قد لحق: إن وجد
(٥) ليل الزقارين: لأجل الأولاد
(٦) روبرت سارجنت، نثر وشعر من حضرموت، ترجمة سعيد محمد دحي، مراجعة محمد عبدالقادر بامطرف، مطبوع بالاستنسل، المكلا، ١٩٨٠م، ص ١٦٥.

هذا إذا كان القبيلي لم يكن قد أخذ بثأر له عند أحد"[١]، ولا يمثل هذا المنحى سلوكًا جمعيًّا عند معظم الدَّلَل في حضرموت.

٢- ظاهرة الدَّلَل في المجتمع الشبامي:

للدلل في مجتمع مدينة شبام مكانة انمازوا بها عن غيرهم من الدَّلَل القاطنين في حواضر حضرموت الأخرى، وفي رأينا أن هذه المكانة صنعتها في المقام الأول مدينة شبام بأهميتها الاقتصادية والاستراتيجية. وقد انقسم المجتمع في حضرموت على تراتبيات اجتماعية انتظمت بحسب الدور أو الوظيفة في المجتمع، وأحياناً بحسب النسب، وفي هذا السُّلَّم الاجتماعي يقع السادة، ثم المشايخ على رأس الهرم، يليهم القبائل وهم حملة السلاح من غير القوى النظامية، وهؤلاء ينقسمون على قسمين: القبائل المستقرة على حافة الحواضر، والبدو الرحل، ويلي القبائل في السلم الاجتماعي القاطنون في الحواضر من التجار والحرفيين والفلاحين وغيرهم، وهؤلاء لهم تراتبياتهم الداخلية الخاصة[٢].

وسكنت مدينة شبام عائلات معروفة تداخلت في ما بينها وفقًا لعادات موروثة، ولهذا ارتكز النظام التراتبي في شبام على نمطية نشاطها التجاري، وهو بذلك يختلف عن نظام التراتب الاجتماعي التقليدي في حضرموت؛ إذ طغت فيه المكانة من الثروة على المكانة الاجتماعية التي تستند إلى النسب، أو المكانة العلمية، التي يمثلهما سادة حضرموت ومشايخها أو القوة التي يمثلها فئة القبائل، وهذه الفئات لم تكن مؤثرة

(١) محمد عبدالقادر بامطرف، المعلم عبدالحق، ص٢١١.

(٢) عبدالقادر محمد الصبان، عادات وتقاليد بالأحقاف، مطبوع بالاستنسل، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثارحضرموت، سيئون، ١٩٨٠م، ص٣٤ ومابعدها.

في المجتمع الشبامي لعوامل عديدة منها: ضيق المساحة الجغرافية لمدينة شبام التي لا تساعد على التوسع العمراني. ومنها ما يرتبط بخصوصية الوظيفة الاجتماعية لفئتي سادة حضرموت ومشايخها. أما رجال القبائل فكانوا بحكم العادات القبلية المتوارثة ينظرون بازدراء إلى العمل الحرفي والمهني، لكنهم كانوا يزاولون الأعمال الزراعية في مناطقهم [١]. ومع هذا استقرت في مدينة شبام عائلات من تراتبيات مختلفة عملوا بالتجارة، وصاروا جزءًا من نسيجها الاجتماعي[٢]، وهذه الأوضاع ساعدت على تماسك النظام التراتبي في شبام، وفي وضوح ملامحه.

ومن الأمور التي أفادت مجتمع شبام وعززت من نظامه الاجتماعي أن الشباميين - خلال مراحل التاريخ الوسيط والحديث - لم يمارسوا الفعل السياسي المباشر، وربما كانوا ينظرون لسقوط مدينتهم بيد القوى المتنافسة على أنه استبدال سلطة بسلطة جديدة، ولاريب أن لذلك آثاره السلبية على النشاط الاقتصادي، لكنه أقل وطأة من مغامرة الدخول المباشر في معترك الصراع السياسي.

كما كان للشباميين عادات ساعدت على تماسك مجتمعهم، من ذلك موقفهم الصارم تجاه السلوكيات المشينة للأفراد، لهذا نجد المؤرخ بن عبيد اللاه السقاف يصف شبام (بأرض المنقود)، أي: التي لا يسكت

(١) بعد الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥م) بدأت النظرة إلى العمل الحرفي والمهني في المجتمع الحضرمي بالتغير التدريجي لأسباب عديدة. وقبل ذلك كان ممارسة (القبيلي) للعمل المهني والاستقرار في الحواضر بعيدا عن منظومته القبلية يعني انفصاله عن قبيلته وهبوط مكانته الاجتماعية وينطبق عليه الألقاب المتدنية التي يصبغونها على أصحاب المهن مثل: ضعيف، وجعيل، وغيرها.

(٢) من أشهر أسر السادة التي سكنت شبام: آل بن سميط، وآل الحبشي.

أهلها عن تصرفات المسيئين، وأورد نماذج لذلك[١]. ولعل ذلك يحيلنا في بعض الدلالات إلى حلف الفضول في مكة عندما تعاهدت القبائل لنصرة الضعيف فيها حفاظًا على سمعتها ومكانتها الدينية والتجارية.

وقد انتظم المجتمع في شبام في سُلّم اجتماعي اعتلى التجار رأس الهرم [٢]، ثم توزعت العائلات بحسب المهنة والحرفة في داخل المدينة وفي ضواحيها القريبة، كما ساعد شيوع نظام الزواج الأفقي على امتداد العائلات الشبامية وتماسكها. واحتلّ الدَّلَل مكانة متقدمة في هذا المجتمع من خلال تنوّع حركتهم في المجتمع حتى صار البارزون منهم يقاربون مكانة تجّار المدينة وأعيانها.

ومن أشهر عائلات الدَّلَل في شبام: آل نصير، وآل حم، وآل القفيل، وآل محيسون، وآل باشن، وآل حيدر، وآل خميس، وآل ضريس، وغيرهم، ولكل بيت رئيس يطلق عليه (المقدم). أما الرئاسة العامة للدلل (المقدمة) فهي لعائلة آل نصير، يليهم آل حم وآل القفيل في درجة الوجاهة الاجتماعية [٣]، ومن مهام (مقدم) الدَّلَل التدخل في حل المنازعات الداخلية داخل فئة الدَّلَل ذاتها، وفي التحكيم التجاري بين الغرماء، وكان هذا الدور يتم بتشجيع من السلطات الرسمية التي يمثلها نائب اللواء، وحاكم السوق[٤].

(١) عبدالرحمن بن عبيد الله السقاف، المرجع السابق، ص٥١١.
(٢) د. صالح علي باصرة، دراسات في تاريخ حضرموت الحديث والمعاصر، الطبعة الثانية، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن، ٢٠٠١م، ص٧٨.
(٣) الشيخ سالم فرج عوض نصير (ابن مقدم دلل شبام) من مقابلة شخصية في شبام مسجلة (بالكاسيت) بحوزة الباحث.
(٤) طيب التوي، من تجار شبام، مقابلة شخصية في مدينة شبام، ديسمبر ٢٠١١م.

وبإسناد من الوضع المادي المتوسط للدلل في المجتمع الشبامي جاءت مكانتهم الاجتماعية المتوسطة التي يمكن تشبيهها بالطبقة الوسطى في المجتمعات الكبيرة التي يدل وجودها على حيوية تلك المجتمعات. وإذا تمايز الناس في المجتمع الحضرمي نتيجة لمكانتهم الاجتماعية فإن هذا التمايز ينعكس على مظهرهم العام من حيث نظافة الجسم ونوعية الملابس وطريقة لبسها، وكان من السهولة بمكان تمييز تراتبية المرء من خلال مظهره الخارجي، وفيما يخص دلل شبام فأغلبهم في خمسينيات وستينيات القرن الماضي يغطي نصفه الأسفل بفوطه (سباعية) حمراء مخططة تربط بحزام جلدي، ويغطي نصفه العلوي بقميص أبيض اللون، ويتزيّن (بشال) يضعه على كتفه [١]، والشال: قطعة من القماش أطول من العمامة التي يفضل رجال القبائل تغطية رأسهم بها، وهناك تشابه بين الشال الذي يتزين به الدَّلَل وبين الشال الذي يضعه سادة حضرموت ومشايخها على أكتافهم مع اختلاف الألوان، ويتفرد السادة في حضرموت باللون الأخضر.

وعلى أية حال لا يمثل الدَّلَل في شبام نسقًا واحدًا من حيث المظهر الخارجي والمكانة في السوق، فبينما يقترب البعض منهم من مرتبة التجار ويمارس مهنًا خارج النشاط التجاري، هناك من صغار الدَّلَل من يمارس أكثر من مهنة كأن يعمل في الزراعة أو ذباحة الماشية أو الحمالة [٢]، وهم بذلك يضطرون إلى تغيير حركتهم في طلب الرزق تماشيًا مع حركة

(١) الأستاذ عوض عمر حسان، من أعيان المدينة ومثقفيها، مقابلة شخصية في مدينة شبام، ديسمبر ٢٠١١م.

(٢) محمد فيصل باعبيد، مدير مكتب الثقافة والسياحة مديرية شبام، مقابلة شخصية في مدينة شبام.

السوق المتقلبة.

وللدلل حضورهم في النشاط المجتمعي لمدينة شبام وبخاصة في الألعاب والعادات الشعبية مثل: الترتيب لرياضة قنص الوعل، وهي الرياضة الشعبية الأولى في وادي حضرموت[١]، ولهذه الرياضة خطوات تحضيرية قبل القناصة وبعدها، وبخاصة عند رحلة العودة وما يصاحبها من أهازيج ورقصات شعبية[٢]. وعلى أية حال فإن هذه الطقوس الشعبية الابتهاجية لها دلالاتها في المجتمع الحضرمي.

٣- دور الدَّلَل التجاري

تلازمت مهنة الوسيط التجاري (الدلّال) مع ظهور مهنة التجارة؛ بوصفها نشاطًا اقتصاديًا إنسانيًا قديمًا ارتبط بمرحلة من التطور الحضاري للمجتمعات البشرية، وفي مدينة شبام وفي عصرها (الذهبي) عندما كانت سوقًا مفتوحًا تفد إليها القوافل التجارية من مناطق حضرموت ومن المناطق المجاورة لها وجدت الحاجة لدور الدلال؛ بوصفه حلقة الوصل بين التجار وبين الداخلين إلى شبام لغرض التجارة، فهو يجنبهم الاحتكاك المباشر مع خليط من البشر والبضائع وما يصاحب ذلك من أمور تتصف غالبًا بالشد والجذب وارتفاع الأصوات وفحص البضائع، وتحديد أسعارها لهذا كان الدَّلَل بالنسبة للتجار عنصرًا مهمًا لاستكمال الدورة التجارية، وللحفاظ على مكانتهم الاجتماعية.

أما القادمون إلى شبام وبخاصة رجال القبائل (المستقرون والرحل)

---

(١) للمزيد من المعلومات عن هذه العادة ينظر كتاب: عبدالرحمن جعفر بن عقيل، قنيص الوعل في حضرموت، مطابع الابتكار، الدمام، ٢٠٠٤م.

(٢) محمد أحمد الشاطري، المرجع السابق، ٣٤٩.

فهم أيضًا بحاجة لمساعدة العارفين بحركة السوق؛ لترويج بضاعتهم، وضبط أسعارها، وللمساعدة في شراء احتياجاتهم، وهنا يتمحور دور الدَّلَل في التقريب بين الأطراف مقابل حق الوساطة، وبصرف النظر عن مدى مكسب طرفي التجارة (البائع - المشتري) فإن الرابح الأكيد في هذه العملية هم الدلالون، وربما هذا ما جعل بعض الدَّلَل في شبام يفضلون هذا العمل التجاري المضمون الربح على ممارسة العمل التجاري الذي تمثله عائلات معروفة في شبام. ومع أهمية الدَّلَل في الحركة التجارية فإن للتاجر في شبام مطلق الحرية في البيع والشراء المباشر باستثناء الصفقات التي يتدخل فيها الدلالون فلهم حصة تبلغ ١،٥٪ [١].

واشتهر الدلال الشبامي بالبراعة التجارية، وحسن التصرف، وسرعة البديهة، وكذا بذلاقة اللسان وحدّتها، لاسيما عندما يشعر بخلل معيّن في نظام السوق [٢]، ورفعت هذه الصفات من سمعة الشبامي في المجتمع الحضرمي، لهذا يمكن القول: إن الدَّلَل كانوا يعبّرون عن ثقافة مدينة كاملة تداخل في سوقها ليس ثقافات مختلفة بل أنماط مجتمعية، تطلّبت لغةَ تخاطب قادرة على فهم هذا التنوع.

وداخل منظومة النشاط الاقتصادي التجاري الشبامي تتنوع الحرف والمهن من تجار، وعمال بناء، ودباغين، ونجارين، وحدادين،

(١) من المقابلة الشخصية مع التاجر الشبامي طيب التوي.

(٢) وفي المأثور الشعبي يقال: "فتح ثمك، قال الشبامي"، (فتح ثمك): افتح فمك. أي إذا جهلت أمرًا أو اختلط عليك فاسأل العارفين لتفهم منهم حقيقة الشيء الذي تجهله. ينظر: محمد عبدالقادر بامطرف،معجم الأمثال والمصطلحات العامية المتداولة في حضرموت، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا ،٢٠٠٧م، ص٢٧٠.

وأصحاب المشغولات اليدوية، وعمال التخديم والحمالة ....إلخ. ووسط هذا التنوع نجد الدلال على مسافة غير بعيدة من هذه الأنشطة من حيث القيام مع أصحاب الحرف بدور الوسيط التجاري[١]، وأحيانًا ممارسة البعض منهم لهذه المهن إذا اقتضت حاجته للعمل كما سبقت الإشارة. وعلى هامش هذه الأنشطة يقوم بعض الدَّلَل بعملية تحصيل الديون المتعسرة، واستحقاقات التجار داخل المدينة وخارجها[٢]، وهي - لاشك - عملية تتطلب جرأة في الكلام، ولعلنا بهذا النشاط المتنوع للدلل لا نبالغ إذا وصفناهم بشعلة الحركة الاقتصادية في المجتمع الشبامي، وركيزة مهمة من ركائزه.

كما يقوم الدَّلَل بتقدير ثمن البضائع المعروضة في السوق، وهي عملية لا ترتبط فقط بجودتها، بل بمدى حاجة السوق لها، ولهذا يقال في حضرموت: (حُسن السوق لا حسن البضاعة)، ولأهمية تقدير أثمان السلع في شبام يُذكر أن بعض الصفقات التجارية التي تتم خارج المدينة أو في طريقها إليها يُتّفق على سعرها بما هو متعامل به في شبام في حينه، مما جعل من سوق شبام بمنزلة بوصلة تجارية تُضبَط عليه حركة التجارة وتقلبات الأسعار[٣]. وأيضًا جعل من الدَّلَل - كما يطلق عليهم على سبيل الإطراء - ميزان التجارة [٤].

---

(١) علوي عبدالله بن سميط، إعلامي ومن المهتمين بتراث مدينة شبام، مقابلة شخصية في شبام

(٢) الأستاذ عوض عمر حسان، من المقابلة الشخصية.

(٣) الأستاذ محمد فيصل باعبيد، من المقابلة الشخصية.

(٤) لمست في أثناء نزولي الميداني لمدينة شبام نوعا من التحفظ عند من حاورتهم، ولاسيما عندما يدور الحديث عن ما ينسب من سلبيات للدلل، ومدى الصحة في ذلك.

وبعض الدَّلَل جمع بين عمله التقليدي، وبين النشاط التجاري المباشر من خلال فتحهم للحوانيت الخاصة بهم، وهناك من الدَّلَل من تخصص في السمسرة لبضائع محددة كتجارة الماشية أو الحطب . . . إلخ. وعلى أية حال يتفاوت دخل الدلل بحسب نوعية الحركة في السوق والمكاسب المتحصلة، وعلى ضوء ذلك تتباين مكانة الدَّلَل داخل فئتهم ذاتها، فعائلات الدَّلَل الكبيرة والمعروفة في شبام هي التي ترتبط بعلاقات خاصة مع تجار المدينة، والتجار الوافدين باختلاف مكانتهم الاجتماعية وتراتبياتهم. وذكر التاجر الشبامي طَيِّب التوي أن التجارة في شبام مفتوحة وأن هناك من يمارس الدلالة في شبام من غير أهلها، وميّز البعض في شبام بين دلال السوق، والدَّلَل الأصلاء الذين لهم أعرافهم وعاداتهم المتعارف عليها، ولهم ارتباطات خاصة مع التجمعات القبلية [١]

٤- علاقة الدَّلَل مع رجال القبائل:

من الأمور التي تثير اهتمام الباحث في تاريخ مدينة شبام، وربما فضوله، تلك العلاقات التي ربطت بين سكانها من الدَّلَل، والقبائل التي ترتادها بغرض التجارة، وعلى أساسها قام الدَّلَل بالوساطة التجارية، والتدخل في حل بعض المنازعات القبلية، وليتسنى فهم هذه العلاقة التي تبدو خارج مهنة الدَّلَل الأساسية لابد أن نتتبع أبعادها داخل بنية المجتمع الحضرمي السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فمدينة شبام مدينة مسَوَّرة يحكمها النائب عن السلطنة القعيطية (نائب اللواء)، وهو يمثل السلطة السياسية العليا في المدينة، ومن أبرز مهامه: حفظ الأمن، وتسيير أمور

(١) من المقابلات الشخصية مع التاجر الشبامي طيب التوي، والأستاذ صالح باخبيرة.

المدينة، وتحصيل الضرائب[١].

وكانت السلطة الفعلية لسلطنتي حضرموت لا تتعدى أسوار المدن الرئيسة، مع احتفاظ كل سلطنة بحدودها المرسومة المتفق عليها بموجب معاهدة عدن عام ١٩١٨م[٢]، لكن هذا التقسيم لم يمنع حرية حركة الحضارمة في كل أرجاء حضرموت، وإلى حين سقوط سلطنتي حضرموت في عام ١٩٦٧م ظلت حضرموت تحت الحماية البريطانية لكن بترابط جغرافي واقتصادي واجتماعي واحد لا يميزه إلا وجود رموز الحكم في عاصمتي السلطنتين، وفي المدن الرئيسة[٣]، ولهذا كان رجال القبائل

(١) تنقسم السلطنة القعيطية إداريًا كما ورد في دستورها المطبوع في ٨ إبريل ١٩٤٠م إلى خمسة ألوية منها لواء شبام، وأهم القبائل التي تسكن هذا اللواء هي : الصيعر، ونهد والكرب، وقبائل دهر ورخية وعرمة، وآل حريز، ويافع، وآل مخاشن، وآل تميم. ينظر : صلاح البكري، في جنوب الجزيرة العربية، ص٢٤٠-٢٤١.

(٢) وهي المعاهدة التي وقعها ممثلون عن السلطنتين الحضرميتين في عدن بإشراف المقيم السياسي البريطاني (ستيوارت)، وحدد بندها الثاني المناطق التابعة للكثيريين ولم تحدد مناطق السلطنة القعيطية وترك الأمر أمامها مفتوحاً. ولهذه المعاهدة أهمية كبيرة في تاريخ حضرموت؛ لأنها أدخلت ضمنيًا السلطنة الكثيرية في نظام الحماية البريطانية.

(٣) حول الوضع القانوني لسلطنتي حضرموت في نظام الحماية والاستشارة البريطانية أشار الدكتور عمر عبدالله بامحسون إلى الفرق بين الدولة الكاملة والدولة الناقصة في أن الأولى لا تخضع لأي دول أخرى، فهي تملك شؤونها الخارجية والدفاعية، ولأن السلطنتين أعطت الحق للمستشار البريطاني في التدخل في شؤونها تحت غطاء النصيحة فإنهما تعتبران دولًا ناقصة السيادة. ينظر كتاب : التطور السياسي والدستوري في اليمن الديمقراطية (١٩٣٧-١٩٦٧م)، الطبعة الثانية، دار مصر للطباعة، ١٩٩٠م، القاهرة، ص٦٩-٧٠.

يأتون إلى مدينة شبام من كل مناطق حضرموت، وهذا ساعد على توسع التجارة وتنوعها، كما ساعد في دخول الدَّلَل في علاقات خاصة مع القبائل الحضرمية، وغير الحضرمية [١].

ولِمَا يلازم عملية البيع والشراء المباشرة في الأسواق من شد وجذب، والمساومات كان رجال القبائل يفضلون النأي بأنفسهم عن هذه المواقف التي لا تتناسب مع سيكولوجيتهم، ومن هنا جاءت حاجة الطرفين لبعضهما البعض، فالدلال حريص على العائد المادي جراء تسهيل تجارة البدوي، والأخير بحاجة إلى خبير بالسوق والأسعار.

ومع مرور الزمن ولأجيال متعاقبة تطورت العلاقة بين رجال القبائل والدَّلَل في شبام، وامتزجت فيها المصالح المشتركة مع العلاقات الإنسانية التي يمكن وصف بعضها بالحميمية، وصار لأسر معينة من الدَّلَل قبائل خاصة (تحتكر) تعاملاتها التجارية، واكتسبوا خبرة بالعادات والأعراف القبلية، ويستطيع الدلّال تمييز رجل القبائل التابعة له من خلال مظهره العام ولهجته، ولهذا يرى بعض الشباميين أن الدَّلَل الأصلاء هم فقط أولئك الذين يرتبطون بعلاقات مع رجال القبائل[٢]، وهذه العلاقة التي تبدو شكلية فإنها في جوهرها تخدم نظام السوق، وتعزز النشاط التجاري في المدينة، ومعروف أن العلاقات بين أبناء الريف وبخاصة البادية، وأبناء المدينة في المجتمعات التقليدية غالبا ما يحفها ظلال من

(١) عندما يبيع (البدوي) بضاعته التي غالبا ما تكون: البلح، والماشية، والحطب، والفحم الخشبي(الصخر) يقوم بشراء ما يحتاجه من سوق شبام ويساعده في ذلك الدلال المتعامل معه.

(٢) صالح أحمد باخبيرة،من المقابلة الشخصية.

الشك، لاختلاف النظرة للقيم الاجتماعية، ولاعتزاز كل طرف بنمط حياته.

وأحيانًا تتعدى العلاقة بين الجانبين التعامل المباشر في السوق إلى استقبال الدلال (للبدوي) في بيته إذا اضطر الأخير إلى المكوث في المدينة لأيام، والإقامة تكون في الطوابق السفلى، والغرض من ذلك عزل الرجال عن النساء[١]، وبهذا تتداخل علاقة الضيافة مع علاقة المستأجر، وكلفة الإقامة تدفع بطريقة غير مباشرة بحيث لا يبدو الأمر بشكله التجاري السافر، وهذا التقارب أسهم في تعزيز العلاقات بينهما. ويمكن القول إن دخول رجال القبائل مدينة شبام وبقاءهم مدة من الزمن خارج نظام الحماية القبلية، وفي غياب وسائل الإقامة الحديثة (الفنادق) يجعل الفرد منهم في وضع يشبه العهدة (الأمانة) عند الدلال لهذا يكون محل اهتمامه، وبخاصة عندما يصاب بمرض، أو تحضره الوفاة، فإن الدلال هو المسؤول الأول عنه إلى أن يحضر ذووه[٢]، ولاشك أن هذا التعامل يخلق حالة من الرضا عند رجال القبائل؛ لأنهم بحكم عاداتهم يفضلون الإقامة والنوم في الأماكن المفتوحة البعيدة عن المدن، ولا يفضلون الإقامة على هوامش المدن أو في أزقتها؛ لأسباب تتعلق بأمنهم الشخصي، ولاعتزاز الفرد منهم بنفسه وبقبيلته[٣].

---

(١) عوض عمر حسان، من المقابلة الشخصية.

(٢) سالم عبد اللاه بن سميط، من أعيان المدينة،مقابلة شخصية، في مدينة شبام. وذكرت الطبيبة الألمانية (ايفاهيويك) في كتابها(سنوات في اليمن وحضرموت) قدوم مريض من دوعن في عيادتها في شبام بمعية دلال يقوم بجميع أعمال الدوعنيين عند زيارتهم لشبام.

(٣) عبدالرحمن عبدالكريم الملاحي، من المقابلة الشخصية.

إن هذه العلاقة التي قامت على أساس المصالح المشتركة هيأت الظروف المناسبة في تفاعل دلل شبام مع جوانب من الحياة القبلية في حضرموت. فمنهم من يتباهى بالقبائل (الصديقة) وبما حققوه من إنجازات قتالية ضد القبائل الأخرى، ومعروف عند القبائل أن دم القبيلي المقتول عار لا يغسله إلا الأخذ بالثأر، ولأن أغلب القبائل الحضرمية لا تميل إلى خيار قبول الدية عند محاولات التسوية والصلح، ظلت ظاهرة الثأر حاضرة بقوة في الحياة القبيلة[١].

ومن منطلق احتفاظ (أصحاب الدم) بحق الأخذ بالثأر يتفهم المجتمع القبلي تأخر القبائل في تحقيق ذلك وإن طال الزمن، وهذه الوضعية على ما فيها من مساوئ فإنها أسهمت بصورة غير مباشرة في خلق نوعٍ من التوازن في العلاقات القبلية، كما أنها جعلت من الاقتتال القبلي عبئًا ثقيلًا على الجميع[٢]. وفي المجتمع الحضرمي غالبًا ما يتهم الدَّلَل بخرق (نظام) الثأر بعيد المدى. وهناك عدد من الروايات تشير إلى قيام بعض دلل شبام بالتحريش بين القبائل، وبخاصة عندما يشتد سخط الفرد منهم (الدَّلَل)، فتبدر عنه كلمات لاذعة تُقِّلل من شان القبيلي صاحب الثأر، وتشبهه أحيانا بالنساء [٣]. وفي مجتمع مدينة شبام لا تختفي مثل هذه

(١) عبدالقادر محمد الصبّان، المرجع السابق، ص٦٥،وينظر: صلاح البكري، تاريخ حضرموت السياسي،ص١١٦

(٢) عبدالرحمن عبدالكريم الملاحي، من المقابلة الشخصية.

(٣) تروى الكثير من المواقف التي استفز فيها رجال القبائل بقصد أو بدون قصد ودفعتهم للأخذ بالثأر من ذلك: أن (بدويًا) نازع دلالًا في مبلغ من المال، فقال له: إنما ظننتك تطالب بالقرش الذي عليك عند الآخرين وليس الذي عندي، وفي رواية أخرى أن بدويًا عليه ثأر، وقدم إلى شبام ويداه مخضبتان بالحنة فغمزه الدلال قائلًا: ظننت إنها مغمسة بالدم، أي: أنك قد أخذت بثأرك. ومثل =

التصريحات وتنتشر بسرعة، لهذا يكون القبيلي في موقف لا يحسد عليه، بل لا يستطيع العودة إلى المدينة أو إلى قبيلته وهو رافع الرأس إلا بعد أن يأخذ بثأره أو يحاول. وأحيانًا يقوم بعض الدَّلَل بتحفيز صاحب الثأر على الأخذ بثأره لأسباب في ظاهرها النصيحة المخلصة، وفي باطنها الرغبة في الرد على الدلّال المنافس لحصد النقاط الكلامية بينهما دون الانتباه للتبعات المؤلمة لتلك النصيحة.

إن هذا المنحى في العلاقات بين الدَّلَل ورجال القبائل لا يعني نسقًا تلازميًا للعلاقات بينهما، والأصل في العلاقة هو المصالح المشتركة المشوبة بلمسات إنسانية شكلتها نمطية المجتمع الشبامي المحافظ الذي تحولت فيه بيوت الدَّلَل - كما أشرنا - في غياب (الفنادق) إلى سكن مؤقت بإيجار رمزي، وقد قابل رجال القبائل هذا الجميل بالجميل عن طريق إظهار الحفاوة لكبار الدَّلَل عند زيارتهم لمثاوي أصدقائهم من رجال القبائل، ويشير (الشيخ) سالم فرج نصير - وهو من فئة الدَّلَل - إلى أن والده يمكث أحيانًا بالأشهر في ضيافة قبيلة الجعدة [١]، وهذه منزلة لا

= هذه العبارات والغمزات تكون جارحة لكرامة البدوي. وأحيانًا يقوم الدَّلَل (بالتحريش)، بمعنى: وضع المقالب لغرض الفكاهة وفي ذلك كتب بن عبيد الله السقاف : " ولسماسرة شبام اليد الطولى في سن الفاتر ..... إلا إنهم لا يسلمون من التحريش بين الناس؛ فبينما أحد شعرائهم بالسوق واسمه (علي) إذ ظهر قرنه الذي يهاجيه وهو (بازياد) فأشلوه عليه فتفطن لها بازياد وقال :

يا علي خذ لك نصيحة ... من رفيقك بازياد
الشتم بيني وبينك ... والضحك لأهل البلاد

ينظر : إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، ص٥٣١

(١) سالم فرج نصير، من المقابلة الشخصية، ومن الإشارات التي وردت في حديث الشيخ سالم نصير وأكدها آخرون وجود(كوت) قديم في داخل المدينة باسم =

يحظى بها عادة إلا ضيفٌ مهمٌّ من زعماء القبائل (المقادمة)، أو من كبار الأعيان. وعلى أية حال تُظهِر لنا هذه المؤشرات تجاوز العلاقة بين الدَّلَل ورجال القبائل عن حد المصالح المشتركة إلى علاقة تداخل فيها الاقتصادي مع الاجتماعي مع الإنساني.

وقد حرص الدَّلَل في شبام على تعزيز هذه العلاقات وتأكيدها، فعندما حُكِم على رجل من القبائل بالضرب في ساحة عامة بعد اعتدائه على أحد تجار المدينة، وبعد اضطرار قبيلته في قبول الحكم تحت تهديد الحصار الاقتصادي، ولمَّا كان التنفيذ قاب قوسين أو أدنى تقدم أفراد من الدَّلَل من أصدقاء القبيلة المدان ابنها وعرضوا أنفسهم للعقاب بدلًاعن المدان، ويعطي هذا الموقف دلالات متعددة في (قانون) مجتمع مدينة شبام، فهو من جهة يسهم في حفظ النظام؛ لأن أمن المدينة الداخلي يعد أهم مرتكز لانسيابية التجارة وتدفقها، كما أنه سيحد من التجاوزات المحتملة من بعض رجال القبائل؛ بوصفهم الفئة المسلحة غير الرسمية في حضرموت، ومن جهة أخرى يدل على حنكة تجار شبام (القرار)[1]،

= (كوت الجعيدي) والكوت: عبارة عن بناء محصن يستخدم للأعمال العسكرية التي تتعلق بالحراسات والدفاعات الأولية، وهو شكل مصغر للحصون التقليدية في حضرموت، ولم نعثر على دليل علمي يفسر أسباب وجد هذا الكوت البعيد عن مثاوي قبيلة الجعيدي (بنو مُرّة) الرئيسة التي تقطن في وادي عمد أحد أفرع وادي حضرموت. وربما الأقرب أن يكون له علاقة بفرع آخر من هذه القبيلة وهم فخيذة (آل حريز) التي تسكن وادي سر القريب من مدينة شبام.

(١) القرار هم: سكان البلدة المستقرون منذ القدم مثل التجار والكتبة والمدرسين، وهذه التسمية على حد علمنا غير متداولة إلا في مدينة شبام ومع مرور الزمن صارت مصطلحا يدل على المرتبة الاجتماعية العليا في المجتمع الشبامي(التجار، ومشايخ العلم).

فالعفو في اللحظات الأخيرة نزولًا عند استجداء الدَّلَل يمكّن من وصول رسالتهم دون تحقيق الإهانة المباشرة للرجل (القبيلي) الذي إن اضطر إلى قبول الحكم فإنه إذا نفذ سيترك في نفسه ضغينة، وفي تقديرنا أن البطل في هذا الموقف هم دلل شبام الذين يتدخلوا في الوقت المناسب بما يحقق التوازن بين حق التاجر في القصاص، وبين حفظ كرامة القبيلي وماء وجهه.

وخارج أسوار مدينة شبام كان للدلل صولتهم مستفيدين من علاقاتهم الخاصة مع جوارهم القبلي، ونجاحهم في البقاء على مسافة قريبة من أطرافه، سواء كان في إطار القبيلة (الصديقة)، أو القبائل بعضها البعض، لهذا تجد بعض الدَّلَل يقوم بدور الوسيط بين المتنازعين لحل الخلاف، أو لترتيب شروط الهدنة، أو يلبي طلب بعض التجار ببعث رسالة لقبيلة يتعامل معها الدلال لحماية قافلته التجارية، فتمضي القافلة على ضمانته[١]. وهذا الدور لا يقوم به في العادة إلا بعض الأسر المشهورة من سادة حضرموت ومشايخها لمكانتهم الاجتماعية المعترف بها في المجتمع الحضرمي، أما الدَّلَل ورغم تدني تراتبيتهم الاجتماعية مقارنة بهؤلاء[٢] فقد اكتسبوا هذه المكانة من خبرتهم بالعادات الاجتماعية، ومن علقيتهم الخاصة بالقبائل، وجرأتهم في الحديث، وحنكتهم في التقريب بين الغرماء التي صقلت في أسواق مدينة شبام.

تجدر الإشارة إلى أن الدَّلَل يشتركون مع سادة حضرموت ومشايخها

(١) صالح أحمد باخبيرة، من المقابلة الشخصية.

(٢) في هذا الصدد كتب المؤرخ بامطرف: " في المجتمع الحضرمي، إذا ازدهى العلوي باتصال نسبه إلى البيت النبوي، تباهى الشيخ بأجداده وعلومهم وكرامتهم، وافتخر القبيلي بأعمال أجداده البطولية" ينظر كتاب: المعلم عبدالحق،ص٢٢٥.

في ميزة عدم حمل السلاح، وفي حيادهم في المنازعات القبلية، ومن هنا وجدت حاجة المجتمع القبلي لهذه العناصر للتخفيف من حالة الاحتقانات القبلية المزمنة والمرتبطة في حقيقتها بضعف الموارد الاقتصادية المحلية، والتخلف الاجتماعي، وهي أمور عادة تفرز أوضاعًا قابلة للاحتكاك والصراع بين القبائل المتجاورة، بل وداخل القبيلة نفسها.

إن تدخل الدَّلَل في الشأن القبلي خارج مدينة شبام ربما يثير تساؤلات من قبيل: لماذا قام الدَّلَل في شبام بهذا الدور خارج نشاطهم الاقتصادي الأساس؟ وماهي مصلحة المجتمع الشبامي؟.

ولمحاولة الإجابة عن هذه التساؤلات وغيرها لابد من التذكير أن موقع مدينة شبام في وسط حضرموت جعلها على مقربة من الأحداث التي تدور حولها، وغير معزولة عنها، وبهذا يمكننا القول إن الدَّلَل في شبام كانوا في بعض المواقف بمنزلة السفراء المتجولين لخدمة مصالح مدينتهم، كما أن الدَّلَل وبعلاقاتهم المتداخلة مع رجال القبائل كانوا يقبلون دور الوساطة بوصفها جزءًا من شخصيتهم الاجتماعية، وبصرف النظر عن مدى صدق نواياهم فإن ذلك يؤكد على حضورهم الفاعل في مجتمعهم.

ومن الأمور اللافتة للنظر في هذه العلاقةَ قيام الدَّلَل برهن خدمة القبائل التابعة لأُسر منهم، أو ببيعها لدلال آخر أو أسرة أخرى، وتدوّن هذه الصفقة في اتفاقيات[١] يذكر فيها: الثمن المستحق، وأسماء القبائل

(١) من وثائق أسرة آل نصير: الوثيقة المؤرخة١٨ ذو القعدة ١٣٥٢هـ [٤ مارس ١٩٣٤م] وهي عبارة عن عقد مبايعة بين الطرف الأول: علي بن سهل نصير، وسالم بن عبدالله نصير والطرف الثاني سالم بن عمر نصير، ويلاحظ أن =

التي تحولت تبعيتها للدلال الجديد، وتاريخ الاتفاقية وأحيانًا الزمن المحدد المتفق عليه وأسماء الشهود، كما تدخل خدمة القبائل عند الوفاة في قسمة الورثة، ولا يدخل في عمليات البيع القبائل المرهونة التي لم يفك رهنها [١].

ومن أبرز الوثائق (الصكوك) الخاصة بخدمة الدَّلَل تلك التي كان من أطرافها رموز للسلطنة القعيطية، ونشاهد ذلك في الوثيقة المؤرخة ١٢ ربيع الأول ١٣٤٩هـ (٧ أغسطس ١٩٣٠م) بين المشتري: مردوف مبارك بن سعيد حم، والبائع إليه السلطان عمر بن عوض القعيطي (١٩٢١-١٩٣٥م)، وذلك في: (خدمة دلالة البدو والمشايخ آل عقيل أهل القبلة حلان حريب آل أحمد بن عقيل)[٢]، وقد كانوا قبل إبرام هذه الاتفاقية

= القبائل التي دخلت في هذه (الصفقة) هم قبائل تدخل مثاويهم تحت حكم سلطنات ومشيخات متعددة منها السلطنة الواحدية والعوالق ومشيخة بيحان والقبائل المذكورة في الوثيقة هم: بلحارث، والصعبين، وحلان بيحان، وآل عقيل وآل بوطيف، وحلان حريب وعبيده، وحلان أبراد النسين وحلان بلاد العوالق، وآل ربيع، وآل عبدالقادر، والقراميش، وحلان عياد. ينظر أيضًا الوثيقة المؤرخة٢٢ذو الحجة ١٣٣١هـ / ٢١ نوفمبر ١٩١٣م،والوثيقة المؤرخة ٣رجب ١٣٣٢هـ/ ٢٨ مايو ١٩١٤م،والوثيقة المؤرخة ١٢جمادى الأول ١٣٧٢هـ / ٢٨ يونيو ١٩٥٣م، (نسخ مصورة من هذه الوثائق بحوزة الباحث).

(١) من وثائق أسرة آل نصير: الوثيقة مؤرخة في ٢١ شعبان ١٣٧٢هـ [٥ مايو١٩٥٣م]، وهي وثيقة مبايعة بين البائع علي بن عبيد علي نصير، والمشتري صالح بن خميس محيسون (نسخة مصورة من الوثيقة بحوزة الباحث).

(٢) من وثائق أسرة آل حم : الوثيقة مؤرخة ١٢ ربيع الأول١٣٤٩هـ [٧ أغسطس ١٩٣٠] وهي وثيقة مبايعة بين البائع السلطان عمر بن عوض القعيطي والمشتري مردوف مبارك بن سعيد حم (نسخ مصورة من وثائق آل حم بحوزة الباحث).

كما جاء في الوثيقة (همل)، أي: لا توجد أسرة معروفة من الدَّلَل تدعي الحق في خدمتهم، وتكشف لنا هذه الوثيقة التنافس والتنازع بين أسر الدَّلَل في شبام للحصول على حق خدمة الوافدين إلى مدينة شبام، ولهذا حرص الدلّال (مردوف حم)على توثيق هذا الحق الجديد بصك رسمي من رأس السلطنة القعيطية قبل أن يسبقه منافس من زملائه، وقد عُزِّز الاتفاق بصيغ تهدد المخالفين بعقاب من النائب عن السلطنة في شبام، والغرامة بدفع ضعف ما استلم من خدمة هذه القبائل المحسوبة حصريًا ضمن نشاطه التجاري، وقيمة الصفقة ١٢٠٠ريال ماريا تريزا[١]، ولاشك أن المبلغ كان مغريًا لهذا قبله السلطان، وبصرف النظر عن قيمته الفعلية وقتئذ تدل الصفقة بمجملها على أرباح الدَّلَل الوفيرة من هذه الخدمة، وعلى نظرتهم التجارية بعيدة المدى.

ولتأكيد عرى هذا الاتفاق وجدنا وثيقة كتبت بعد يومين من سابقتها،حملت نص الوثيقة الأولى ذاته، والاختلاف بينهما أن الأخيرة كتبت في ورقة رسمية تحمل شعار السلطان عمر ولقبه الرسمي في حيدر أباد بالهند،[٢]، ويبدو أن الدلّال (مردوف حم) حرص على أن يوثق هذه

(١) جاء في الوثيقة ١٢٠٠ ريال، ويقصد ريال الملكة ماریاتریزا ويطلق عليه محليا الريال الفرنساوي أو كما يرد في الوثائق (فرانصة) واكتسب أهميته بوصفة عملة فضية متداولة على نطاق واسع للمزيد ينظر: عبد الله سعيد الجعيدي،الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية في حضرموت ١٩١٨- ١٩٤٥م،دار الوفاق للدراسات والنشر،ط٢،عدن،٢٠١٠م ص١٣٤.

(٢) وثائق آل حم: الوثيقة المؤرخة ١٤ربيع الأول ١٣٤٩هـ [٩أغسطس ١٩٣٠م] وهي وثيقة مبايعة بين البائع السلطان عمر بن عوض القعيطي والمشتري مردوف مبارك بن سعيد حم.

الصفقة في أوراق رسمية ليعزز الاتفاق ويحميه، وبعد زهاء أربع سنوات حدث ما يخشاه؛ إذ نازعته على هذه الخدمة أسرة أخرى من الدَّلَل مما تطلب التأكيد الرسمي على هذا الحق. ونستنتج ذلك من إعادة اعتراف كل من السلطان عمر بن عوض القعيطي، والسلطان صالح بن غالب القعيطي، والشهود وذلك بتوقيعاتهم بجانب نص ملحق كتب على ظهر الوثيقة ذاتها يؤكد على حق الخدمة للدلال مردوف بحسب ما جاء فيها[١].

وفي وثيقة مشابهة نجد أن النائب عن السلطان القعيطي في شبام (الأمير علي بن صلاح القعيطي) هو الطرف البائع لخدمة المرتادين الجدد لسوق شبام، والمشتري هنا فرع آخر من أسرة حم، أما قيمة الصفقة فهو ٤٠٠ ريال ماريا تريزا[٢]، ويحمل هذا الاتفاق الرمزية الرسمية نفسها التي حملتها الاتفاقية السابقة وإن اختلف مستوى التمثيل من حيث المكانة في مستوى الحكم.

والغائب في هذه الصفقات هم القبائل والأُسَر المتفق عليها، ولا يلمس رجال القبائل وغيرهم في هذه العملية التجارية الداخلية شبه السرية أيَّ إساءة لشخوصهم؛ لأن أصل العلاقة كانت تقوم على أساس المنافع

(١) وثائق آل حم: ينظر ظهر الوثيقتان السابقتين المؤرختين الأولى في: ١٢ ربيع الأول ١٣٤٩هـ، والثانية في: ١٤ربيع الأول ١٣٤٩هـ (هامش ٧٥- ٧٧).

(٢) وثائق آل حم: الوثيقة المؤرخة ١٦ جمادى الآخرة ١٣٥٢هـ [٥ أكتوبر ١٩٣٣م] مبايعة بين البائع (السلطان) علي بن صلاح القعيطي والمشتري سلمان بن مردوف له ولإخوانه وعيال أخيه محفوظ، وذلك مقابل حق خدمة دلالة (آل بوطيهف آل قاسم سكان حريب، والمشايخ آل عبد الصمد حلان سمره ومن تبع المذكورين من جيران وصبيان ويلوذ بهم) نسخة مصورة من الوثيقة بحوزة الباحث.

المشتركة، ولهذا فإن الدلالة بوصفها آلية من آليات السوق في شبام فقد ظلت هي السائدة بصرف النظر عن تبدل أسماء الأشخاص المتعامل معهم، أما بالنسبة للدلل فكانوا ينظرون لهذه المبايعة بوصفها عملية تجارية تدخل في منظومة ثقافة السوق في شبام.

٥- انهيار المكانة التجارية لمدينة شبام:

مرت مدينة شبام في معظم عهد الحكم القعيطي بمرحلة يمكن وصفها بالذهبية، فقد ظلت السوق التجاري الأول في وادي حضرموت، وقبلة للقوافل التجارية. لكن هذه المكانة أخذت في التراجع تدريجيًا منذ أربعينيات القرن الماضي؛ نتيجة لعدد من العوامل أهمها: الهدنة العامة المعلنة في حضرموت، أو صلح إنجرامس ١٩٣٧- ١٩٥٠م[١]، ودخول سيارات الشحن إلى حضرموت.

وقد ساعد دخول معظم القبائل الحضرمية في هذا الصلح العام - بصرف النظر عن الأهداف المعلنة وغير المعلنة للساعين فيه - على اتساع حركة القبائل وتداخلهم مع المجتمعات الحضرية القريبة منهم، وأخذ البعض منهم في البحث في المدن عن فرص معيشية أفضل، وعلى المدى البعيد، ومع تراجع حدة الصراعات القبلية أخذت علاقة الدَّلَل برجال القبائل في التقلص، في حين استمرت المعاملات التجارية المباشرة في سوق شبام حينًا من الزمن إلى أن طالتها التحديات الحضارية والسياسية المؤشرة بقدوم تحولات في غير مصلحة المجتمع الشبامي.

---

(١) للمزيد من المعلومات عن هذه الهدنة ينظر: عبدالعزيز بن علي بن صلاح القعيطي، إحلال السلام في حضرموت دراسة لتجربة حضرموت في القضاء على الثأر القبلي ١٩٣٣- ١٩٥٣م.

وبعد الحرب العالمية الثانية ازداد عدد سيارات الشحن التي تنقل البضائع من مدن ساحل حضرموت الرئيسة إلى مدن وادي حضرموت وبلداته، وهذا المتغير الجديد أربك البنية الاقتصادية والاجتماعية التقليدية في حضرموت، ولأن رجال القبائل (البادية) الذين يملكون قوافل الجمال هي المهيمنة على عملية النقل، لذا كانوا أول الرافضين لدخول سيارات الشحن بالبضائع إلى مناطق وادي حضرموت، بل دخلوا في صدام مباشر مع السلطات المحلية؛ لأنهم وجدوا في ذلك تهديدًا حقيقيًا لمصدر مهم من مصادر رزقهم(١).

وهذا الصدام الذي يحمل دلالات حضارية لم يدم طويلًا؛ إذ صار النقل في السنوات الخمس التي سبقت سقوط السلطنتين أمرًا واقعًا. وفي هذه المدة اهتزت مركزية مدينة شبام التجارية لكنها احتفظت برمزيتها التجارية في وقت كانت حضرموت تشهد هي الأخرى تحديات سياسية انتهت بسقوطها تحت حكم الجبهة القومية عام ١٩٦٧م، وبذلك دخلت شبام في عهد جديد من تاريخها(٢).

وهكذا فبينما كان رجال القبائل يحاولون وقف عجلة التطور بأزيز الرصاص، كانت أصوات الدَّلَل في شبام تخبو تدريجيًا بانتشار ضجيج المركبات، وكل هذه التطورات وغيرها كانت تنبئ بقدوم مرحلة جديدة

(١) سالم عمر الخضر، الطابع الاقتصادي العفوي والانتفاضات القبلية في محافظة حضرموت في الفترة من ١٩٤٨-١٩٦١م، من أبحاث الندوة العلمية التاريخية بعوان: المقاومة الشعبية في حضرموت ١٩٠٠-١٩٦٣م، كلية التربية المكلا، ١٩٨٩م، ص١٠٦.

(٢) سقطت السلطنة القعيطية في ١٧سبتمبر ١٩٦٧م. ولحقتها السلطنة الكثيرية في ٢ أكتوبر من العام نفسه.

في تاريخ حضرموت، وأفول صفحة من تاريخ مدينة شبام عندما أخذت في الاستسلام لقدرها بضغط حقائق الواقع، وسنن التطور التاريخي.

الخلاصة:

أدرك الشباميون أهمية موقع مدينتهم في وسط وادي حضرموت، وأسهموا عبر مراحل تاريخية متعددة في أن تتبوأ مكانتها التجارية المشهورة، وهذه المكانة جعلت قوى عدَّة تتنافس من أجل السيطرة عليها، وأدى خضوع مدينة شبام للحكم القعيطي، وانحصار الصراع في حضرموت بين السلطنتين القعيطية والكثيرية إلى تحول معادلة الصراع التقليدية؛ إذ دخلت شبام في ضمن إطار كيان سياسي كبير، وهذا ساعد مع عوامل أخرى على استتباب الأمن في المدينة، وازدهار الحركة التجارية.

وكان لتداخل الأنشطةالتجارية واتساع رقعة مناطق المترددين على شبام أن أوجد الحاجة إلى تنظيم وتيرة هذه الحركة التجارية وتسييرها بعيدًا عن السلطة الحاكمة الرسمية، ولهذا كان لدلل شبام دورٌ لافتٌ في هذه الحركة، ميّزهم عن الدور التقليدي للدلل في بقية الحواضر الحضرمية حتى أصبحوا بمنزلة المعبرين عنها، ورمزًا لهويتها.

وفي تقديرنا أن من أهم ما صنع شهرة الدَّلَل في شبام هو دخولهم في علاقات مع المجتمع القبلي الذي بلغ في بعض وجوهه حدًّا يشبه التحالفات القبلية التقليدية مع الفارق، أنهم لم يكونوا طرفًا مباشرًا في الصراعات القبلية، وبهذا الدور تماشوا مع الدور الذي يلعبه سادة حضرموت ومشايخها في المجتمع القبلي رغم الاختلاف في التراتب الاجتماعي، وأسس المرجعيات في العلاقة لكل منهما، ففي حين كانت

تعتمدعلاقة الدَّلَل مع رجال القبائل على المصالح التجارية والمنفعة المتبادلة، استندت علاقة سادة حضرموت ومشايخها على مكانتهم الاجتماعية.

لقد شكل الدَّلَل ظاهرة اجتماعية في مدينة شبام، وكان لتعاملاتهم مع خليط من الناس من مشارب شتى وأنماط سيكولوجية متنوعة أن جعل وجهات النظر تتباين حولهم، ورغم اعترافنا بغياب الأدلة العلمية التي تمكننا في رصد الموقف الحضرمي العام من الدَّلَل في شبام فإننا نعتقد أن الكفة لن تميل لصالحهم؛ لأن أساليبهم في إتمام الصفقات التجارية كثيرًا ما تنجح، لكن يصيب بعضها شيء من ظلال الشك، و من هنا ربما جاءت النظرة السلبية إليهم في بعض أطروحات الثقافة الشعبية.



المصادر والمراجع

◆ **الوثائق:**

١- الوثيقة المؤرخة ٢٢ ذو الحجة ١٣٣١هـ / ٢١ نوفمبر ١٩١٣م، اتفاق على بيع خدمة البادية بين :عبيد علي محمد نصير، وعبيد بن سعد عبود نصير.

٢- الوثيقة المؤرخة ٣رجب ١٣٣٢هـ/ ٢٨ مايو ١٩١٤م،اتفاق على شراء خدمة البادية.

٣- الوثيقة مؤرخة ١٢ ربيع الأول ١٣٤٩هـ [٧ أغسطس ١٩٣٠] وهي وثيقة مبايعة بين البائع السلطان عمر بن عوض القعيطي والمشتري مردوف مبارك بن سعيد حم

٤- الوثيقة المؤرخة ١٤ربيع الأول ١٣٤٩هـ [٩أغسطس ١٩٣٠م] وهي وثيقة مبايعة بين البائع السلطان عمر بن عوض القعيطي والمشتري مردوف مبارك بن سعيد حم.

٥- الوثيقة المؤرخة ١٦ جمادى الآخرة ١٣٥٢هـ [٥ أكتوبر ١٩٣٣] مبايعة بين البائع (السلطان) علي بن صلاح القعيطي والمشتري سلمان بن مردوف له ولإخوانه وعيال أخيه محفوظ

٦- الوثيقة المؤرخة ١٨ ذو القعدة ١٣٥٢هـ [٤مارس ١٩٣٤م] عقد مبايعة بين الطرف الأول: علي بنسهل نصير، وسالم بن عبدالله نصير والطرف الثاني سالم بن عمرنصير.

٧- الوثيقة مؤرخة في ٢١ شعبان ١٣٧٢هـ [٥ مايو١٩٥٣م]، وهي وثيقة مبايعة بين البائع علي بنعبيد علي نصير، والمشتري صالح بن خميس محيسون.

٨- الوثيقة المؤرخة ١٢جمادى الأول ١٣٧٢هـ / ٢٨ يونيو ١٩٥٣م، اتفاق من أسرة آل نصير وهم (آل عبيد بن علي) لتحديد نصيبهم من خدمة البادية.

◆ **المؤلفات المطبوعة:**

- إنجرامس، دبليو اتش، حضرموت ١٩٣٤-١٩٣٥م، تعريب د. سعيد عبد الخير النوبان، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن، ٢٠٠١م.
- سارجنت، روبرت، نثر وشعر من حضرموت، ترجمة سعيد محمد دحي، مراجعة محمد عبدالقادر بامطرف، مطبوع بالاستنسل، المكلا، ١٩٨٠م.
- اليزيدي، ثابت صالح، الدولة الكثيرية الثانية في حضرموت، (١٨٤٥-١٩١٩م) الناشر: جامعة عدن - ودار الثقافة العربية، الطبعة الاولى، ٢٠٠٢م.
- البكري، صلاح عبد القادر، تاريخ حضرموت السياسي، الجزء الثاني، دار الأوقاف العربية، الطبعةالأولى ٢٠٠١م.
- البكري، صلاح عبد القادر، في جنوب الجزيرة العربية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٤م
- باصرة، صالح علي، دراسات في تاريخ حضرموت الحديث والمعاصر، الطبعة الثانية، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن، ٢٠٠١م.

- باوزير، سعيد عوض، صفحات من التاريخ الحضرمي، دار الوفاق للدراسات والنشر، الطبعة الثالثة، ٢٠١٢م.
- فرانتسوزوف، سرجيس، تاريخ حضرموت الاجتماعي والسياسي قبيل الإسلام وبعده، تقديموتعريب د. عبدالعزيز جعفر بن عقيل، المعهد الفرنسي للآثار والعلومالاجتماعية صنعاء، ٢٠٠٤م.
- الشاطري، محمد أحمد، أدوار التاريخ الحضرمي، دار المهاجر للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، ١٩٩٤م.
- افقيه، محمد بن عمر الطيب، تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبدالله محمدالحبشي، مكتبة الإرشاد، الطبعة الأولى، صنعاء، ١٩٩٩م.
- عكاشة، محمد عبد الكريم، قيام السلطنة القعيطية والتغلغل الاستعماري في حضرموت (١٨٣٩- ١٩١٨م)، دار ابن رشد للنشر والتوزيع، عمّان، ١٩٨٥م.
- بامطرف، محمد عبد القادر، في سبيل الحكم، دار الهمداني للطباعة والنشر، ، عدن، ١٩٨٣م.
- بامطرف، محمد عبدالقادر، الشهداء السبعة، ، دار الهمداني للطباعة والنشر، عدن، ١٩٨٣م
- بامطرف، محمد عبد القادر، المعلم عبد الحق، دار الهمداني، ١٩٨٣م.
- بامطرف، محمد عبد القادر، معجم الأمثال والمصطلحات العامية المتداولة في حضرموت، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، ٢٠٠٧م.

- السقاف، عبد الرحمن بن عبيد الله، إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، دار المنهاج للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى٢٠٠٥م.
- بن عقيل، عبد الرحمن جعفر، قنيص الوعل في حضرموت، مطابع الابتكار، الدمام، ٢٠٠٤م.
- باحسن، عبد الله بن محمد جمال الليل، نشر النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية، دراسة وتحقيق، د. محمد يسلم عبدالنور، تريم للدراسات والنشر، تريم ٢٠١٠م.
- الصبّان، عبد القادر محمد، عادات وتقاليد بالأحقاف، مطبوع بالاستنسل، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثارحضرموت، سيئون، ١٩٨٠م.
- بامحسون، عمر عبدالله، التطور السياسي والدستوري في اليمن الديمقراطية (١٩٣٧-١٩٦٧م)، الطبعة الثانية، دار مصر للطباعة، ١٩٩٠م، القاهرة، ص٦٩
- بن عقيل، علي، حضرموت، مطبعة سوريا، دمشق، ١٩٤٩م.
- كتاب: أربعينية الشاعر صالح عبدالرحمن المفلحي (قطرة ندى على قبر المفلحي)، تحرير: د. سعيد الجريري - د. عبدالقادر باعيسى- صالح الفردي، مطابع وحدين الحديثة للأوفست، المكلا، ٢٠٠٥م.

◆ **الندوات العلمية:**

- الندوة العلمية لصيانة مدينة شبام وآثار وادي حضرموت، جامعة عدن، ١٩٨٨م.
- الندوة العلمية التاريخية بعنوان (المقاومة الشعبية في حضرموت ١٩٠٠-١٩٦٣م) كلية التربية المكلا، ١٩٨٩م.

◆ **الصحف:**

- صحيفة الطليعة، سياسية أسبوعية، صاحب الامتياز ورئيس التحرير أحمد عوض باوزير، العدد٣٩٤/ ١١أكتوبر ١٩٦٧م.

◆ **القواميس:**

- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة.
- المقابلات الشخصية:
- عبدالرحمن عبدالكريم الملاحي، باحث في التاريخ، والتراث المحلي لحضرموت.
- د. عبد العزيز جعفر بن عقيل، مؤرخ، (مدير عام الهيئة العامة للآثار والوثائق، والمخطوطات م/ حضرموت).
- علوي عبدالله بن سميط، إعلامي، من المهتمين بتراث مدينة شبام.
- الشيخ سالم فرج عوض نصير(ابن مقدم دلل شبام).
- طيب علي التوي، من تجار شبام.
- الاستاذ محمد فيصل باعبيد مدير مكتب الثقافة والسياحة بمديرية شبام.
- الأستاذ عوض عمر حسان، من أعيان المدينة.
- صالح أحمد باخبيرة، من أعيان المدينة.
- سالم عبد اللاه بن سميط، من أعيان المدينة.

مجتمع تريم في مكاتبات السيد عبدالله بن علوي الحداد*

الملخص

برز السيد عبد الله بن علوي الحداد في المجتمع الحضرمي في أواخر القرن السابع عشر، والنصف الأول من القرن الثامن عشر الميلاديين بوصفه شخصية متعددة الاهتمامات. خاض الحداد غمار الحياة، وتغلغل في أعماق المجتمع الحضرمي، وله في نقد أوضاع مجتمعه آراء جريئة، ومواقف شجاعة جعلته يعد من أهم رموز الإصلاح في عصره، بل ويتحمس البعض له ويعده من مجددي القرن الثاني عشر الهجري.

واحتلت مكاتبات الحداد التي طبعت في مجلدين أهمية تاريخية خاصة، وهي عبارة عن ردود لرسائل ومخاطبات وجهها له بعض معاصريه خلال مدة حياته، وتركز موضوعاتها في المسائل الفقهية، والصوفية، على أن أهمها تلك التي أرسلها إلى السلاطين الكثيريين المعاصرين له.وقد أسهم الحس الوثائقي عند الحداد في حفظ هذه الرسائل.

عاصر الحداد العقود الأخيرة من عمر السلطنة الكثيرية الأولى في

---

* نشر ضمن كتاب : (أبحاث ودراسات فعاليات ملتقى تريم الثقافي بمناسبة تريم عاصمة للثقافة الإسلامية٢٠١٠م).

حضرموت، ودخل في علاقات خاصة مع السلاطين الكثيريين الذين حرص بعضهم على استشارته والتودد له. وقد اتسمت هذه المدة بأحداث تاريخية عاصفة تمثلت في الانقسام السياسي الأسري الكثيري المزمن الذي عمق الفوض، وساعد على امتداد سلطة الدولة اليمنية القاسمية إلى حضرموت في عهد الإمام المتوكل على الله إسماعيل، وكذا تعزز الوجود اليافعي في حضرموت.

وقد وثّقت مكاتبات الحداد جوانب من هذه الأحداث المهمة، وجوانب من الحياة الاجتماعية والثقافية في حضرموت، الأمر الذي جعل من هذه المكاتبات بمثابة أرشيفٍ وثائقيٍ في زمن لا تولي فيه معظم الدول أهمية في حفظ مراسلاتها وسجلاتها الرسمية. ومدينة تريم ذات الخصوصية الدينية أصابها ما أصاب المدن والبلدات الحضرمية، وستحاول هذه الدراسة من داخل هذه المكاتبات الاقتراب من مجتمع حضرموت بشكل عام، وتريم بشكل خاص.

تمهيد

بدأت قصة السادة العلويين في حضرموت منذ وصول السيد أحمد بن عيسى المهاجر إليها في سنة ٣١٨هـ/ ٩٣٠م قادما من البصرة برفقة ابنه عبيد الله وحفيده بصرى، وجماعة من عائلته وأتباعه[١]. وبعد وصوله تنقل في بعض البلدات الحضرمية ثم استقر به المقام في (الحسيسة) ومكث فيها حتى وفاته سنة ٣٤٥هـ / ٩٥٦م[٢] وكان لقدوم المهاجر

(١) سعيد عوض باوزير، صفحات من التاريخ الحضرمي، مكتبة الثقافة، عدن، ص٥٨

(٢) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، دار المنهاج جدة، ٢٠٠٥ مص٧٨١.

وأحفاده بعده إلى حضرموت أثره الواضح في تاريخ حضرموت السياسي والاجتماعي والمذهبي.

وكما هو معروف في حضرموت أنَّ السيد أحمد بن عيسى المهاجر يعد الجد الأعلى للسادة في حضرموت، ويرفع السادة نسبهم إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، وفاطمة الزهراء بنت الرسول محمد ﷺ[١]. ويذكر المستشرق سارجنت : " في الأيام الأولى لاستقرارهم كان الحضرمي يعتبر السادة العلويين مجموعة من المشايخ الذين عرفوهم، ولم يكن لهم في بداية الأمر أي تأثير سريع، ومضى وقت قبل أن يفصحوا عن مراميهم بعيدة المنال، ومطالبتهم بوضع متميز [٢].

وبين تاريخ قدوم المهاجر وتاريخ ميلاد السيد عبدالله علوي الحداد في سنة ١٠٤٤هـ / ١٦٣٤م يكون قد مضى على استقرار السادة في حضرموت ما ينيف عن ستة قرون،وخلال هذه المدة تبلور تدريجيا تأثير السادة في المجتمع الحضرمي، ولكن الأمور لم تكن معبدة أمامهم خاصة في القرنين اللاحقين لاستقراهم؛ إذ اصطدموا بتيارات وقوى نظرت لهم بعين الريبة[٣].

كما تزامن وجودهم في تلك المدة مع وجود فرق ومذاهب إسلامية

---

(١) أر. بي. سارجنت، حول مصادر التاريخ الحضرمي، ترجمة الدكتور سعيد عبدالخير النوبان، مطبعة جامعة الكويت،ص ١٠٨

(٢) نفسه، ص١٠١

(٣) وصل هذا الاتجاه في أعلاه عندما شكك البعض في نسبهم الهاشمي الحسيني النبوي ولكن الشهادة التي تحصلوا عليها من قاضي البصرة وتأكيد الحجاج البصراويين لهذه الشهادة أمام الحجاج الحضارمةلقيت قبولا كبيرا في حضرموت.

متعددة أهمها الفرقة الإباضية المتمركزة في شبام وبعض البلدات الحضرمية. والإباضية كما هو معروف فرقة من الخوارج. وذكر باوزير أن الذين تعرضوا لتاريخ المهاجر من مؤرخي حضرموت يكادون يجمعون على أن السيد المهاجر حارب الإباضية باللسان لا بالسنان وقارعهم بالحجة والبرهان[١].

وهذه المدة يمكن أن نصفها بمرحلة الانكفاء على الذات، وجاءت مرحلة الاندماج والتأثير المتسارع بعد وصولهم إلى مدينة تريم مرورًا بقرية بيت جبير المجاورة سنة ٥٢١هـ/ ١١٢٧م. وكان في حضرموت بدون شك علماؤها من أبنائها ممن ينتمون إلى مراتبية المشايخ ويتمتعون بالامتياز والشرف الممنوح لذوي السلطة الروحية في جنوب الجزيرة العربية[٢].

إن النفوذ العلوي، والمكانة الاجتماعية التي تبوَّأوها في حضرموت بعد توسع عائلاتهم، نحّى المشايخ عن الصدارة الاجتماعية، وقنع المشايخ بالمرتبة الثانية في السلم الاجتماعي التراتبي بحضرموت،[٣] لكن هذا لم يقف عقبة أمام صداقة بعضهما ببعض، ولم يمنع انتقال العلم بينهما؛ لأن الإسلام يسمو فوق كل ذلك[٤].

وهكذا وفي ظل السيادة الروحية للعلويين في حضرموت، وثقافة صوفية رسختها السنون، كان ميلاد السيد عبدالله بن علوي الحداد، وبينما

(١) سعيد عوض باوزير، المرجع السابق، ص ٦٠
(٢) سارجنت، الرجع السابق، ص ١١٠
(٣) محمد عبد القادر بامطرف، المعلم عبد الحق، ،دار الهمداني، الطبعة الثانية،عدن، ١٩٨٣م،١٩٦
(٤) سارجنت، المرجع السابق، ١١١.

يخطو الحداد خطواته الأولى نحو الحياة كفّ بصره وهو ابن أربع سنوات، ويظهر أن لذهاب بصره أثرًا على نمو ذكائه، وقوة فهمه، وحافظته كأمثاله من نوابغ المكفوفين. وقد وجهه أبوه إلى الكتاب والمعاهد الدينية، وساعده المحيط الذي نشأ فيه، وهو محيط علم وأدب وتصوف، إلى جانب استعداده الفطري على النبوغ والتفوق على أقرانه. ودرس على نخبة من شيوخ عصره في مقدمتهم : عبدالله أحمد بلفقيه، وعلي بن سهل باحسن الحديلي، وعمر بن عبد الرحمن العطاس وغيرهم[١].

للحداد الكثير من المصنفات المطبوعة، معظمها مزيج من الفقه والتوحيد والتصوف،ومن أبرزها: (النصائح الدينية والوصايا الإيمانية) (ورسالة المعاونة والمظاهرة والمؤازرة للراغبين من المؤمنين في سلوك طريق الآخرة) (والفصول العلمية والأصول الحكمية) (والدعوة التامة والتذكرة العامة) (وسبيل الّاِدكار والاعتبار،بما يمر بالإنسان وينقضي له الأعمار).

عصر السيد عبد الله بن علوي الحداد

عاش السيد الحداد في المدة من (١٠٤٤ -١١٣٢هـ/ ١٦٣٤-١٧٢٠م)[٢]، وخلالها شهدت المنطقة جملة من التحولات، والتحديات السياسية المهمة، وإذا كان القرن السادس عشر الميلادي تميز بالحركة

(١) محمد أحمد الشاطري، ادوار التاريخ الحضرمي،مطبعة عالم المعرفة و جدة، ١٩٨٣م، ص ٣٢١.

(٢) د. مصطفى حسن البدوي،الأمام الحداد مجدد القرن الثاني، عشرالهجري ١٠٤٤-١١٣٢هـ سيرته ومنهجه، الجزء الأول، ص٥٦.

الكشفية الجغرافية الأوربية خاصة البرتغالية،وما نتج عنها من انقلابات اقتصادية، وتداعيات سياسية، و ظهور قوى إقليمية إسلامية في المنطقة اليمنية حاولت التصدي للمخططات البرتغالية،[١] فإن القرن السابع عشر الميلادي- القرن الذي ولد فيه الحداد - شهد زوال هذه القوى الخارجية، وتغيرًا للخارطة السياسية. فبعد خروج العثمانيين من اليمن سنة ١٦٣٥م قامت الدولة القاسمية في أجزاء واسعة من اليمن، والجدير بالإشارة أن هذه الدولة لم تكن الكيان السياسي الوحيد في المنطقة بعد خروج العثمانيين بل كانت أكبر تلك الكيانات، تليها من حيث الأهمية السياسية السلطنة الكثيرية في حضرموت[٢].

وتعاقب على حكم السلطنة الكثيرية في حياة الحداد ثمانية من السلاطين الكثيريين ابتداءً من السلطان بدر بن عمر بن بدر الكثيري، وانتهاءً بالسلطان عمر بن جعفر بن علي، وبهذا يكون الحداد عاصر أصعب مراحل هذه السلطنة، وسنوات انحسارها قبيل سقوطها.

وفي العموم لم تشهد الأوضاع لسياسية في حضرموت الاستقرار؛ إذ إن النزاع والصراع على السلطة أو معها من قبل القوى المحلية المتنافسة كانت السمة البارزة التي ميزت تلك المرحلة، وإذا كان بعض السلاطين قد حافظوا على بقاء نوع من التماسك السياسي للسلطنة، فإن ذلك كان في الغالب وقتيًا، ولم تقف متاعب آل كثير عند هذه بل تعدى ذلك إلى

---

(١) د. عبدالله سعيد الجعيدي، السلطنة الكثيرية الأولى في حضرموت ١٤١١-١٧٣٠م، أطروحة دكتوراه، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، ٢٠٠٣م، ص١١٤.

(٢) محمود علي السالمي، محاولات توحيد اليمن بعد خروج العثمانيين١٠٤٥-١٠٩٧هـ/ ١٦٣٥- ص١٠٨.

حدوث كثير من الانقسامات والتنازع داخل صفوف الأسرة الكثيرية الحاكمة من أجل السلطة والنفوذ، الأمر الذي أدى إلى اضطراب حبل الأمن،وانتشار الفوضى، وتزعزع كيان السلطنة [١].

ودفعت هذه الأوضاع وأسباب أخرى إلى امتداد سلطة الدولة القاسمية إلى حضرموت مدة من الزمن، ثم تكثف الوجود اليافعي فيها، فأدى ذلك إلى تعقد الحياة السياسية والاجتماعية في حضرموت[٢]، وفرض حقائق خطيرة وجديدة هزت السلام الحضرمي، والأمن الاجتماعي في أهم مفاصله. وفي خضم هذه التيارات المتلاطمة سعى الحداد بوصفه مصلحًا اجتماعيًا، وعالمًا فقيهًا، إلى كبح جماح هذه التيارات بالكلمة الصادقة، والنصيحة المخلصة، والموقف الثابت، وظل على هذا المنوال حتى أيامه الأخيرة.

مضمون المكاتبات:

توجد نسخة من مكاتبات الحداد مخطوطة في مكتبة الأحقاف بتريم للمخطوطات، وقد اعتمدنا في هذا البحث على النسخة المطبوعة في مجلدين،وإذا كان الحداد كما هو معروف قد ألف مؤلفات متنوعة المواضيع كالتصوف والفقه والشعر فإن هذه المكاتبات التي تراسل فيها مع شخصيات مختلفة المشارب والثقافة من أهل عصره تتضمن جوانب من كل ما كتبه واهتم به. ونلمس ذلك من خلال العنوان الطويل الذي اختاره لهذه المكاتبات، وورد في مقدمة الكتاب وهو :(جامع المكاتبات

(١) د. عبدالله سعيد الجعيدي، المرجع السابق، ص ١٩٤

(٢) محمد عبد القادر بامطرف، في سبيل الحكم، دار الهمداني، الطبعة الثانية، عدن، ١٩٨٣م، ص١٣.

والوصايا والكلمات والقصائد المشتملة على الحكم والفوائد والمنافع والمراشد)[١].

وفي المقدمة أيضًا أوضح الحداد الغرض الذي دفعه إلى تجميع المراسلات في مؤلف واحد عندما قال : " إني قصدت أن أجمع في هذه الأوراق أطرافًا مما فتحه الله علي وأنطقني به من الكلام الموافق لكلام الله، وكلام رسوله، وهدي السلف الصالح رضي الله عنهم، حملني على ذلك خوف الاندراس، الذي يستولي غالبًا على ما لم يكن مدونًا، ومجموعًا كما وقع ذلك لكثير من كلامنا وأيضًا - أعني ما نقصد جمعه - يحتوي على فوائد أحتاج إليها في نفسي، واستفيدها في خاصتي، وكذلك الإخوان والأصحاب وكل مؤمن إلا مستكبرًا ينكر آيات الله ....: "[٢].

يستهل الحداد رسائله بأسلوب نمطي نلاحظه في معظم هذه الرسائل أو المكاتبات فبعد البسملة يبدأ بالحمد لله، والتعظيم له،والثناء عليه. ثم بالصلاة على النبي محمد ﷺ، والتبجيل لذكره. أو بآية من القرآن الكريم، ويلحق ذلك بمدخل يطول ويقل، لكنه يحمل إشارة ذكية للمرسل إليه تمهد لمضمون الرسالة،ويعقب ذلك ذكر اسم المرسل له، كأن يقول من الفقير لله عبدالله بن علوي الحداد إلى (.....)، وأحيانًا لا يذكر الاسم ويقول إلى: (فلان بن فلان)، ولكنه يحرص قبل ذكر اسم صاحب الرسالة على إصباغ الألقاب والنعوت التي تتناسب مع المقامات الشخصية والاعتبارية.

---

(١) عبدالله بن علوي الحداد، مكاتبات لحداد، ،عني بطبعه حفيده علي بن عيسى الحداد، مطبعة عيسى البابي الحلبي الجزء الأول، ١٩٧٩م، ص٥

(٢) نفسه، ص٤-٥.

وأغلب رسائل الحداد عبارة عن ردود على رسائل وردت إليه. وعندما عوتب على ذلك سوغ ذلك في إحدى مكاتباته بقوله : " لأن المعتاد أن لا نبتدي بالكتابة، غير أنّا نجيب لمن كتب إلينا والموجب لذلك أن الكتب واصلة إلينا من أكثر النواحي، ولنا معارف ومحبون ومنتسبون، ولو فتحنا باب الابتداء لحصل التغاير والمطالبة"[١]. وما يعيب هذه المكاتبات أن عددًا منها غير مؤرخ رغم ما تحويه من مادة تاريخية مهمة. ومثل هذه الرسائل استفدنا منها عند التناول العام للمجتمع، كما لم يراع عند طبعها الأسس العلمية البسيطة في النشر مثل ترتيب المكاتبات وفقًا للتسلسل الزمني، أو فرزها حسب موضوعاتها.

وقد اتسع خط بريد الحداد وتجاوز المدن والبلدات الحضرمية واليمنية إلى العراق وبلاد الحرمين الشريفين ومصر والهند ومناطق من شرق إفريقيا والجميع يبحث من تريم -بوصفها مركز حضرموت الديني- عن إجابات لتساؤلات دينية وطمأنينة لمشاكل شخصية، ونفحات صوفية، ونصائح سياسية واجتماعية متنوعة، وقد قدمت حضرموت رسالتها ممثلة في مدينة تريم وعلمائها في عصر كانت الروح الصوفية هي المسيطرة على المشهد الثقافي في حضرموت.

أحوال مدينة تريم الثقافية و الاقتصادية والسياسية:

أسهمت هذه المكاتبات في تقديم مادة علمية تاريخية عن الأوضاع والاقتصادية الاجتماعية والثقافية والسياسية في حضرموت في عصر السيد عبد الله بن علوي الحداد، وجاءت هذه المعلومات عرضًا في سياق

(١) عبدالله بن علوي الحداد، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص٦٩.

المكاتبات، ورغم محدودية المعلومات التي تحويها تلك الإشارات العرضية، فإن الباحث المتأني يجد بعض السمين الذي له علاقة بتاريخ مدينة تريم، وحضرموت بشكل عام.

كما تعرضت هذه المكاتبات إلى العقود الثلاثة الأخيرة من عمر السلطنة الكثيرية بخاصة تلك المكاتبات التي وجهها الحداد للسلاطين الكثيريين، مما أعطى قيمة علمية كبيرة لهذه المكاتبات بخاصة للباحثين في تاريخ حضرموت الحديث، وبهذا تعد أرشيفًا وثائقيًا ثمينًا للسلطنة الكثيرية الحضرمية في عصر لا تولي فيه معظم الدول أهمية لحفظ مراسلاتها.ولأهمية مثل هذه الوثائق وندرتها نجد من الضرورة بمكان التركيز عليها فهي تقدم مادة مصدرية أصيلة لتلك الحقبة، وقبل هذا يجب أن نعرج على جوانب من الحياة الثقافية والاقتصادية للمجتمع في تريم بالاستناد إلى هذه المكاتبات.

فعلى الصعيد الثقافي حافظت تريم خلال العصور الوسطى والحديثة على مركزها بوصفها عاصمة حضرموت الدينية.وهذه المكانة نلمسها في ثنايا المكاتبات، وفي مكاتبة من مكاتباته يضع الحداد تريم بعد مكة المدينة من حيث الأهمية الدينية ومما قال : " . . .فإن تريم مدينة السادة والأخيار، والإقامة بها غنيمة الصالحين والأبرار، وليس شيء في هذه الأوقات يعوّض عنها ويحل محلها إلا أن يكون الحرمين المكرمين مكة والمدينة طيبة، وذلك لأهل الأدب، المشغولين بالطاعات والعبادات، وتعظيم الحرمات "[١].

وبينت المكاتبات أيضًا المكانة التي يحتلها سادة حضرموت

(١) نفسه، ص١٩.

ومشايخها ودورهم العلمي والروحي في المنطقة. لهذا نلاحظ أن الحياة الثقافية في حضرموت ارتبطت بعلماء الدين. وإذا خضنا في النواحي الثقافية بعيدًا عن المكاتبات، سيتطلب مصنفات مستقلة، وسيحرف البحث عن هدفه في تتبع الإشارات الثقافية والاجتماعية التي وردت في هذه المكاتبات، والنظر إليها من المنظور التاريخي. ومؤلفات الحداد نفسه ومن ضمنها هذه المكاتبات تدلل على المكانة العلمية الرفيعة التي وصلت إليها مدينة تريم، وتتجلى تلك المكانة لهذه المكاتبات في قوة المعنى وسلاسة الأسلوب ومتانة اللغة.

اشتهرت تريم بكثرة مساجدها، وكانت المساجد والزوايا والبيوت هي مكان التعليم الأساس؛ حيث يلتقي طالب العلم مباشرة بشيخه، ويتطور الطالب(أو المريد) في تلقي العلوم الدينية ابتداءً من القراءة والكتابة وحفظ ما تيسر من القرآن الكريم إلى التفسير والحديث والأصول والفقه والتصوف والمنطق والفرائض والفلك والعروض والنحو، وتعطى الإجازة في هذه العلوم من الشيخ للمريد (التلميذ) مباشرة أو عن طريق المراسلة [١].

ففي إحدى المكاتبات طلب (عبد الوهاب عبد الكافي الحب) الإجازة في كتب الحداد، وكان رد الحداد لهذا المحب الصوفي حسب تعبيره عمليًا حيث قال: " وطلبتم منا الإجازة بما لنا من المؤلفات والقصائد المنظومات فقد أجزناكم بذلك لرجاء حصول النفع لكم،

(١) علوي عبدالله طاهر، المعاهد الدينية في حضرموت وأثرها في الحياة الثقافية، ضمن مجموعة أبحاث جمعها وقدم لها الدكتور محمد ابوبكر حميد، بعنوان" حضرموت فصول من التاريخ والثقافة والثروة" ص١٥٨.

والانتفاع بكم وحصول بركات دعائكم. وأما الإجازة العامة في جميع ما قرأناه وسمعناه، فذلك يتوقف على معرفة تامة بكم، وبما أخذتموه من العلوم الأصلية، والفرعية وذلك لا يحصل من حيث الظاهر إلا بالاجتماع بكم أو بمن يعلم أخباركم، وتكون له دراية تامة بكم، وفي الإجازة الخاصة كفاية عن العامة"[١].

ويميز الحداد بين خاصة مجتمع تريم وعامتهم في الإقبال على العلوم. قال واصفًا أهل زمانه : " وأهل الزمان ما عاد لهم فهم ولا فقه في العلوم الدقيقة وإنما نظر من نظر منهم للتفرج والميز .....وأنفع الأشياء لأهل الزمان إن كان عاد شيء ينفعهم ويجدي فيهم علوم المعاملات من الأخلاق الباطنية والطاعات الظاهرة، مقرنًا بالمخاوف والمواعظ والزواجر مع التحذير عن أضداد ذلك من الأخلاق والأعمال المنكرة "[٢]، وفي مكاتبة إلى (إلى السيد الشريف الولد الملحوظ، المنور الوجيه الأكرم) كتب له يحثه على طلب العلم : " واستوصوا بالعليم والتعلم، والاستيصاء والإيصاء،ولا تشتغلوا إلا به،وبالعمل بنتائجه ومقتضياته،فليس ينبغي إنفاق العمر والوقت إلا في ذلك"[٣].

ومع الخاصة من أهل تريم وما حولها حفلت المكاتبات بالكثير من الإشارات التي تدل على عناية خاصة بالكتب وتبادلها، والتساؤلات عن بعض المعاني والاصطلاحات، ومناقشة بعض القضايا الفقهية المعقدة أو ذات البُعد الفلسفي مثل هل الإنسان مخير أم مسير؟. ومن خلال رد

(١) عبدالله علوي الحداد، المرجع السابق الجزء الثاني، ص١٥
(٢) نفسه، الجزء الأول، ص ٣٦٤
(٣) نفسه، الجزء الثاني، ص١٨٥.

الحداد على رسالة(الشيخ العفيف المنور اللطيف العام النجيب، المحب في الله الحبيب : عبدالله بن سعيد بن عثمان العمودي)نفهم وجهة نظر الحداد في الأمور الدينية التي لا تتناسب مع زمانه ومما قاله: " . . . . فأما المسائل التي سألت عنها فإن أكثرها من العلوم العزيزة الغامضة التي سبيلها الاختفاء والكتمان خصوصًا في هذا الزمان والأوان، الذي عزّ فيه وقل من يعرف شرايط الإسلام والإيمان، وقد أعرض الناس عن هذا الأمر واقتحموا لجّة الأخطار في شهوات البطون والفروج وجمع حطام الدنيا لذلك"(١).

ولقيت كتب الحداد إقبالًا عند أهل زمانه، ويتضح ذلك من الرسالة التي بعثها إلى السيد فلان بن فلان - كما جاء في الرسالة - في هذا الصدد كتب الحداد : "وانظروا ثقة تصدرون معه (رسالة المعاونة) لأنه قد كثر - من أهل تريم وغيرها - الطلب لها وما عندنا نسخ عديدة، فرأينا أن نقابل نسختكم بغيرها لبعضهم ثم نردها لكم"(٢). وفي مكاتبة أخرى كتب إلى الأخ (المصطفى قرين الوفاء وسليل السادة الشرفاء فلان بن فلان) الآتي : " . . . . . اعلم أيها الأخ أنه وصل كتابكم وحصل به الأنس،وفي صحبته الديوان والكراستان اللتان كتبتهما لنا.فقد جاءت بحمد الله في غاية الحسن"(٣).

وفي متون هذه المكاتبات وردت عشرات الأسماء للكتب المستشهد بها في مسألة ما أو المتدوالة لزيادة المعرفة أو للترغيب في قراءتها

(١) نفسه، الجزء الأول، ص٣٥٠
(٢) نفسه، ص ١٠٦
(٣) نفسه، ص١١٦.

والاستفادة منها،من ذلك: بعض مؤلفات الحداد، وبعض كتب الإمام الغزالي منها (إحياء علوم الدين)، (وبداية الهداية)، و(منهاج العابدين)،و(كتاب شرح الصدور في أحوال أهل القبور للسيوطي)، (وكتاب العوارف للسهروردي) (وكتاب شرح الشهاب) (وكتاب روض الرياحين لعبد الله بن اسعد اليافعي)، (وكتاب قوت القلوب للإمام أبي طالب المكي) (والنفائس العلوية الجامعة للمسائل الصوفية لشهاب الدين أحمد بن زين الحبشي)، (وكتاب كشف الران عن وجه أسئلة الجان لعبد الوهاب الشعواني المصري) . . .إلخ.

وتناول هذه المؤلفات في مكاتبات الحداد يدل على الصبغة الصوفية التي ميزت ثقافة المجتمع الحضرمي في تريم.ويأتي في صدارة هذه الكتب كتاب الغزالي إحياء علوم الدين الذي يعد من أهم كتب التصوف إقبالًا وانتشارًا في حواضر حضرموت،ووصفه الحداد في إحدى المكاتبات بأعجوبة الزمان[1]، لهذا احتلت الاستشهادات والاقتباسات من هذا الكتاب مكان الصدارة في مكاتبات الحداد.

ولسيادة الروح الصوفية في حضرموت زخرت هذه المكاتبات أيضًا بالفكر الصوفي ومصطلحاته، وتعرضت لبعض علمائه وأقوالهم.ففي ثنايا هذه المكاتبات انتشرت وتكررت مفردات صوفية منها : القطب، الغوث، الأبدال، الأوتاد النقباء، العالم العلوي، عالم الشهادة، العرفاء المختارون الكشف،المحجوب، الخرقة الصوفية، الأولياء،الخلوة، العزلة، أهل الاصطلام، المنازلة، الواصل، العارف، السالك، ذوق مواجيد أهل التحقيق، سلوك نهج الطريق. . .الخ.

(١) نفسه، الجزء الثاني ص١٢٢.

وسحبت هذه المكاتبات الحداد إلى الإجابة عن مسائل فقهية صوفية أشكلت على أصحابها نحو : ما حكم الخواطر في حق الواصل؟ وما حكم سيئة العارف؟[١] ويجيب الحداد بأوجز عبارة وألطف إشارة - حسب تعبيره-، وعندما يسمح المقام يعرّف الحداد بعض مصطلحات الصوفية، ففي مكاتبة أرسلها للشيخ (محمد بن ناصر وثاب) أجاب عن أصل التصوف قائلًا : "الهمة العالية، التي لا يرى السالك شيئًا سوى الله"[٢]. وفي مكاتبة له أخرى لبعض(الإخوان) عرف الصوفي : " من صفا من الكدر وامتلأ من العبر واستغنى بالله عن البشر واستوى عنده الذهب والمدر..." [٣]. وفي مكاتبة إلى (الشيخ البصير في الدين الراغب في المزيد من العلم واليقين،أحمد بن عبدالله باشراحيل) يغوص الحداد في معاني النفس عند الصوفية وقال : " اعلم أن النفس في اصطلاح الصوفية هي لطيفة في الإنسان، من طبعها إيثار الراحات العاجلة،وهي مجبولة إلى الحظوظ الفانية، وتعذيبها عندهم بالرياضة على موافقة الكتاب والسنة شرط صحة السلوك"[٤].

وعندما يتصدى الحداد لأسئلة معاصريه يدخل إلى الإجابة برفق وبأسلوب سلس غير متكلف من ذلك قوله : " فسنجيبك بكلام وجيز، يحصل به الإيضاح والإفهام، ويشفي بت الأشكال والإبهام، [وبتواضع] وإن كنا لسنا بأهل لنشرح معاني كلامهم الذي هو خير الكلام "[٥].

---

(١) نفسه، الجزء الأول ص٨-٩
(٢) نفسه، ص٣٠٣
(٣) نفسه، ٣٤٣
(٤) نفسه، ص ١٦٩، ويقصد بتعذيبها،مجاهدتها
(٥) نفسه، ص ٨٤.

ولشيوع التصوف في المجتمع التريمي - كما ذكرنا- احتلت ما يمكن تعريفها بثقافة الرؤيا والكرامة مكانة خاصةً في هذا المجتمع، وهذه الثقافة أسهمت في تشكيل الكثير من القناعات والمفاهيم والعادات، وفي هذه المكاتبات العشرات من الذين طلبوا من الحداد تفسير أحلامهم أو رؤاهم، وغالبًا ما يلتمس الحداد الجانب التفاؤلي في ردوده على أصحاب هذه الأحلام.

واللافت للنظر في هذه المكاتبات ندرة روايات الكرامات (الأعمال الخارقة) وحكاياتهاللصالحين التي تزخر بها المؤلفات الحضرمية التقليدية، ويبدو أن المقام لا يحتمل المقال، ومع هذا وردت بعض الروايات (لكرامات) عند بعض الصالحين، ولا غرابة أن تظهر مثل هذه الثقافة في مجتمع صوفي أغلب رموزه الدينية إن لم نقل جلّهم يدورون حولها ويعبرون عنها .

وفي هذا البحث تعمدنا الابتعاد عن باب النصائح التي اتسمت بها معظم المكاتبات، ولكننا نستطيع من خلال بعضها تخيل نظرة المجتمع التريمي نحو الحياة، أو الدنيا الفانية كما يحلو للحداد وصفه لها، وإذا كانت هذه النظرة الزاهدة تجاه الحياة يحرص العلماء والشيوخ على إظهارها أمام العامة في مجتمع تريم، فهذا لا يعني شيوع هذه النظرة عند غالب الناس، ولكن لاشك في أن يكون لذلك مكان في وجدان الناس بتأثير هؤلاء العلماء والشيوخ.

وحقيقة الأمر إن صعوبة الأوضاع الاقتصادية في تريم، وحضرموت عمومًا لا يدفع باتجاه الانكباب على الدنيا وملذاتها.ولكن الحداد بدافع يقظة العالم وحرص الفقيه وخوف الورع، نجده يكثر في التهوين من

الدنيا ويحث على الاستعداد للموت، وقد تكرر ذلك في كثير من مكاتباته بمعنى واحد، وبأسلوب وكلمات مختلفة، من ذلك: " وأما الدنيا الحقيرة الصغيرة فهي أقل من أن يغتبط بها لبيب فاضل" [١]، "واعلم أن الدنيا سريعة الزوال، وشيكة الارتحال، كثيرة الأنكاد والأشغال، إذا أقبلت أشغلت وأفتنت،وإذا أدبرت غمت وأحزنت"[٢]، ويذم الحداد المتهالكين على الدنيا فيقول : " . . .وحاصل الكتاب أنك لم تزل متهالكًا على الدنيا متهافتًا عليها تهافت الفراش على النار ما أحمقك وأجهلك وأقل وعيك"[٣].

على أن شكواه من الزمان وأهله تقربنا إلى مجتمع تريم رغم ما يعتري الشكاوى من عموميات ومبالغات تذكر على سبيل الحرص على إصلاح الأحوال وبناء المجتمع المثالي الخالي من الشرور والمفاسد، من ذلك ما كتبه إلى (محمد أحمد بانافع) : " ما أستغرب وجوده في هذا الزمان المبارك الذي عزّ فيه وجود المقبلين على الله، لاشتغال أهل الزمان بعمارة الدنيا وجمع حطامها"[٤]. وفي مكاتبة أخرى (إلى أبي بكر بن عبدالله القدري باحسن) قال : " ولعل الفقر في هذا الزمان أسلم للإنسان وأصلح له من الغنى، الذي لايتم لأهله إلا بالتفريط والتخليط واقتحام الشبهات كما هو معروف ومشاهد من أحوالهم"[٥].

وفي مكاتبة إلى(علي عبد الله العيدروس) يرسم الحداد صورة قاتمة

(١) نفسه، ص ١٢٥
(٢) نفسه، ص ١٩٣
(٣) نفسه، ص ١٣٠
(٤) نفسه،. ص٢١
(٥) نفسه، الجزء الثاني، ص ١٢.

للزمان وأهله في تريم عندما قال : " . . .سيما في هذه الأزمنة المبتورة المنكوبة التي قد ذهب فيها الأخيار والخير، وعم فيها الأشرار والضير، ولم يبق فيها داع ولا مجيب، ولا نسيب ولا حسيب، ولا صورة ولا حقيقة،والحال كالحال،والبال كالبال"[١]، وهذه الرسالة مؤرخة في ١٨ شعبان ١١٢٦هـ/ ١٨ أعسطس١٧١٤م أي قبل وفاة الحداد بست سنوات، وجاءت هذه الصورة اليائسة في وقت شهدت فيه السلطنة الكثيرية حالة مريعة من التدهور والضعف وفي مرحلة يمكن أن نسميها بالانتقالية؛ إذ شهدت تنامي نفوذ القبائل اليافعية واستماتة السلطان عمر بن جعفر الكثيري في الإمساك بالخطوط الأخيرة للسلطنة، ولهذا وفي الرسالة ذاتها يوضح ما آلت إليه البلاد بقوله: " وإن تسألوا عن الجهة، فقد تقلبت وساءت أحوالها، وأشرفت على الخراب والسبب لذلك ولاة السوء، وعمال الفساد"[٢].

والصيد التاريخي الثمين نجده في تلك المكاتبات التي أرسلها للسلاطين الكثيريين، وبعض المكاتبات المتفرقة التي حوت فقرات تبدأ بجملة (وإن تسألوا عن الجهة) فخلالها يرسل الحداد إشارات و(برقيات) عن الأوضاع في تريم تفيد في التدوين التاريخي لهذه المدينة وبخاصة الاطلاع على أحوالها السياسية، ونلاحظ في معظم هذه الفقرات التي تضمنتها مكاتباته مشاهد مضطربة تنذر بوقوع الكارثة. والمكاتبات المؤرخة سهلت لنا المقاربة بين إشارة الحداد والتطورات السياسية في السلطنة الكثيرية من خلال المصادر التي تناولت هذه الأحداث، وحتى تلك غير

(١) نفسه،ص ٦٠
(٢) نفسه، ص٦٠.

المؤرخة منها تفيد في رسم الخطوط العامة للأحداث التاريخية التي شهدتها مدينة تريم وحضرموت عمومًا.

ففي مكاتبة للسيد أحمد بن زين بن علوي الحبشي المؤرخة ٨جماد آخر ١١١٥هـ/ ٢٠اغسطس١٧٠٣م كتب الحداد: " فإنها قد ظهرت في هذه الجهات فتن غير معهودات ولا مألوفات إلا أن يكون مثل ذلك قد وقع في أزمنة سابقات. . . .والدعاء الدعاء خصوصًا وعمومًا،فإن هؤلاء قد عاثوا في البلاد وأضروا بالبلاد وعسى أن يكون في هذا الرجل وهو عمر بن جعفر المقبل خلف صالح منهم يجبر الله به القلوب"(١). واللافت في هذه المكاتبة ظهور السلطان عمر بن جعفر الكثيري ومحاولاته في وضع حد لتشرذم الأسرة الكثيرية الحاكمة، وواضح أن الحداد يؤمل فيه خيرًا. ويؤكد ذلك اهتمام الحداد بالسؤال عن أخباره، ففي مكاتبة مؤرخة ٨ربيع الثاني١١١٨هـ/ ١٥سبتمبر١٧٠٦م كتب: " وإن تسألوا عن السلطان عمر أصلحه الله واخذ بيده فهو في (قشن) في خير وعافية وعزة. وتبلغ منه أخبارًا على أنه إلى الشحر أو دخلها"(٢). والجدير بالإشارة أن السلطان عمر بن جعفر الكثيري اشتهر بمقاومته للنفوذ اليافعي في حضرموت لهذا سنجد في المكاتبات القادمة مراسلات متبادلة بينهما يطلب فيها السلطان عمر بن جعفر من السيد الحداد المشورة والنصيحة.

وفي مكاتبة غير مؤرخة يوضح لصاحبها حال الجهة وتريم: " ولا يخفاكم ما عمت به البلوى في هذه الأيام، من تخوف الفتن المضلة، وتوقع الشرور العامة، وقد كان بالأمس يتخوف المكروه من جهة، وصار

(١) نفسه، ص١٠٩
(٢) نفسه، ص١٩٢.

الآن من جهتين، وصار قريبًا بعد أن كان بعيدًا والمظهر مظهر عقوبة من الله ". وفي فقرة أخرى من المكاتبة يتحدث تحديدًا عن مدينة تريم فيقول: " . . .فإن تريم صارت هذه الأيام كلجة البحر،والشاغل في كل مكان، وكل من ورد يفضي إليك الهم والنكد"[١]. وعلى الرغم من أن هذه المكاتبة غير مؤرخة فإنها قدمت صورة واضحة لما آلت إليه الأوضاع من تردٍّ وتدهور، ولا تحتاج إلى تعليق ولكنها تضعنا في حيرة ! فما هما الجهتان اللتان تسببتا في المكروه الذي أصاب حضرموت؟ومما يزيد الأمور تعقيدًا أن الحداد لم يُسَمِّ صاحب الرسالة واكتفى مثل الكثير من مكاتباته بمخاطبة المرسل إليه ب (فلان ابن فلان).

وفي مكاتبة تكرّم فيها الحداد بذكر تاريخها (١١ربيع الثاني ١١١٧هـ/ ٢٩سبتمبر١٧٠٥م) وذكر المرسل إليه وهو: (أبو عبدالله علي ابن السيد عبدالله ابن السيد الشيخ أحمد بن الحسين العيدروس باعلوي) وجاء فيها : " وإن تسألوا بالخصوص عن الجهة، فقد تكدرت وتشوشت، لا بل تعكست وتنكست، بسبب فتن وجدوب وأمراض وخطوب،واختلفت عليها أيدي ولاتها، في أوقات قريبة :هلك بسببها الحرث والنسل . . . . . وقد كانوا من أسباب ذلك من زمان قديم. لكن وافق الأوائل أوائل والصدور صدور والجهة جهة. وجاء هؤلاء في الأذناب والأعقاب ولا يخفى عليكم أحوال المقبل مع الإقبال، والمدبر مع الإدبار"[٢].

ومعرفتنا لتاريخ المكاتبة سهل علينا فهم ملابسات هذه الحوادث وما قصده الحداد،فقبل تاريخ هذه المكاتبة بعدة أشهر استفحل الصراع

(١) نفسه، الجزء الأول، ص ١٠٨
(٢) نفسه، ص٤٤٩.

والانقسام بين أفراد الأسرة الكثيرية الحاكمة، وبعد خروج السلطان عيسى من حضرموت في سنة ١١١٦هـ/ ١٧٠٤م انحصر الصراع الأسري الكثيري في كل من السلطان عمر بن جعفر والسلطان القائم بدر بن محمد المردوف،الذي اعتمد على العناصر اليافعية المقيمة في حضرموت[١]. وفي الجانب الآخر نجد السلطان عمر بن جعفر الرافض للوجود اليافعي في حضرموت عمل على التقرب من الأئمة في صنعاء واستنجد بهم للوقوف إلى جانبه [٢]. وفي أواخر سنة ١١١٦هـ١٧٠٤م تقدم السلطان بدر بن محمد المردوف وبصحبته ستة آلاف من رجال يافع، ويعد ذلك من نقاط التحول في التاريخ الحضرمي[٣]، ولا نريد أن نخوض في تفاصيل الأحداث التاريخية وتعقيداتها ونهدف من ما ذكرناه توضيح تلك المرارة التي تضمنتها المكاتبة.

وسجلت مكاتبات الحداد ما يمكن أن نسميها شهادة إلى القبائل اليافعية وحلفائها من الكثيريين بقيادة السلطان بدر بن محمد المردوف بعد دخولهم حضرموت رغم تصويره للتبعات السلبية لتلك الحملة الشهيرة في التاريخ الحضرمي،وذلك في المكاتبة المؤرخة ٨ربيع الثاني ١١١٧هـ/ ٢٦سبتمبر١٧٠٥م، والمرسلة إلى حسن بن مطهر العمودي حيث قال : " . . . .وخصوصًا من حال هذه الواقعة الحادثة التي عم ضررها البلاد والعباد، والحاضر والباد،من غير موجب ظاهر يوجب ذلك، سوى التجاوز والعناد وقصد البغي والفساد. . . .إلا أنهم لم يهتكوا الحرمات ظاهرًا وعمومًا "[٤].

(١) د. عبدالله سعيد الجعيدي، المرجع السابق، ١٧٧
(٢) صلاح الكري، تاريخ حضرموت السياسي،لجزء الأول، ص١٠٩
(٣) محمد عبدالقادر بامطرف، في سبيل الحكم، ص١٣
(٤) عبدالله علوي الحداد، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص١٩٤.

وتستمر مكاتبات الحداد في وصف المشهد السياسي في حضرموت وتريم، ولأن المشهد واحد أو متشابه نجد الوصف كذلك، ففي مكاتبة مؤرخة ١٣رجب ١١٢٦هـ/ يقول في مكاتبة : " وإن تسألوا عن الجهة،فإنها صالحة، وقد أضر بهم جور الدولة وانحرافهم على الناس حتى شردوهم وبددوهم والجزاء من جنس العمل"(١).

وبعد شهر وخمسة أيام من الرسالة السابقة أي في ١٨شعبان١١٢٦هـ/ ١٨أغسطس١٧١٤م يعود الحداد أكثر يأسًا؛ فقد كتب للسيد علي بن عبدالله العيدروس: "وإن تسألوا عن الجهة فقد تقلبت وساءت أحوالها، وأشرفت على الخراب والسبب لذلك ولاة السوء وعمال الفساد"(٢). واستمر الوضع على ما هو عليه، وفي مكاتبة مؤرخة ١٨ شعبان ١١٢٧هـ/ ٢٨ أغسطس ١٧١٥م كرر العبارة نفسها : " وإن تسألوا عن الجهة،فقد تقلبت وساءت وأشرفت على الخراب والسبب لذلك : ولاة السوء، وعمال الفساد"(٣).

وفي أخرى مشابهة مؤرخة يوم الأحد ١٧ من شهر المحرم ١١٢٨هـ/ ١١ يناير ١٧١٦م كتب إلى السيد أحمد زين الحبشي: " والناس طيبون، وإنما معهم الشجن : من ضيق الصدور، من جور هذه الدولة، وحيفهم على الناس وتكليفهم ما لا يطيقون، من غير وجه ولا موجب يقتضي ذلك"(٤).

---

(١) نفسه، ص٥٢
(٢) نفسه، ص٦٠
(٣) نفسه، الجزء الأول، ص ٥٥٠
(٤) نفسه، ص٥١٤.

وفي رسالة بتاريخ ١٤شوال ١١٢٩هـ/ ١٠سبتمبر١٧١٧م قال : " وإن سألت عن جهة حضرموت وبندرها المباركة، فهي صالحة،وفيها تشويش ومعظمه من العسكر والجند المائلين عن شاكلة الصواب نسأل الله أن يصلحهم ويردهم إلى الأماكن التي كانوا بها "[١]. ويبدو أن الأمور مالت بعض الشيء إلى الهدوء ففي مكاتبة تعود للعام نفسه كتب: " وإن تسألوا عن الجهة المباركة، فهي صالحة وآمنة بالنسبة "[٢]، وهكذا توالت إشارات الحداد واستمرت باستمرار هذه الأوضاع على هذا المنوال حتى وفاته سنة ١١٣٢هـ/ ١٧٢٠م.

وتتضمن هذه الفقرات أيضًا إشارات عابرة عن الأحوال الاقتصادية في تريم وحضرموت عمومًا،ففي بعض هذه الإشارات يفصل الحداد بين أخبار السياسة وأخبار الاقتصاد ففي مكاتبة مؤرخة ٢٣ صفر ١١٢٥هـ/ ٢٠ مارس١٧١٣م كتب الحداد : " والجهة بحمد الله صالحة وبها الأمان والرخاء في أمور المعاش، وأما الدولة فدولة ضعيفة " [٣]. وفي المكاتبة المؤرخة ٢٤ ربيع الثاني ١١٢٧هـ/ ٢٦يونيو١٧١٥م يقول الحداد: " وإن تسألوا عن جهتكم المباركة فهي آمنة مطمئنة وبها الأمطار ويسر الأسعار وأكثر تشوشها من دولتها "[٤].

وتتأرجح إشارات الحداد الاقتصادية السلبية منها والإيجابية بحسب تغير الظروف السياسية، وبحسب المرسل له ففي رسالته للسلطان عمر بن جعفر المؤرخة ٢٩ جماد أول ١١٢٧هـ/ ٣ إبريل١٧١٥م كتب الحداد: "

(١) نفسه، الجزء الثاني، ص ١٨٢
(٢) نفسه، ص١٨٥
(٣) نفسه، ص٢١
(٤) نفسه،ص ٩٢.

والزمان كثير العوارض وأهله مطبوعون على الاضطراب، والأمور كلها في انعكاس وانتكاس"[١]. وفي مكاتبة يصف الحالة الاقتصادية بوضع بين بين: "وأمر المعيشة بين الرخاء والقحط،لاختلاف القلوب وإعجاب كل رأي برأيه والانكباب على جمع هذا الحطام"[٢].

وتحتاج إشارات الحداد الاقتصادية إلى كثير من الحذر، فالرجل يحرّض في مكاتباته على نبذ الدنيا والتعلق بها، ويشجع على الاهتمام بالأمور الدينية وفق ثقافة ذلك العصر، فربما كتب بهدف تشجيع الناس إلى العودة إلى الوطن، أو خلق حالة من التفاؤل (والفرج قريب) كما يردد في المكاتبات. ومن جانب آخر ربما يكتب الحداد وفق تأثير لحظة أو موقف سلبي ما، بينما نجد إشاراته عن حالة الأمن في مدينة تريم أو الجهة - حسب تعبيره - كما أشرنا لبعضها، تحتل حيزًا كبيرًا من اهتماماته، ولا ريب في العلاقة التلازمية بين الاستقرار الاقتصادي ولو في حده المعقول، وبين مدى ثبات حبل الأمن ولو في حده المقبول.

وعمومًا كانت الحياة الاقتصادية بسيطة في مجتمع تريم؛ فقد اعتمد السكان على الزراعة المروية بمياه الأمطار بشكل أساس، ولأن منطقة حضرموت جغرافيًا تقع في منطقة ظل المطر فكانت تنتابها حالات الجفاف عندما تنحبس هذه الأمطار، لهذا كان خبر المطر يحتل مكانًا مهمًّا في المكاتبات، ففي إحدى مكاتباته المؤرخة ٢ذي القعدة ١١٢٤هـ/ ٣٠ نوفمبر ١٧١٢م والمرسلة إلى (عمر بن عبد الرحمن البار) كتب الحداد: " ...وابتداء المطر من نحو الظهر يوم الثلاثاء الخامس

(١) نسه، ص ١٣٠
(٢) نفسه،الجزء الأول، ٥٦.

والعشرين من شهر رمضان وهو يخف ويثر من غير رعد ولا برق ولا رياح. . . نعم وبقية الأودية بتريم فاضت بسيول متوسطة، فعسى الله يبارك للمسلمين في ما أعطاهم"[١].

ولأهمية المطر في حياة السكان نظروا لها بوصفها عطية كبرى من الله لهذا ترادفت كلمة المطر مع كلمة الرحمة، وعندما يقول الحضارمة قديما وحديثا : (الأرض مرحومة) أول ما يتبادر إلى ذهن الفرد منهم إن أصاب الأرض المطر، وعودة إلى الحداد والأخبار السارة نلمحها في تلك المكاتبة غير المؤرخة التي قال فيها : " وإن سألتم عن أخبار الجهة، فهي مطمئنة والغيث والرحمة فيها كثير"[٢].

كما كتب إلى الشيخ محمد بن سعيد العمودي مكاتبة وسع فيها كلمة الرحمة لتشمل السلام والسكون : " وإن تسألوا عن الجهة الحضرمية فقد حصل فيها بعض شيء من الرحمة، والمرجو من الله عموم الرحمة وشمولها ظاهرًا وباطنًا من السلام والسكون أكثر وأكثر ولكل بداية نهاية"[٣]. وفي أخرى يقول: "مما نعلمكم به،أنه وقع بتريم ونواحيها أمطار وسيول كثيرة، وذكرتم في كتابكم أن المكان عندكم شارب[٤]" . وقد وردت الكثير من الإشارات عن أخبار الجهة وأمطارها تناثرت وسط المكاتبات، ولخصوصية كتابة الرسائل للأشخاص فإن الأخبار الساخنة والحوادث الجديدة غالبًا ما ترد في مثل هذا النوع من الكتابات. وهكذا حضرت أخبار المطر على الورق، عندما حضرت المطر على الأرض.

(١) نفسه،ص ٢٥
(٢) نفسه، الجزء الثاني، ص٧١
(٣) نفسه، ص١٧٥
(٤) نفسه، الجزء الأول، ١١٤.

ونستنتج من وصايا الحداد للأفراد في بعض هذه المكاتبات أن الهجرة بوصفها نشاطًا اقتصاديًا اشتهر بهاالحضارمة منذ قرون سابقة، كانت إلى عهده مستمرة، ومع خط البريد الذي امتدت به ومعه مكاتبات الحداد امتد إلى حد ما خط سير الهجرة الحضرمية التي بلغت شرقًا إلى الساحل الشرقي الأفريقي، والى الهند وجزر الملايو غربًا والحجاز شمالًا، هذا الخط وتفرعاته الداخلية سارت عليه قوافل التجارة، وأنوار الثقافة، وفي محطاته الرئيسة أثّر الحضارمة في مجتمعات الوصول قدر استطاعتهم، وتأثروا به، ونستدل من المكاتبة التي بعث بها إلى (السيد أحمد بن عقيل بن أحمد بن يحيى باعلوي) أن خط الهجرة كان سالكًا إلى الجزر البعيدة من إندونيسيا وجاء في المكاتبة: " ..... وذكرتم أن قصدكم السفر إلى جزيرة (آشي)، وعلى نية الرجوع منها سريعًا "[١].

وأمل العودة إلى الوطن في ظل ظروفه الصعبة شغل بال بعض المهاجرين الحضارمة في بلاد الحرمين الشريفين وصار همًا مؤرقًا، وأرسلت الرسائل تطلب من (تريم) الإجابة، واشترط الحداد على من استشاره القدرة على الصبر فكتب: " وما ذكرتم عن الاشتياق للأهل والوطن، فذلك مما يستحسن وإن عرفتم من أنفسكم الصبر في تريم على أحوالها وضنك معايشها وظلم ولاتها فلا بأس من الخروج .....وإن عرفتم من أنفسكم قلة الصبر وضيق الصدر فما أحسن وأصوب من الإقامة بالحرمين الشريفين "[٢].

وفي مكاتبة لأحد الأمراء في الهند ويدعى (ياقوت خان) يلمِّح

(١) نفسه، الجزء الثاني، ص١٢٣
(٢) نفسه،ص ٧٥.

الحداد لأسباب هجرة الحضارمة ويطلب الرفق بهم : " .....والله الله في حسن النظر وحسن المواساة لمن يكون عندكم من السادة آل باعلوي والضعفاء والمساكين الواردين من تريم وحضرموت فإنهم فقراء ومقلُّون لا يحملهم على السفر والتغرب من أوطانهم وأولادهم إلا ذلك "(١).

وكما ذكرنا فإن الإشارات التي تتعلق بحياة الناس المعاشية محدودة ويبدو لنا أن ذلك عن قصد من السيد الحداد، فرسائل تزخر بذم الدنيا والصبر على المكاره وتذكر فيها كلمة الحطام عشرات المرات أو (حطام الدنيا) لابد أن يغيب ما هو للدنيا ومتعلقاتها من عملة وسلع وبضائع وأسعار وحوانيت ومزارع ومنتجاتها وحرف وغير ذلك من الأنشطة الاقتصادية التقليدية.

أما المكاتبات التي أرسلها للسلاطين الكثيريين فقد كانت أكثر وضوحًا في وصفها للمجتمع في تريم وحضرموت عمومًا في عهده وبخاصة في العقود الثلاثة الأخيرة لحياته كما سبقت الإشارة. ومعروف أن مدينة سيئون تعد عاصمة السلطنة الكثيرية في داخل حضرموت ومدينة الشحر في ساحلها، أما تريم فلا تضاهيها في حضرموت أي مدينة من حيث الأهمية الدينية والعلمية، ولهذا مثلت تريم المرجعية لمن أشكلت عليه مسألة أو أراد الرأي والنصيحة، وقد عبر ت مكاتبات الحداد للسلاطين الكثيريين عن فكره، ورؤيته لأمور السياسة والحكم. وهذه الرؤية تنطلق من ثقافته الدينية الواسعة، وشخصيته التي شكلتها مدينة تريم.

---

(١) نفسه، ص٥٦.

وإذا كانت أغلب مراسلات الحداد مع معاصريه من غير الحكام كانت ردودًا على مكاتباتهم فإن الوضع مع السلاطين اختلف قليلًا ويدفعه إلى ذلك استشعاره بخطورة المهمة الملقاة على العلماء والشفقة على الأهالي،من ذلك قوله : " . . . وقد كتبت إليك هذا الكتاب بعون الله قيامًا بحق النصيحة لك،حملني عليه الشفقة عليك، وعلى المسلمين "[١]. وفي رسالة للسلطان بدر بن عمر الكثيري،المعروف بموالاته للدولة القاسمية[٢] عبّر عن هذا الشعور بوضوح بالغ فقال : " ولنا شفقة عليكم وغيرة على دين الله،وقد فرض الله علينا النصيحة، والسعي في إظهار الحق، حسب الاستطاعة وأخذ علينا بذلك العهود،والمواثيق الغليظة "[٣]. كما يقدم نصائحه العامة للسلاطين التي تنفع لكل زمان ومكان منها : " وتفقدوا أمور الرعية، وانظروا في أحوالهم، وكفوا بعضهم عن ظلم بعض، وأنصفوا المظلوم وكونوا معه حتى يستوفي من ظالمه "[٤] ونهدف من ذكر تلك النماذج من النصائح إظهار دور العلماء في مجتمع تريم وأخذ البعض منه بزمام المبادرة بهدف الإصلاح وتجنيب المجتمع الفتن والمشكلات .

واحتلت المكاتبات التي تتعلق بالزكاة وكيفية جمعها نصيب الأسد من هذه المكاتبات، وبرزت المشكلة قبل امتداد سلطة الدولة اليمنية القاسمية الفعلي إلى حضرموت (١٠٧٠هـ/ ١٦٥٩م).فقبل ذلك اتسمت العلاقات بين السلطنة الكثيرية والدولة القاسمية بالتأرجح؛ فقد قبل

(١) نفسه، الجزء الأول، ص٤٣
(٢) صلاح البكري، المرجع السابق، ص ١٠٦
(٣) عبدالله علوي الحداد، المرجع السابق، الجزء الأول، ص٢٥٨
(٤) نفسه، ص٩٣.

السلاطين الكثيريون نظريًا التبعية (عن بعد)[١] لهذه الدولة الفتية، ولكن مناورات السلطان بدر بن عبدالله الكثيري أثارت حفيظة الإمام إسماعيل بن القاسم فأرسل في سنة ١٠٦٧هـ/ ١٦٥٤م مندوبًا من قبله يدعى الحسن بن أحمد الحيمي في مهمة ظاهرها إنهاء النزاع بين السلطنة والعمودي في دوعن،وكان غرضها الأساس هو تثبيت مظاهر الاعتراف بسلطة الدولة القاسمية في حضرموت، والتدخل قدر الإمكان في ترتيب أمور السلطنة الكثيرية المالية والإدارية بما يتوافق مع نظم الدولة الاقتصادية ومعتقداتها، ومما نتج عن هذه الزيارة تحديد مبلغ سنوي للدولة القاسمية من الزكاة والضرائب، فأربك ذلك أوضاع السلطنة[٢].

وكان الحداد مدركًا ومتابعًا لهذه التطورات، وعبّر عن موقفه في مكاتبته للسلطان بدر بن عبدالله ركز فيها على الزكاة وضرورة التقيد بطريقة جمعها وتوزيعها وفقًا للمذهب الشافعي، وعلى ما هو معتاد في حضرموت من قيام الأفراد بتوزيعها بأنفسهم دون تسليمها للحكام، وقد تعرض السلطان لضغوط من الدولة القاسمية ألمح إليها الحداد في مكاتبته بقوله : " . . .فإن قلت : إنما حملني على جمعها على هذا الوجه، وصرفها على هذا الوجه، أمر من جهة الزيدية وقد خشيتهم على الرعية" ، ويضيف بلغة دبلوماسية : " . . . .نعم لا بأس من مداراتهم عند خوف الشر بما لا يضر الدين كذكر إمامهم في الخطبة وحمل شيء من المال إليهم "[٣].

---

(١) د. عبدالله سعيد الجعيدي، المرجع السابق، ص١٦٢

(٢) حام الدين محسن أبو طالب،تاريخ اليمن عصر الاستقلال عن الحكم العثماني الأول، ١٠٥٦هـ -١١٦٠هـ تحقيق عبدالله محمد الحبشي، مطابع المفضل للاوفست، تعز، ١٩٩٠م،ص٧١

(٣) عبدالله علوي الحداد، المرجع السابق، الجزء الاول، ٣٨.

وبعد عودة السلطان بدر بن عمر إلى الحكم بالمؤازرة القاسمية بعد خلاف أسري كثيري لا مجال هنا لاستعراضه، اهتم هذا السلطان بجمع الزكاة بإشراف الدولة، ليفي بالتزاماته المالية للدولة القاسمية، وتصدى الحداد مرة أخرى وكتب للسلطان بدر بن عمر مكاتبة مؤرخة ٨ رمضان ١٠٧٢هـ / ١٦٦١م عبر فيها عن تمسكه برأيه السابق في مسألة الزكاة، ولكنه أظهر مرونة عندما قال في مكاتبته: " . . . فإن لم يمكنكم الأخذ بهذه المشورة، وعجزتم عن ذلك لأمر يعذركم الله به فاطلبوها طلبًا جميلًا من غير مناقشة ولا استقصاء بأن تضربوا الطبل"(١).

وربط الحداد بين حلول مشاكل السلطنة، وهذه الطريقة غير المعهودة في جمع الزكاة، وذلك من خلال مكاتبته للسلطان محمد بن بدر بن عمر وفيها حثه على التغيير: " . . . وعليك أيها المحب أن تجتهد في محو هذه البدعة بما أمكنك..وإذا انحسمت مادة الطمع في الزكاة من جهة الدولة استقام الأمر على الوجه الشرعي، والله الله في الرعية"(٢).

ويبدو أن الحداد توسم في هذا السلطان خيرًا فسعى إلى إحداث تغيير من داخل السلطنة وفي أعلى مناصبها لهذا كتب إلى السلطان محمد بن بدر رسالة في أثناء غياب والده للحج يمكن وصفها بالخطيرة، شجعه فيها على إجراء تغيير في سياسة والده الموالية للقاسميين، وطلب منه الإشارة ووعده بالدعم، وتكمن الأهمية التاريخية لهذه المكاتبة في كونها أول مكاتبة تشجع على التمرد على الدولة القاسمية ومما قاله الحداد فيها: " . . . . والنظر في أوائل الأمور لأواخرها وصف كل حازم،

(١) نفسه، ص٢٥٨
(٢) نفسه، ص١٤٥.

وتلافي الصوادر بعد صدورها، عن غير قرب عسير وأنتم العين والأذن واللسان في سد ما انفتح من هذا الأمر، . . . . . ولا يثقل عليك هذا الكلام ولا يوحشك. . . . . وأما نحن فإنا منتظرون إشارة باطنة وعند حصولها نشمر في كشف هذه الأمور"[١].

لكن دلت الأحداث اللاحقة على أن الوقت كان مبكرًا لإحداث التغيير المأمول في حضرموت بهذه الطريقة، ومن جانب آخر تفصح المكاتبة عن رؤية عميقة عند الحداد لظروف عصره توجه إلى أن المواقف الصحيحة تجاه الإصلاحات من قبل العلماء والمصلحين في مجتمعاتهم تحتاج أحيانًا إلى عمق من المشورة وبُعد من النصيحة.

وقد علق الحداد آمالًا كبيرة على السلطان عمر بن جعفر الكثيري، وقد عبر عن ذلك في مكاتبة أشرنا إليها سابقًا، وجرت بينهما مكاتبات عديدة دلت على اتخاذ السلطان عمر بن جعفر للسيد الحداد مرجعًا ومستشارًا له في بعض الأمور على الرغم من عدم التزامه بكل نصائحه، وحقيقة الأمر منذ بدايات ظهور هذا السلطان على المسرح السياسي في حضرموت حاول الحداد تنبيهه و تهيئته لواقع يتسم بالصعوبة، ففي إحدى المكاتبات المؤرخة ١١١٦ هـ/ ١٧٠٤م كتب له الحداد : " . . .ولاتكن ضعيف الهمة؛ فإن والي الأمر إذا ضعفت همته صغر في أعين الناس"[٢].

اضطلع السلطان عمر بن جعفر بدور المقاوم للوجود اليافعي في حضرموت منذ سنوات وجودهم الفعلي في حضرموت، وكان عليه الدخول في تناقضات المشهد السياسي في حضرموت ومواجهة قوى

(١) نفسه، ص ٣٤٦-٣٤٧
(٢) نفسه، ص ٤٦٩.

سياسية أخرى منافسة، وفي سنة ١١٢٣هـ / ١٧١١م جرت اشتباكات بين قواته وقوات الشيخ حسن بن مطهر العمودي. وانطلاقًا من إدراك السيد الحداد لخطورة هذا الصراع في تشتيت جهود السلطان عمر فقد حاول وضع حد له وذلك بأن طلب من السيد عمر العطاس التوسط بينهما، ومما جاء في هذه المكاتبة: "وعسى السلطان إن حصل الأمن، والسكون من جهة العمودي يتفرغ لحسن النظر بأمور رعيته وأهل الجهة ويأخذ بالجد والهمة في تخفيف هؤلاء العسكر الذين كثرت أشغالهم وأثقالهم على أهل الجهة"[١].

واستمرت مكاتبات الحداد تلاحق الأحداث، وتحاول تقديم النصيحة المخلصة بهدف الحفاظ على تماسك المجتمع ووضع حد للفوضى الضاربة بأطنابها، ولكن التطورات وواقع الحال كانت أكبر من أن تلملمها هذه النصائح، ولهذا كتب الحداد رسالة شديدة اللهجة إلى السلطان عمر حذره فيها من مغبة بقاء الواقع المتردي على ما هو عليه بينه وبين يافع، والآثار المترتبة على ذلك، واختتم مكاتبته بأسلوب المصلح الديني محملًا الطرفين المسئولية أمام الله بقوله: " وذلك في رقبتك ورقابهم"[٢] ونستنج من هذه المكاتبة اليائسة عمق الفوضى السياسية التي شهدتها حضرموت آنذاك، على أن الأهمية التاريخية لهذه المكاتبة تكمن في إنها أرخت للنزع قبل الأخير للسلطنة الكثيرية.

وكما توقع الحداد انهيار السلطنة الكثيرية، وعبّر عن ذلك في هذه المكاتبة التي نعتقد أنها أهم مما كتبه بعدها، نجده يستشعر نهاية أجله

(١) نفسه، الجزء الثاني، ص٣٢٤
(٢) نفسه، ص ١٨٩.

ففي مكاتبة مؤرخة في ٩ رمضان١١٣١هـ/ ٢٦يوليو١٧١٩م كتب : " وقد دنا الوقت وطويت الدنيا وقرب أمر الله. ولا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم "[١]، وبعد مرور عام وشهرين وبالتحديد في السابع من ذي القعدة ١١٣٢هـ/ ٩سبتمبر١٧٢٠م، وارى جسده الثرى وعمره قد ناهز الثمانية والثمانين عامًا.

الخلاصة:

سجلت هذه المكاتبات بطريقة ضمنية جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية في مجتمع تريم على الوجه الخصوص وحضرموت عمومًا، وقد حددت الدراسة لنفسها منهجًا واضحًا من البداية وهو القرب من مجتمع تريم في عصر الحداد من داخل هذه المكاتبات وليس من خارجها، ولهذا تجنبنا الخوض في بعض التفاصيل المهمة من جهة لكي لا تجرفنا عن منهجنا الذي اخترناه، ومن جهة أخرى للحفاظ على وحدة الموضوع الذي حددناه، وما تعمدنا الإشارة إليه من بعض الأحداث التاريخية ذات العلاقة بمحتوى المكاتبات يدخل في باب الاطلاع العام على هذه الأوضاعبما يسهم في ربط الأحداث التاريخية وتوضيحها.

بينت هذه المكاتبات أن الصبغة الصوفية هي المهيمنة على المشهد الثقافي في مجتمع تريم، في عصر الحداد وما قبله، وأن رموز التصوف في حضرموت لم تكن بعيدة عن ما يدور في مجتمعهم، كما هو الواقع عند بعض الطرق الصوفية المنتشرة على خريطة العالم الإسلامي وقتئذ، وقد دخل بعض من صوفية حضرموت في الشأن العام من باب النصيحة،

(١) نفسه، ص ٢٤٩.

وذلك بمقتضى تطور الأحداث، وحاجة الأحوال.

سيجانب الصواب من يرى أو يدعي أن هذه الدراسة بل وكل هذه المكاتبات يمكن تختزل فكر السيد عبدالله الحداد،فهي في حقيقتها لا تمثل إلا جانبًا محدودًا من فكره، وتراثه، واجتهاداته، ورؤيته لعصره، ، بغض النظر عن اتفاق الناس، أو اختلافهم مع ما كتبه، أو مواقفه.

ودلت هذه الأعداد الكبيرة من المكاتبات المرسلة إلى أماكن وبلدان متنوعة وأشخاص وأفراد متباييني المكانة الاجتماعية والثقافة، على أهمية تريم ومكانتها في عصر الحداد، ممثلة في علمائها وخاصة السيد عبدالله الحداد. وفي اعتقادنا أنَّ هذه المكاتبات تعدَّت الموقف الشخصي (والظاهرة الحدادية) إلى موقف مدينة تريم ومكانتها، التي تجلت هي الأخرى وكأنها مكنون وجدان حضرموت كلها، ونبض ضميرها.

وثائق من تاريخ حضرموت الحديث*
(دراسة وتحقيق)

الملخص

اتبع القعيطيون في أثناء خطواتهم لتأسيس كيانهم السياسي في حضرموت عدة أساليب، منها شراؤهم للبلدات والمدن،أو عن طريق السيطرة العسكرية المباشرة، أو بعقد الأحلاف والاتفاقيات مع القبائل، التي نصت أهم بنودها على الولاء الكامل للسلطنة، أو التحالف القائم على تبادل المنافع، والمصالح. وهو ما تضمنته هذه الوثائق موضوع هذه الدراسة.

تكشف الوثائق جوانب من تاريخ السلطنة القعيطية، وعلاقاتها مع القبائل المجاورة لمناطق نفوذها، وجهود السلاطين القعيطيين وكبار معاونيهم في ترسيخ دعائم السلطنة، وكذا دور بعض المنتمين إلى الأسر ذات المكانة الاجتماعية والتأثير الروحي في حضرموت في دعم تلك الجهود وتسهيلها. وتبين الوثائق رغم بساطة بنودها، وميل نصوصها إلى التقليدية؛ البعد الاستراتيجي في السياسة القعيطية، ووضوح الرؤية لديهم منذ خطواتهم الأولى في تأسيس سلطنتهم في حضرموت.

---

* مجلة جامعة حضرموت للعلوم الإنسانية،المجلد التاسع،العدد الثاني، ديسمبر٢٠١٢م.

الدراسة التمهيدية:

١- أهمية الوثائق:

تستعرض هذه الدراسة ثلاث وثائق تاريخية متعلقة بالسلطنة القعيطية وعلاقاتها مع بعض القبائل الحضرمية، وهي من حيث تاريخ إبرامها تعود إلى الأعوام (١٨٨٣م - ١٩٠٨م - ١٩٢٥م). وقد صنفت الوثائق في الدراسة بالرموز (أ- ب-ج) لتسهل الإحالة إليها عند ذكرها في المتون والهوامش.

أصل هذه الوثائق موجود بفرع الهيئة العامة للآثار والمتاحف والمخطوطات بالمكلا ضمن أرشيف يتيم يحوي عددًا متواضعًا من الوثائق تتعلق بالسلطنة القعيطية. وهذه الوثائق - موضوع البحث - التي نحاول تحقيقها لم تحظ بالدراسة التاريخية المستقلة، وإنما تناولتها بعض الدراسات التاريخية ضمن الاستشهادات العامة.

وقد تم اختيار هذه الوثائق بالدراسة لتقارب موضوعاتها المتضمنة صيغًا نمطية من صيغ التحالفات القبلية التقليدية في حضرموت، ولتشابه الأطراف الموقعة عليها سواء الجهات الرسمية وهم: السلاطين القعيطيون أو ممثلون عنهم من كبار رجال الدولة من جهة، وبعض زعماء (مقادمة)القبائل الحضرمية من جهة أخرى. وسجلت الوثائق جوانب من الحياة السياسية والقبلية، واطلعنا خلالها على الأسلوب السائد في كتابة الوثائق في زمن توقيعها، وهو الأسلوب الذي يمكن وصفة بالنمطي أو التقليدي.

ورغم التقارب في موضوع هذه الوثائق - كما ذكرنا- فإننا نجد بعض التباينات، فعلى سبيل المثال تشابهت الوثيقتان (ب - ج) في شكل

التحالف مع السلطنة القعيطية على السمع والطاعة (تبعة وسمعة) أما الوثيقة (أ) الأكثر أهمية من الناحيتين السياسية والاقتصادية؛ فقد تناولت علاقة السلطنة مع قبيلة بني حسن المجاورة لمدينة المكلا،ورسمت بنودها مستقبل هذه المدينة، وكُنْه السيطرة القعيطية عليها.وتدل الوثائق على نجاح السياسة القعيطية التي يمكن وصفها بالعملية،أو بعيدة النظر. فقد وفرت لهم هذه السياسة مكاسب عديدة جنبتهم مصاعب السيطرة العسكرية المباشرة، وكلفتها الكبيرة، وهم بهذا وضعوا دعائم قوية في تثبيت كيانهم السياسي.

وهناك أهمية أخرى لهذه الوثائق تمثلت في تقارب مدتها الزمنية الأمر، الذي سهل قراءتها بروح عصرها وملابساته مما أسهم بحسب المنهج التاريخي في توضيح الوثائق بعضها ببعض من جهة، ومعرفة العناصر المتداخلة فيما بينها من جهة أخرى، وفي المحصلة الأخيرة تساعد هذه المقاربة الزمنية في تسليط الأضواء على المرحلة التاريخية التي تعود إليها هذه الوثائق.

ولسنا هنا بصدد الحديث عن أهمية الوثائق بالنسبة للدراسات التاريخية فهذه من مسلمات الكتابة التاريخية الرصينة، إنما نتطلع إلى إخراج الوثائق من سراديبها وطرحها على طاولة الدرس التاريخي، وكذا التنبيه لأهمية جمعها، وحفظها كي تساعد على استجلاء نواحٍ من تاريخ حضرموت الحديث. ولابد أن نشير وبكل أسى إلى أن ما تبقى من أرشيف السلطنة القعيطية ما يزال محشورًا في مستودعات مهملة لم ينفض عنها الغبار لأكثر من أربعة عقود وهي المدة التي غابت عنها السلطنة القعيطية من الخريطة السياسية.

٢- الجانب الشكلي

الوثائق - موضوع البحث - مكتوبة عمومًا بخط واضح، وهي وثائق أصلية كتبت على أوراق متشابهة من حيث السمك والنوع، لكنها خالية من أي شعار للدولة، وهذا يدل على أن السلطنة القعيطية حتى كتابة تلك الوثائق ما تزال في مرحلة التكوين.كما أنها لا تذيل بأختام رسمية سواء للسلطنة أو من وقعها نيابة عنها لهذا نجد عددًا كبيرًا من أسماء الحاضرين والشهود في أسفل الوثائق، وذلك لإضفاء صفة الشرعية عليها. وإمعانًا في تأكيدها.

تبدأ هذه الوثائق عادة (بالحمد لله) دون أي ذكر للبسملة، أو الصلاة على الرسول (ﷺ) أو كتابة آية قرآنية في صدر الوثيقة أو في ذيلها،وهي ميزة لاحظناها تتكرر في معظم الوثائق الرسمية والأهلية التي اطلعنا عليها، ولاسيما التي تقاربت في زمنها مع زمن الوثائق موضوع الدراسة والتحقيق.

وقد زخرت الوثائق بالكثير من الأخطاء الإملائية والنحوية، ولعل مرد ذلك إلى تواضع مستوى الثقافة وقتئذ، ومن الأخطاء الشائعة : عدم كتابة ألف واو الجماعة، وعدم التمييز بين الألف الممدودة والألف المقصورة كقولهم: (حتا) وهي حتى، أو (علا) وهي على. أو عدم التمييز بين الضاد والظاء مثل (أرظهم)وهي أرضهم. كذلك فتحهم للتاء المربوطة أو العكس مثل:(وقة) وهي وقت، أو (نفاعت) وهي نفاعة، وكتابة الألف المخفية نحو (كذالك) وهي كذلك، أو وضع الهمزة والإعجام للحرف الواحد (شائم) (عائب)، أو كتابة الياء عِوضًا عن الهمزة (قايم) وهو قائم.

وسنلاحظ في هذه الوثائق التشابه في صياغتها وذلك لقربها زمنيًا من بعضها البعض، وبغض النظر عن الأخطاء الإملائية، والمصطلحات النمطية التقليدية التي أشرنا إليها فإن نصوصها عمومًا كتبت بلغة أقرب إلى الفصحى منها إلى العامية، ولعل ذلك يؤكد على سلامة لغة، سكان المناطق الداخلية أو لهجتهمعن سكان المدن لكونها، أي: المدن، بيئة مستقبلة لتلاحق ثقافات ولهجات ناتجة من تعدد أماكن سكانها، وتنوع نشاطها الاقتصادي.واللافت في هذه الوثائق ما تضمنته من كلمات وجمل تقليدية نمطية ميزت نصوص التحالفات القبلية في حضرموت. وإذا وضعنا تصنيفاً لهذه المصطلحات النمطية يمكن الإشارة إليها في الآتي:

المصطلحات الخاصة بالتحديد الزمني نجدها غير محددة بمدة معينة مثل قولهم: حتى يشيب الغراب ويفنى التراب، حلف مترث (متوارث) إلى أن يرث الأرض وارثها، ونعزو هذا (الكرم) الزمني إلى التمسك بالعادات وغلبة العواطف وانعدام الخبرة، فالحضارمة يقولون في أمثالهم قطع العادة عداوة، إلى جانب ذلك يمكن إرجاع هذا الانفتاح الزمني إلى سيطرة الحماس الوقتي، والحرص على إظهار صدق النوايا، وتأكيد مدى الالتزامات.وهناك المصطلحات الخاصة بشروط الاتفاق مثل: خصيم الدولة خصيمهم، وصديق الدولة صديقهم، حلف على (شايم ولايم)،وتبعة وسمعة. أما المصطلحات الخاصة بالوفاء بالعهد نجدها في قولهم : بدا في وجهه، تشالوا للمذكورين بعهد الله الوثيق وميثاقه الشديد، راده (عايب)، وقابله (عايب)، من تبرى [تبرأ] منه ما بري. وعند تعليقنا على هذه الوثائق شرحنا هذه المصطلحات.

وبقي أن نقول إن هذه الوثائق في شكلها ومضمونها ما هي إلا انعكاس لظروفها وزمنها، والنظر إليها يجب أن يكون بمنظار عصرها كي

تفهم معانيها، وتدرك مضامينها.

٣- منهج النشر

نظرًا لمحدودية هذه الوثائق فقد رأينا من المناسب التعليق على كل وثيقة على حدة رغم التشابه في موضوع الوثيقتين (ب - ج). ولتسهيل قراءة هذه الوثائق عملنا على نسخها كما جاء في الأصل مع الإشارة في الهامش إلى شرح الكلمات الغامضة،والتعريف ببعض الأماكن غير المعروفة، وإيراد توضيح لتراجم الأعلام، والأماكن.

ولتكرار بعض المصطلحات في الوثائق اضطررت إلى تهميشها، ثم الإحالة إلى الهامش الذي سبق توضيحها أو شرحها فيه، وذلك اتباعًا للمنهج الذي سرت عليه في تناول هذه الوثائق (التعليق المستقل). كما رمزت لكل وثيقة بحرف أبجدي مراعيًا في ذلك الترتيب الزمني لهذه الوثائق.

ونظرًا لاختلاف أسلوب عصر الوثائق عن عصرنا، وتسهيلًا للقارئ المعاصر سمحنا لأنفسنا عند نسخها وضع علامات الترقيم كالفاصلة والنقطة، وتقسيم الوثيقة إلى جمل و فقرات كلما وجدنا ذلك مناسبًا، ولوجود الأخطاء الإملائية في هذه الوثائق التي سبق الإشارة إلى بعضها رأينا تصحيح بعض الأخطاء الشائعة في المتن دون الإشارة إلى ذلك في الهامش على سبيل المثال تكرار الخطأ في ألف واو الجماعة.كذلك وضعنا الكلمة المصححة في المتن بين حاصرتين [ ] وأبقينا الكلمة كما وردت في الأصل، وكل ذلك يتم وفقًا لشروط التحقيق.

ومن أهم الصعوبات التي واجهتنا في أثناء تحقيقنا لهذه الوثائق هي كيفية قراءتها قراءة سليمة، ودقيقة، وفك رموز بعض مصطلحاتها. وقد

استرشدنا في توضيح معاني بعض الكلمات والأعلام والأماكن ببعض المعاجم وقواميس اللغة وبعض المصادر الحضرمية، وعن طريق المقابلات الشخصية مع بعض المهتمين والمعمِّرين.ومع هذا ظلت بعض الكلمات وأسماء بعض الشهود والحضور غير واضحة لنا وتركنا مكانها فارغًا مع وضع نقاط للتدليل على وجود الاسم أو الكلمة غير الواضحة، وزيادة في توضيح وجود الاسم عملنا بين قوسين كلمة توقيع.



نص الوثيقة (أ)

الحمد لله رب العالمين وبعد: لما كان يوم الاثنين وستة وعشرين خلت من شهر ربيع الأول عام ١٣٠٠هـ[١]. فقد حصل التراضي والانقطاع بين الدولة المكرم عبد الله بن عمر بن عوض القعيطي[٢] وكافة بني حسن الآتي ذكرهم الخمس الفخذ وهم: آل بافقرة، وآل باحاج، وأهل العضد، وآل بارعيدة،والرحباني [٣] وذلك [٤] الانقطاع في جميع ما كان مستمدين عليه في بندر المكلا[٥] وعلائقه ونواحيه الجميع من فلك[٦] إلى

(١) يوافق ٤ فبراير عام ١٨٨٣م

(٢) هو أحد الأبناء الخمسة للجمعدار عمر بن عوض القعيطي،لعب دورا كبيرا في تأسيس السلطنة القعيطية.ولفظة الدولة الذي وصف بها هي لقب تشريفي تلقب به معظم مؤسسي الدولة القعيطية وسلاطينها، واللقب الرسمي الذي كان يحمله هو: (الجمعدار)وهي كلمة هندية تشي إلى رتبة عسكرية كبيرة.وقد توفي الجمعدار عبدالله بن عمر القعيطي في ٢٤نوفمبر ١٨٨٨م

(٣) من هذه البيوت أو الفخذ تتكون قبيلة بني حسن التي تنضوي في الحلف القبلي الكبير المسمى (سيبان)،ويسكن بني حسن بالقرب من الشريط الساحلي مابين المكلا وبروم.

(٤) وردت في الأصل ذالك، وتكررت في النص، وأشرنا إلى ذلك في الدراسة التمهيدية.

(٥) البندر: جمع بنادر، مربط السفن على السواحل أو المدينة البحرية. ينظر لويس معلوف، المنجد في اللغة والعلوم، ص٥٠

(٦) فلك: "التل من الرمل حوله فضاء وقطع من الأراضي تستدير وترتفع عن ما حولها : ينظر: المعلم بطرس البستاني، محيط المحيط، ص ١٦٣٢. وهذا =

العظام[١]، وذلك من كيل[٢]، وجرف[٣]، وسنابيق[٤]، ومجاديح[٥]. وبالجملة كل عادة وقانون مستمدين عليه سابق بني حسن المذكورين في النواحي المذكورة فهو إلى الدولة عبد الله بن عمر بن عوض المذكور وارتفعت أيدي بني حسن المذكورين من جميع جهة الأماكن المذكورة وتعلقاتها وليس عاد بقي لأحد منهم في ذلك [في تلك]الأماكن لا دعوى ولاطلب ولا علقة ولا سبب، وانقطعوا بني [بنو] حسن المذكورين [المذكورون] من جميع ما ذكر، إلا ما كان يملك لهم بوجه شرعي فهو لهم.

وأيضاً شلوا[٦] والتزموا بني [بنو] حسن المذكورين [المذكورون] للدولة المكرم عبد الله بن عمر المذكور بكل نفاعة في جهتهم، ومن حين يصل نفعهم، فيما كان يصلح آل عمر بن عوض[٧] ويصلح رعيتهم. وما

= الوصف ينطبق تماما على منطقة فلك التي تعد الآن من ضواحي مدينة المكلا وتقع مابين منطقة (بويش) ومطار الريان القديم وحاليا دخلت في مخطط مدينة المكلا الكبرى.

(١) العظام: منطقة مابين مدينتي (فوة) و(بروم) وهي أقرب إلى مدينة فوة وتبعد عنها بما يقارب كيلومترين ونصف. (نزول ميداني)

(٢) كيل: ضريبة عينية تؤخذ من المحاصيل سواء كانت زراعية أو غير زراعية.

(٣) الجرف: أو حق الجرف هي الأتاوة المفروضة على الصيادين من نصب شباكهم على السواحل التي تعدها داخل نفوذها.

(٤) سنابيق: أو السنبوك وهو نوع من قوارب الصيد ويقصد هنا الأتاوة التي تأخذ من صيادي السنابيق.

(٥) مجاديح : وهي الاتاوة التي تحصلها القبائل على أسماك الصيادين المجففة قبالة السواحل.

(٦) شلوا: تعهدوا والتزموا.

(٧) يقصد هنا أبناء وأحفاد الجمعدار عمر بن عوض القعيطي الذي يعد =

كان بوجه آل عمر بن عوض من شايم ولايم [١] وسارح وضاوي[٢] إلى بندر المكلا وعلائقه ونواحيه والداخل إليه والخارج منه، كل من كان من أي جهة كان وهو بوجه بني حسن المذكورين.

وبعد ذلك طلبوا الواسطة وهم الحبيب أحمد بن حسين بن شيخ العيدروس[٣]، والشيخ أحمد بن عبد الرحمن باعمر العمودي[٤]، والشيخ محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم بن قويرة باوزير[٥] من الدولة المكرم عبد الله بن عمر المذكور لبني حسن المذكورين خمسمائة ريال[٦] نفاعة في قبل ما كان شلوا في وجيهم [وجوههم] من نفاعة للدولة المكرم عبد

= المؤسس للدولة القعيطية في حضرموت وأول من حمل لقب الجمعدار منهم توفى ١٨٦٥م، له خمسة من الأبناء هم : محمد، وعوض، وصالح،وعبد الله، وعلي.

(١) شايم ولايم: أي المشمولين بحمايتهم الواجب الدفاع عنهم.

(٢) سارح وضاوي: أي ذاهب وقادم.

(٣) الحبيب أحمد بن حسين العيدروس :من مراتبية السادة في حضرموت الذين كانوا يحتلون مكانة متقدمة في المجتمع وقد أشرنا في الدراسة التمهيدية إلى تأثير ومكانة السادة في المجتمع.

(٤) الشيخ أحمد بن عبد الرحمن باعمر العمودي: تكمن أهميته الاعتبارية من كونه ينتمي إلى مراتبية المشايخ التي تلي السادة أو العلويين في الأهمية الاجتماعية والروحية حسب التراتب الاجتماعي في حضرموت.

(٥) الشيخ محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم باوزير : من أعيان المنطقة وآل باوزير كآل العمودي ينتمون إلى تراتبية المشايخ

(٦) وردت في الأصل (خمسمات) ريال، وتكرر في النص، والريال المقصود هنا هو الريال النمساوي عملة الملكة ماريا تريزا المعروف محليا بالريال (الفرنصاوي) واستمر التداول به في حضرموت إلى عام ١٩٤٤م. ينظر: محمد عبد القادر بامطرف،في سبيل الحكم،ص٤٣.

الله بن عمر المذكور حسبما ذكركما ذكر يسلمها لهم عين كل سنة من نجم الحوت إلى نجم الحوت[١]، وأيضا لهم جبارة[٢] من الدولة المكرم عبد الله بن عمر المذكور في سدة[٣] المكلا وكل محل من الأماكن المذكورة أعلاه فيما يخص حقيقتهم خاص[٤].

وإن حصل من بني حسن خلاف ولا قاموا بما في الوجه زريعة[٥] خمسمائة ريال فرانصة[٦] يسلمونها للدولة المذكور من دون حق ولا شرع، وأيضًا إن حصل الخلاف بينهم الخمس الفخذ أو من فخذ خاص في طوارف الدولة المكرم المذكور،أو في ماله،أو على رعاياه، أو من يشومه، أو يلومه،أو على داخل أو خارج من جهلته [جهته] من كائن من كان،ما فات من قراش[٧] أو من صامت أو ناطق[٨]، عليهم برده. الحي يرجع برأسه وما كان من صامت يرتد بذاته. ولهم مدة في رد ذلك إلى

(١) قسم فلكيو حضرموت السنة إلى ثمانية وعشرين نجمًا وعليها بنو تحركاتهم في جسم الأرض ووضع البذور. والنجوم هي: الهنعة، الذراع النثرة، الطرف، الجبهة،الزبر، الصرفة، العواء، السماك، الغفر، الزبان الإكليل، القلب، الشول، النعائم البلدة، المرزم، سهيل، باعريق، خبا، الفرغ، الدلو، الحوت، النطح البطين، الثريا، البركان، والهقعة. ينظر: عبد القادر محمد الصبان:الفلاحون وعاداتهم المهنية، ص٢٠

(٢) جبارة: أي إعفاء من الرسوم التي تفرض على البضائع عند بوابة مدينة المكلا.

(٣) السدة: هي البوابة الرئيسية، أو مدخل المدينة المسورة، وتطلق محليا أيضا على مدخل البيت الأساسي.

(٤) حقيقتهم خاص: أي إعفاء بضائعهم الخاصة من الضرائب.

(٥) زريعة: غير واضحة في الأصل ونرجح أن يكون المقصود غرامة

(٦) ريال فرانصة: كتبت حسب ما ينطقه الحضارمة.

(٧) قراش: يقصد الماشية

(٨) صامت وناطق: يقصد الأمتعة والبضائع (الجماد) والناطق الحيوانات.

غاية عشرين يومًا، إن ردوا وإلا عليهم ذلك مربوع[١] للدولة المكرم المذكور، وان حصل منهم حال منكور هم ملزمين[ملزمون] للدولة المكرم عبد الله بن عمر أو من يقوم في مقامه.

شلوا واحتملوا بوفاء ما شمله ذلك الخط وعهد الله وميثاقه عليهم بما شمله ذلك الخط، وعليهم الله كفيل وجميل بالوفاء والتبليغ.

بدا واحتمل على ما شهده الخط أعلاه.

مبارك باقديم باحسين عنه وعن آل باحسين وكتب بأمره حسن باعفاش.

بدا مبارك باسعيد واحتمل بما شمله الخط أعلاه.

صالح بامبارك بافقرة عنه وعن آل بافقرة الجميع وكتب بأمره الولد حسن باعفاش.

بدا واحتمل على ما شمله الخط باطنه عنه وعن كافة أهل عضد سعيد. . . . . باعقيل وكتب بأمره حسن باعفاش .. بدا واحتمل على ما شمله الخط حسن بن عفاش باداعني عن دار آل باداعني بدا واحتمل على ما شمله الخط.

سالم باعبد الرحيم، وحمد سعيد بارتفة، وعبد الله بحمد باظلاع، وعبد الله باسعيد باعمر، وعبد الله محمد با خميس، وعبد الله باحسين بابرعوص، وسالم أحمد با عساس، ومحمد باحسن بادهبوش، ومسلم باعمر با حنحن.عن أنفسهم وعن كافة آل باحاج الجميع، وعلى كافة الرحبانية الجميع وكتب بأمرهم:

حسن باعفاش باداعني

---

(١) مربوع: أي أربعة أضعاف.

التعليق

تؤشر الاتفاقية إلى مرحلة جديدة في تاريخ مدينة المكلا تحت الحكم القعيطي، وذلك بعد تمكنهم من السيطرة على هذه المدينة بالمؤازرة البريطانية في نوفمبر ١٨٨١م[١] على حساب الإمارة الكسادية التي اتخذت من هذه المدينة عاصمة لها، وقد أبرمت هذه الاتفاقية بين القعيطيين ممثلًا عنهم الجمعدار عبد الله بن عمر من جهة، وممثلين عن فخائذ قبيلة بني حسن من جهة أخرى، ويشير توقيعها عام ١٨٨٣م أي بعد عام ونيف من دخولهم مدينة المكلا إلى حرص القعيطيين على استكمال السيطرة دون معوقات أو عراقيل.

ولأن مدينة المكلا والمناطق القريبة منها تدخل وفقًا للعرف القبلي السائد آنذاك ضمن الحرم القبلي لقبيلة بني حسن (السيبانية)[٢]، وما ينتج عن ذلك من حقوق عرفية في فرض الأتاوات والضرائب على بعض الأنشطة الاقتصادية التقليدية على السكان المحيطين بها لهذا عمد القعيطيون إلى إلغاء تلك الأعراف لما يمثله ذلك من تعزيز لسلطة الدولة، وتأكيد لسيادتها.

ورغم أن الاتفاقية اعترفت ضمنيًا بحق بني حسن القبلي في هذه المدينة فلم ترد فيها أي إشارة إلى حقوق أو مطالبات في عائدات ميناء المكلا ولا نظن في ذلك إغفالًا من قبل الطرفين فمعروف أن للكساديين

---

(١) محمد عبد القادر بامطرف، في سبيل الحكم،١٤٧

(٢) ذكر المؤرخ بن عبيد الله السقاف: أن المكلا كانت خيصة صغيرة لبني حسن والعكابرة ينظر: إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، ص١١٠.

الفضل في تحويل المكلا من قرية صغيرة للصيادين إلى مدينة، وعاصمة لإمارتهم ثم ميناء منافس لميناء الشحر، وقد اعتمدوا في ذلك على ركيزتين هما: الاستفادة الذكية من جغرافية المدينة المساعدة على رسو السفن بالقرب من الميناء (الفرضة)، ثم دورهم السياسي، والإداري في تشجيع حركة التجارة وتحويل خط سيرها.الأمر الذي يجعلنا نميل إلى القول إن مسألة الحق القبلي في عائدات الميناء قد حسمت منذ السيطرة الكسادية عليها، فلو كان لهم حق متعارف عليه في ذلك لجاء في الاتفاقية التي ذكرت انقطاعهم النهائي عن أي حقوق لهم في المنطقة المحددة (من فلك إلى العظام) عدا الأملاك الشخصية، وتأكيدًا لذلك ذكرت فقط الضرائب أو الأتاوات العينية التي كانوا يأخذونها، ولم تذكر عائدات الميناء وهو أمر يؤكد ما ذهبنا إليه فلو كانت محل التفاوض لذكرت سواء لتأكيد الانقطاع أو تثبيت الحق.

وتكمن أهمية الاتفاقية بالنسبة للقعيطيين في كونها ضمنت لهم إلى درجة كبيرة عدم حدوث خلاف مع بني حسن في المستقبل، وعزّزت من السيطرة القعيطية على ميناء المكلا من خلال تحويل القبائل المحيطة بها إلى حزام آمن جنبها الكثير من الالتزامات، كما حسمت الاتفاقية مسألة السيطرة القعيطية على معظم الساحل الحضرمي، وفوتت الفرصة أمام أعدائهم الكثيريين في مساعيهم للبحث عن موطئ قدم لهم في هذه السواحل[١].

ومعروف أن التطلعات الكثيرية للحصول على منفذ بحري ظل هدفًا استراتيجيًا لمعظم تحركاتهم العسكرية منذ بداية النصف الثاني من القرن

(١) سيطر القعيطيون على مدينة الشحر في عام ١٨٦٧م.

التاسع عشر الميلادي. واتسمت هذه المدة باحتدام الصراع بين القوى السياسية المتنافسة على حضرموت، وتأرجحت الولاءات والتحالفات. وشكل سقوط الإمارة الكسادية في نوفمبرعام١٨٨١م[١] ضربة كبيرة غير مباشرة للكثيريين، وللجهود المشتركة التي كانت تدفعهما لتعزيز العلاقات وتنسيق المواقف ضد القعيطي العدو المشترك لهما.لهذا وجد الكثيريون أنفسهم محصورين في رقعة مغلقة داخل حضرموت، وأصبحت شؤونهم الاقتصادية المرتبطة مع الخارج تحت رحمة القعيطيين.

وهذا الوضع الجديد لابد أن يدفع الجانبين إلى الحيطة والحذر، لهذا سعى القعيطيون إلى تأكيد وجودهم من خلال عقد هذه الاتفاقية مع بني حسن وغيرها من القبائل المجاورة للحفاظ على ما حققوه من جهة، وقطع الطريق أمام الكثيريين من جهة أخرى.

أما الكثيريون الذين صاروا في موقع لا يحسدون عليه فقد تطلعوا إلى إعادة المحاولة في السيطرة على ميناء الشحر، لكنهم رأوا قبل إقدامهم على هذه الخطوة جس نبض السلطات البريطانية للتأكد من موقفهم في حالة هجومهم على السواحل الحضرمية، ولكن الموقف البريطاني القوي والمشهور ببيان مارس ١٨٨٤م وضع حدا للتطلعات الكثيرية نحو السواحل حتى الحرب العالمية الأولى[٢].

ومن الأمور المهمة التي أشارت إليها الوثيقة ويمكن عدها من

(١) للمزيد من المعلومات عن الصراع الكسادي القعيطي ينظر: محمد عبد القادر بامطرف في سبيل الحكم.

(٢) محمد عبد الكريم عكاشة، قيام السلطنة القعيطية والتغلغل الاستعماري في حضرموت، ص٢١٧.

خطوات نجاح الدبلوماسية القعيطية أو لعلها من أخطاء ممثلي بني حسن هو تضمين هذه الاتفاقية انقطاع بني حسن الكامل عن حقهم القبلي في هذه المنطقة المحددة و(نفاعة) الدولة، أي تقديم المساعدة في حفظ الأمن فيها، مقابل خمسمائةريال (ماريا تريزا)، وهذه الإشارة تعد أهم بنود هذه الاتفاقية،وبموجبه ارتفعت عمليًا أيدي بني حسن عن المنطقة المحددة من فلك إلى العظام التي تدخل فيها مدينة المكلا، وربطت آلية دفع المبلغ المتفق عليه بالتزام بني حسن تقديم المنفعة للدولة القعيطية. بينما لو اتفق على تقديم المبلغ مقابل الانقطاع عن أرضهم،فإن الدولة القعيطية ستستمر في دفع الخمسمائة ريال طالما هي مستفيدة من أرضهم دون أن يلزموا أنفسهم بأي تعهدات.

وإذا نظرنا إلى هذه الاتفاقية بعين ذلك العصر وظروفه،نجد أن قبيلة بني حسن لم تكن من القبائل الكبيرة بحيث تستطيع إحداث تغير في الخريطة الجيوسياسية في المنطقة بما يمكنهم من فرض أحقيتهم عليها، كما أنها ليست الوحيدة التي تدعي ملكيتها لهذه المنطقة، فهناك قبيلة العكابرة(النوّحية) هي الأخرى تدعي بهذا الحق، ومن جانب آخر فإن القعيطيين تمكنوا من السيطرة على مدينة المكلا بالمؤازرة البريطانية، وبما أعدوه من قوة وعتاد لتأسيس سلطنتهم المعززة بأموال الأسرة القعيطية في حيدرآباد بالهند فربما أخذ ممثلو بنو حسن عند موافقتهم على هذه الاتفاقية كل هذه المستجدات والحقائق بعين الاعتبار، ورأوا خروجهم من الاتفاقية بمكاسب ولو محدودة أفضل من إظهار العداء مع الدولة الفتية. كما أنهم لم يتنازلوا عن مثاويهم ومصادر رزقهم المباشرة وأبرز ما تحصل عليه بني حسن هو الإعفاء الضريبي (جبارة) عند دخولهم سدة المكلا (بوابة المدينة)كما وافقت الدولة القعيطية على صرف مبلغ من

المال لهم سنويًا (خمسمائة ريال) مقابل تحميلهم مسؤولية الأمن في المنطقة التي تنازلوا عنها، وهذا الشرط ربما قدّره بنو حسن بأنه شرط عادي وتقليدي في حياتهم القبلية رغم شدة هذا الشرط الجزائي التي يلزمهم بعودة المنهوبات.

ومما يلفت الاهتمام في هذه الاتفاقية حرص القعيطيون على تأكيد انقطاع بني حسن عن أي ادعاء مستقبلي في المنطقة المحددة في الاتفاقية، ويأتي هذا الحرص من كون القعيطيين حملوا مشروع قيام دولة، ومعروف أن أول ركائز قيام الدول هو السيادة الكاملة على الأرض التي تقوم عليها، ولا بد أن نشير هنا إلى أن مدينة المكلا في ذلك الحين تعد الميناء الثاني في حضرموت بعد ميناء الشحر من حيث الأهمية الاقتصادية،ومؤشرات الاستفادة المستقبلية الحيوية منه كانت واردة لاسيما بعد ظهور السفن البخارية الكبيرة وما تحتاجه من موانئ مجهزة أو ذات إمكانات طبيعية وهو ما تتميز به مدينة المكلا عكس مدينة الشحر،إضافة إلى ذلك قرب مدينة المكلا الجغرافي من مدينة (بروم) الساحلية الصغيرة التي تعد مرسى مناسبًا للسفن طوال أشهر السنة، وهي بهذا تمثل الاحتياط لميناء المكلا وتزيد من أهميته.

لقد وضعت هذه الاتفاقية في تقديرنا اللبنات الأولى لبروز مدينة المكلا واتساعها، كما هيأت الظروف ليشغل ميناؤها المكانة الأولى للسلطنة القعيطية بدلًا من ميناء الشحر،ثم تصير عاصمة لسلطنتهم؛ (إذ أصبحت بالفعل عاصمة للسلطنة القعيطية في عام ١٩١٠م)[١]. وإذا حسبنا الأمر بمنطق المكسب والخسارة سنجد أن القعيطيين هم الأكثر استفادة

(١) نفسه، ص٢٢٤.

من هذه الاتفاقية، فقد تعهد بنو حسن بتأمين المنطقة المحيطة بالمكلا الواقعة خارج أسوارها، وصار الداخل والخارج في (وجوههم) أي تحت مسؤوليتهم مقابل مبلغ زهيد من المال إذا قيس بكلفة حماية هذه المنطقة من قبل الدولة، ولم يكتف القعيطيون بهذا المكسب بل وضعوا شرطًا تعسفيًا وهو دفع قيمة المنهوب أربعة أضعاف في هذا الحرم القبلي إذا لم يعد خلال عشرين يومًا،وهي المدة المحددة في الاتفاقية.

وتدخل وساطة كل من الحبيب أحمد بن حسين بن شيخ العيدروس، والشيخ أحمد بن عبد الرحمن العمودي، والشيخ محمد بن عبد الله باوزير ضمن ما يمكن وصفه بالضمانة والمباركة لهذه الاتفاقية،ومعروف في حضرموت المكانة الاعتبارية لأسر هؤلاء كونهم يحتلون وقتئذ المرتبة الاجتماعية العليا في المجتمع وموضع إجلال واحترام من تراتبيات المجتمع الأخرى وفئاته، سواء كانوا حكامًا أو محكومين،وجاءت هذه المكانة من دورهم الروحي، ووظيفتهم الاجتماعية، ومن النسب الرفيع المعترف به. فقد اكتسب العيدروس مكانته لانتسابه لبيت الرسول(أهل البيت)، بينما اكتسب العمودي وباوزير مكانتهما الاجتماعية لانتسابهما للصحابة[١]، ومن هنا تأتي الأهمية الرمزية لهؤلاء بوصفهم جهة راعية ومقبولة عند الطرفين.وتجدر الإشارة إلى أن دور الوسيط في المنازعات القبلية والسياسية الذي يقوم به سادة حضرموت ومشايخها يعد ظاهرة تقليدية في التاريخ الحضرمي الحديث.

بقي القول إن هذه الاتفاقية المهمة غنية بمادتها التاريخية التوثيقية المتعلقة بتاريخ السلطنة القعيطية، وعلاقاتها مع القبائل،وما سجلته

(١) محمد بن أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، ج٢، ص٣٨٢.

لجوانب من الحياة الاقتصادية، ناهيك عن ما زخرت به من مصطلحات نمطية جديرة بالتأمل، وقد أشرنا إلى بعضها في الدراسة التمهيدية.



نص الوثيقة (ب)

الحمد لله، إنه لما كان يوم الخميس وتسعة عشر خلت[١] من شهر جمادى الأولى ١٣٢٦هـ[٢] فقد اتفقوا الآتي ذكرهم : المكرم المقدم عمر بن حمد سعيد باصرة [٣] حال كون المذكور قائمًا ونائبًا عن الدولة المكرم السلطان غالب بن عوض بن عمر القعيطي[٤]، شمشير[٥] الملك، ومن في كفله، يصالحون ويبارون [٦] عليهم، وعبيد بن عامر وسالم بن عامر آل عامر بن عوض القراميش [٧] وأولادهم ومن في كفلهم، يحالفون

(١) وردت في الأصل خلة.

(٢) يوافق ١٩يونيو ١٩٠٨م

(٣) عمر أحمد سعيد باصرة: ولد في بلدة الرشيد بوادي دوعن الأيمن عام ١٨٦٠ تلقى علومه في الأزهر بمصر وهو بذلك جمع بين درجة من التعليم، والحق المتوارث في الرئاسة على قبيلة الخامعة التي يمثل آل باصرة أحد مكوناتها، وساعده ذلك مع عوامل اخرى على أن يصير حاكما لدوعن باسم القعيطيين عام ١٨٩٥م.ينظر:صلاح البكري، في جنوب الجزيرة العربية ص١٩٦.

(٤) السلطان غالب بن عوض القعيطي: تولى حكم السلطنة بعد وفاة أبيه السلطان عوض بن عمر هام ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م وذلك وفقا لوصيته بشأن تداول السلطة بين أبنائه وأحفاده،توفي عام ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م.

(٥) شمشير: كلمة هندية تعني سيف.

(٦) يصالحون ويبارون عليهم: أي نيابة عنهم في عقد الصلح وإعلان البراء أي العداوة والخصام.

(٧) من رؤساء قبيلة القراميش، ويطلق على شيخ القبيلة في حضرموت (المقدم) يسكن القراميش في منطقة (عياذ)أسفل وادي جردان على بعدحوالي٣٠ كيلومتر إلى الشرق من مدينة عتق عاصمة محافظة شبوة.

ويصالحون ويبارون عليه على دم وفرث [١] ومن شايم ولايام [٢] حلف الطيب والنقاء، والصدق والوفاء[٣]، حلف مترث [٤]، يورثه الحي بعد الميت، من يرث المال يرث الوجه، عدد ما تناسلوا حتى يشيب الغراب ويفنى التراب ويرث الأرض وارثها. من تبرى منه ما بري، راده عايب[٥] وقابله عايب حلف تبعة ومسمعة [٦] على المذكورين ورجالهم ومن في كفلهم للدولة غالب المذكور، أو من يقوم مقام آل عوض بن عمر[٧] على كائن[٨] من كان حيث كان في أي جهة كان.ليس يعتذرون بعذر، خصيم الدولة خصيمهم، وصديق الدولة صديقهم، مقربين الخير لبعضهم البعض

(١) على دم وفرث: أي على دماء الناس وحيواناتهم. ويقصد أحيانا بلفظة فرث الدماء المهدورة، وهي دماء وحقوق أفراد التراتبيات الدنيا والعزل من السلاح في المجتمع الحضرمي إذا ما أصيبت من قبيلي.ينظر: محمد أحمد الشاطري،أدوار التاريخ الحضرمي ج٢، ص٢٤٢

(٢) شايم ولايم: أي المشمولين بحمايتهم، وجب الدفاع عنهم، مهما كلف ذلك من تضحيات.

(٣) حلف الطيب والنقاء والصدق والوفاء عبارة تقليدية ترد في معظم الوثائق التاريخية الحضرمية لتأكيد حسن نية الطرفين ويذكر الدكتور عبد العزيز بن عقيل باحث في الاثنوغرافيا المحلية : أن الكثير من المصطلحات التي ترد في مثل تلك الوثائق يمكن أن يضرب بجذورها إلى الموروث الثقافي إلى ما قبل الإسلام. (مقابلة شخصية).

(٤) مترث: أي متوارث

(٥) راده عايب وقابله عايب: أي إن العيب والخزي للطرفين في حالة رفضهما للإنفاق في الحالتين.

(٦) تبعة وسمعة: أي الولاء المطلق، ويكونوا يدا واحدة على العدو

(٧) آل عوض بن عمر: يقصد بهم أبناء وأحفاد السلطان عوض بن عمر القعيطي المؤسس الفعلي للسلطنة.

(٨) وردت في الأصل كاني.

ومبعدين الشر عن بعضهم وكل[١] يرى لصاحبه ما يصلح.

ومنازل القراميش المذكورين وأرضهم منازل الكفا للدولة المكرم غالب بن عوض أو من يقوم مقامه، ووقت الحاجة ليس لخصم المذكور في أرضهم مهدر[٢] ولا معبر ولا مسكن ولا صلة ولا مواصلة. ويقطعون نفاعة[٣] الخصم من أي جهة كان وكل ما تعدى من حاجة وتطلبه الدولة المكرم أو من يقوم مقامه فعلى القراميش المذكورين الجهد والاجتهاد بنفاعة حيث يصل نفعهم.

وشلوا[٤] واحتملوا القراميش المذكورين للدولة المكرم أو من يقوم مقامه بمنع الخلاف والأذية عن كل من يشوم ويلوم للدولة المكرم، أو من يقوم مقامه. ومن جاء منهم في مرضته[٥] الخصم وقع فيه شي ليس يعلق الوجه[٦] (.....)[٧].

صحيح عبد الله وسالم ابناء عوض القرموشي

وشلوا واحتملوا بذلك شهد بذلك (.....) أحمد بن عبد الله بن شيخ أبوبكر

شهد على.....

(١) وردت في الأصل كلن
(٢) مهدر: من الفعل هدر، وعندما يقال هدر البعير يقصد صوت في شقشقة والتعبير هنا مجازي للتأكيد على عدم التعاون مع أعداء السلطان
(٣) نفاعة الخصم: ما ينفع الخصم
(٤) شلوا: أي أخذوا على أنفسهم والتزموا.
(٥) في مرضته: في ما يرضي الخصم
(٦) ليس يعلق الوجه: يقصد أن الاتفاق غير ملزم للطرف الثاني
(٧) غير واضحة في الأصل.

صالح بن محمد باجبير

شهد.....

(.....) بن محسن بن عيدروس الشيخ أبوبكر بن سالم عمر بن أحمد(.....)وحسن بن أحمد بن حسين بن علي

وكتب الحبيب عمر بن أحمد



التعليق

عُقدت هذه الاتفاقية في أول عام من حكم السلطان غالب بن عوض القعيطي(١٩٠٨-١٩٢٢م)[١] الذي تولى الحكم بعد وفاة أبيه بناء على وصيته التي نصت على تداول السلطة بين ابنيه غالب وعمر، ثم أحفاده بترتيب محدد تضمنته الوصية المعروفة في تاريخ السلطنة القعيطية[٢].

تدخل هذه الاتفاقية في إطار السياسة التوسعية القعيطية في حضرموت التي اتخذت لها أسلوبين رئيسين: الأول يقوم على شراء البلدات والمراكز المهمة أو بالسيطرة المباشرة عليها وركزت هذه السياسة في المدن والبلدات الرئيسة مثل الشحر والمكلا وبروم والقطن وشبام وودعن. أما الأسلوب الثاني في التوسع في مناطق الأطراف أو البعيدة عن المدن والبلدات فجاء عن طريق عقد الاتفاقيات والأحلاف القبلية التي يمكن وصفها (بغزو الاتفاقيات)، فقد سعى القعيطيون إلى السيطرة على مناطق الأطراف بعقد سلسلة من الاتفاقيات والأحلاف مع عدد من القبائل لصعوبات السيطرة العسكرية المباشرة عليها.

---

(١) تباينت المراجع في تحديد تاريخ وفاة السلطان عوض وتولية ابنه السلطان غالب.فالمؤرخ سعيد عوض باوزير حدد عام وفاته: ١٩٠٩م. ينظر: صفحات من التاريخ الحضرمي ص٢٤٢. أما امؤرخ محمد عبد الكريم عكاشة فقد ذكر عام وفاة السلطان عوض في ديسمبر ١٩١٠م. ينظر: قيام السلطنة القعيطية والتغلغل الاستعماري في حضرموت ص٢٤٢. ويبدو أن السلطان غالب بن عوض بوصفه وليا للعهد قد مسك بزمام السلطنة قبل وفاة أبيه ولهذا ذكر في الاتفاقية بوصفة الطرف الأول في السلطنة وعلى هذا أبرمت الاتفاقية

(٢) سعيد عوض باوزير، صفحات من التاريخ الحضرمي،ص ٢٤٢.

ومن الاتفاق مع قبيلة القراميش حصل القعيطيون على بعض المكاسب؛ إذ صارت منطقة قبيلة القراميش ضمنًا تابعة للدولة القعيطية، أو في الأقل لن يكون لأعداء القعيطي أي ملجأ أو بسط سلطة في هذه المناطق ولاسيما إذا ربطنا إبرام هذه الاتفاقية مع احتدام الصراع والتنافس بين القعيطيين وبين أعدائهم الكثيريين في كسب الولاءات القبلية وتوسيع مناطق النفوذ لكل منهما في حضرموت،غير أننا نلاحظ أن الخطوات القعيطية كانت هي الأسرع والأقوى[١].

ولم تُبدِ السلطات البريطانية في عدن أي اعتراض على هذه السياسة القعيطية التوسعية، وذلك يعود إلى أمرين: الأول، التزام القعيطي بتعهداته مع بريطانيا فلم يبدر منه أي تصرف يثير الشكوك.والأمر الثاني أن التحركات القعيطية كانت خارج مناطق الدولة الكثيرية، ولم تسع إلى القضاء على الكثيريين مما ينجم عن ذلك من توحيد لحضرموت، وهو أمر يتناقض مع سياسة التجزئة التي كانت تعتمدها السلطات البريطانية الاستعمارية في المنطقة.

ومن الإشارات المهمة التي تضمنتها الوثيقة، انحصار أمر حكم الدولة القعيطية في فرع أبناء وأحفاد السلطان عوض بن عمر فقد ورد في الوثيقة: " حلف تبعة وسمعة على المذكورين ورجالهم ومن في كفلهم للدولة غالب المذكور أو من يقوم مقام آل عوض بن عمر" والإشارة إلى

(١) في تقديرنا أن الخطوات الكثيرية أصابها الشلل منذ عام ١٨٦٧م عندما سقطت الشحر بيد الحلف اليافعي(القعيطي-الكسادي) وتراجعهم إلى داخل حضرموت وبهذا النصر قدر للآمال القعيطية في البروز على حساب التطلعات الكثيرية في السواحل الحضرمية.

هذا الفرع القعيطي لا نجدها إلا في الوثائق التي تعود إلى عام ١٩٠٦م وما بعدها لأنه في هذا العام حسمت مسألة الصراع على السلطة بعد انقسام داخل الأسرة القعيطية هدد بانفراط عقدها[١].

ومن الأمور الشكلية التي تستحق الإشارة إليها، ورود لفظة السلطان جنبًا إلى جنب مع لفظة الدولة؛ بوصفهما لقبين للسلطان غالب، وهو أمر لم نجده في الوثيقة السابقة التي غالبًا ما يشار إلى الحكام القعيطيين فيها بلقب الدولة أو لقبه العسكري في حيدرآباد(الجمعدار)، تجدر الإشارة إلى أن إطلاق لقب السلطان على القعيطيين لم يرد في الوثائق الرسمية إلا بعد عام ١٩٠٢م عندما منحت الحكومة البريطانية في عدن هذا اللقب للسلطان عوض بن عمر.ومع هذا استمر لقب الدولة يطلق على هؤلاء السلاطين بوصفه لقبًا شرفيًا ساميًا يختصر السلطنة في شخص السلطان ويضفي عليه نوعًا من المهابة والاحترام.

واللافت هنا في هذه الوثيقة تضمنها التزام القراميش بالتبعية والولاء للسلطنة القعيطية، من غير التطرق إلى مكاسب معينة، أو امتيازات خاصة لهم،كما أنها لم تتضمن التزامات مقابلة من قبل السلطنة تجاههم، والتساؤل الذي قد يطرح: ما هي مصلحة القراميش من هذا الاتفاق؟في تقديرنا أن قبيلة القراميش ما كان لها أن توقع على هذه الاتفاقية إذا لم تجد ثمة مصلحة لها فيها، فربما وجد القراميش في تحالفهم مع هذه

(١) يرجع هذا الصراع إلى عام ١٨٩٦م عندما اشتد النزاع بين السلطان عوض بن عمر القعيطي وابني أخيه حسين ومنصر حول أحقيتهما في الحكم وانتهى النزاع لصالح السلطان عوض بعد أن تدخلت السلطات البريطانية في عدن لصالحه. وللمزيد من التفاصيل ينظر محمد عبد الكريم عكاشة، المرجع السابق، ص،٢٢٠. صلاح البكري في جنوب الجزيرة العربية،ص١٩٣.

السلطنة الفتية والممتدة في أرض واسعة فرصة مناسبة تضعهم في مكان أفضل مما هم عليه، فبموجب الاتفاقية أصبحوا جزءًا من السلطنة القعيطية المحمية من قبل الإمبراطورية البريطانية.وربما لذلك دلالات تتعلق بتسهيلات معينة بالهجرة الحضرمية في مستعمرات هذه الإمبراطورية المترامية الأطراف.



نص الوثيقة (ج)

الحمد لله لما كان يوم الأحد الموافق٢٧جمادى الأولى سنة ١٣٤٤هـ[١] فقد اتفق الآتي ذكرهم: الحبيب الفاضل حسين بن حامد المحضار،[٢] والمقدم عمر بن حمد بن سعيد باصرة،[٣] قائمين عن الدولة المكرم السلطان عمر بن عوض بن عمر القعيطي،[٤] ومن بكفله،[٥] يصالح ويباري عليه[٦]. والمقدم عمر بامحمد بامبارك لغبري المشجري ومحمد بن سعيد باسوم وعلي بن عمر بن ناجي وعبد الله بن يسلم بن سعيد وناصر بن علي بن لكسر[٧] الغابرة[٨] المشاجر،عنهم وعن أنفسهم وعن أصحابهم الغابرة الجميع. تشالوا[٩] بعهد الله الوثيق وميثاقه

(١) يوافق ١٤ ديسمبر ١٩٢٥م
(٢) حسين بن حامد المحضار:من أشهر وزراء السلطنة القعيطية وأكثرهم أهمية كان له دور مهم في تأسيس السلطنة توفى عام ١٩٢٧م.
(٣) ترجم له في الوثيقة(ب)هامش ٣.
(٤) السلطان عمر بن عوض القعيطي: تولى السلطنة بعد وفاة أخيه السلطان غالب وفقا لوصية أبيهم المشهورة.توفى في حيدر أباد بالهند ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م.
(٥) من بكفله: أي من هو مسئول عنهم.
(٦) يصالحان ويباريان : يقصد المحضار وباصرة، ويقصد بيباريان : يعاديان.
(٧) وهؤلاء من رؤساء أو شيوخ الفخذ المشجرية. ويسكن المشاجرة في أعلى وادي حجر، وتمتاز منطقتهم بالجفاف لبعدها عن مجرى وادي حجر.
(٨) الغابرة: صيغة جمع محلية لقبيلة الاغبري المشجرية، وقد تكررت في النص
(٩) تشالوا: أخذوا والتزموا.

الشديد، حلف الطيب والنقاء،والشرعوالوفاء[١] حلف مترث[٢]، من يرث المال يرث الوجه إلى أن يشيب الغراب، ويفنى التراب، راده عايب[٣] وقابله عايب من تبرى منه ما بري إلى أن يرث الأرض وارثها، حلف على عضوم[٤] وطوارف،وشايم ولايم[٥]، على كل ما يلوم ويشوم الدولة السلطان عمر بن عوض القعيطي، أو من يقوم مقامه، وبالتبعة والسمعة[٦] من المذكورين للدولة المذكور أو من يقوم مقامه.خصم الدولة خصمهم، وصديق الدولة صديقهم، وليس لخصم الدولة في أرضهم مهدر ولا معبر[٧] ولا سكن ولا شفاعة، ولا صلة ولا مواصلة، ومنازل المذكورين أعلاه منازل الدولة وقت حاجته إليها،تشالوا المذكورين بما ذكر وبالله الاعتماد.

وشلوا واحتملوا وبدا لوجوهم الغابرة المذكورين أعلاه على حسب ما ذكر وهم:[٨].

المقدم عمر بن محمد بن مبارك ومحمد بن سعيد باسوم، وعلي بن عمر بن ناجي وعبد الله بن يسلم بن سعيد، وناصر بن علي بن لكسر.عنهم وعن أصحابهم الغابرة الجميع

---

(١) حلف الطيب والنقاء والشرع والوفاء: سبق شرحها انظر: الوثيقة (ب) هامش ١٠.
(٢) مترث: متوارث (وسبق تعريفها).
(٣) راده عايب قابله عايب: انظر الوثيقة (ب) هامش رقم ١٢.
(٤) عضوم وطوارف: ويقصد المناطق الداخلية ومناطق الأطراف.
(٥) شايم ولايم:انظر الوثيقة (ب)هامش رقم ٩.
(٦) تبعة وسمعة: انظر الوثيقة (ب) هامش رقم ١٣.
(٧) مهدر:انظر الوثيقة (ب) هامش ١٧.
(٨) وردت في الأصل وهما.

شهد بذلك: ناجي مثنى الموسطي اليافعي

سالم بن عمر باعبيد حمد بن سالم.بن عبدالله بن عمر الخنبشي

حضر: مبارك بن سعيد بن مسلم الخنبشي، الحبيب علي سالم ..... (توقيع)

حضر.....(توقيع)

التعليق

اتّبع القعيطيون منذ خطواتهم الأولى لتأسيس كيانهم السياسي أساليب كثيرة في توسيع رقعة دولتهم في حضرموت، منها أسلوب شراء المدن والبلدات الرئيسة، أو بالسيطرة العسكرية المباشرة،أو عن طريق التحالفات القبلية، ويأتي عقد هذه الاتفاقية بين قبيلة الأغبري المشجرية من جهة، وممثلين عن السلطنة القعيطية من جهة أخرى، تجسيدًا للأسلوب الذي اتبعوه في نشر نفوذهم القائم على عقد التحالفات مع القبائل الحضرمية.

ويدل تاريخ هذه الوثيقة الذي يعود إلى عام ١٩٢٥م على أن هذه السياسة ظلت نهجًا ثابتًا اعتمده الساسة القعيطيون منذ سيطرتهم على أهم المدن والبلدات في ساحل حضرموت ووواديها في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي،وسهلت معاهدة عدن عام ١٩١٨م المبرمة بينهم وبين الكثيريين وبرعاية السلطات البريطانية في تمرير تلك السياسة التوسعية، فقد حددت بنود تلك المعاهدة مدنًا وبلداتٍ معينة في وادي حضرموت

للكثيريين وتركت المجال مفتوحًا للتوسعات القعيطية.

والوثيقة عبارة عن حلف قبلي بين السلطنة القعيطية وبعض الفخذ المشجرية ولاسيما الغابرة (الأغبري). وهو اتفاق لا يختلف كثيرًا عن الأحلاف القبلية بين رجال السلطنة وزعماء القبائل التي تقع مثاويها على أطراف السلطنة.كما تشابهت في نصوصها، ولاسيما في التأكيد على رغبة تلك القبائل في إعلان انضمامها وتبعيتها للسلطنة، والاعتراف بامتدادها الشكلي في أراضيها دون أن تحدد النصوص مكاسب أو امتيازات معينة لهذه القبائل. وهذه ميزة لاحظناها في كثير من الاتفاقيات التي أبرمتها السلطنة مع القبائل التي تقع على الأطراف. وتكاد تكون ذات صيغة واحدة ومدلولات متقاربة، وأقرب دليل على ذلك اتفاق القعيطيين مع قبيلة القراميش الموضح في الاتفاقية (ب) من هذه الدراسة. والأمر يختلف في الاتفاقيات مع القبائل القريبة من المدن الرئيسة كما لاحظنا ذلك في الوثيقة (أ)، وقد قسم المؤرخ محمد عبد القادر بامطرف الاتفاقيات الملزمة بين القبائل وسلطنتي حضرموت إلى نمطين: الأول تتعهد القبائل بموجبه بتلبية نداء السلطان في أثناء الحرب، وكانوا يقولون عن أنفسهم تبعة وسمعة،والنمط الثاني يقوم على أساس الصداقة وتبادل المنافع[١].

ولابد من الإشارة إلى أهمية منطقة المشاجرة وقربها النسبي من مناطق السلطنة القعيطية سواء في أعلى وادي حجر أو وادي دوعن.فمنطقة حجر ذات الأهمية الاقتصادية ظلت مسألة السيطرة عليها حلمًا يراود

(١) محمد عبد القادر بامطرف، الإقطاعيون كانوا هنا،دار الهمداني، عدن، ١٩٨٥ مص٢١.

القعيطيين منذ عهد أول سلاطينها (عوض بن عمر القعيطي)؛ إذ وقام ببعض المحاولات للسيطرة عليها لكنها استعصت عليه نتيجة للمقاومة الشديدة التي أبدتها قبيلة (نوّح) فزاد ذلك من إصرار هذا السلطان على ضمها بفرض نوع من الحصار الاقتصادي وذلك بالتضييق عليهم في معيشتهم لأكثر من عشر سنوات مما دفعهم إلى طلب الصلح واللجوء إلى حل الخلاف بالتحكيم بينهما،وبموجبه تقرر أن يكون وادي حجر ونواحيه تحت سلطة السلطنة القعيطية مقابل منح قبائل (نوّح) إعفاء على أموالهم الخاصة من جميع الرسوم.

ومن هنا ندرك مدى حرص السلطنة على توسيع نطاق وجودها في أعلى وادي حجر وذلك بخلق طوق من الحلفاء على مناطق سيطرتها الأساسية في وادي حجر، ووضع موطئ قدم لهم للاستفادة المباشرة من مواطن تلك القبائل،وتحقيق مكاسب مستقبلية بعيدة المدى. تجدر الإشارة هنا بأن القعيطيين لم يفلحوا في استقطاب أغلب فخائذ قبيلة المشاجرة إلى مثل هذه التحالفات؛ إذ فضل بعضهم التحالف مع سلطنة الواحدي المحايدة من ناحية الشرق للسلطنة القعيطية.

ويضفي توقيع كل من السيد حسين بن حامد المحضار والمقدم عمر بن أحمد باصرة أهمية كبيرة لهذا الاتفاق فهما شخصيتان مشهود لهما بالخبرة والحنكة، فالأول يشغل منصب وزير السلطنة القعيطية ومعروف من الناحية العملية أنه كان الحاكم الفعلي لحضرموت وذلك لمكوث السلاطين القعيطيين أوقاتًا طويلة في حيدرآباد بالهند،ناهيك عن المكانة الاجتماعية لمراتبية السادة في حضرموت.وأما المقدم باصرة فتأتي أهميته الاعتبارية الرسمية من كونه يحكم وادي دوعن نيابة عن القعيطيين، وهي منطقة كما قلنا قريبة نسبيًا من مثاوي قبيلة (الغابرة) المشجرية.

ونستشف من هذه الوثيقة جانبًا من العلاقات داخل قبيلة المشاجرة، فمعروف أن المنظومة القبلية تقوم على أساس تعاضد أفراد القبيلة وتآزرهم، ولاسيما في الأمور التي تتعلق بأمن القبيلة وحماية مثاويها، وانفراد فخيذة آل الأغبري بهذا الاتفاق يدل على تمتع الفخيذة في إطار القبيلة الواحدة بمساحة من التحرك وحرية الاختيار،بعيدًا عن الالتزامات الصارمة التي غالبًا ما نجدها عند التجمعات القبلية التقليدية، وهذه ميزة وجدناها منتشرة عند معظم التحالفات الكبرى في حضرموت، بل يصل الأمر إلى ظهور نوع من تقاطع العلاقات القبلية من تصالح القبيلة الواحدة وعدائهامع قبيلة أخرى، بمعنى آخر لم تشهد القبيلة الحضرمية المرجعية الواحدة،ولعل ذلك يساعدنا في تفسير ضعف التأثير السياسي للقبيلة في حضرموت في مجريات الأحداث التي شهدتها عبر القرون.



الخاتمة

لم يعدم القعيطيون الوسائل في بسط نفوذهم وسيطرتهم على أجزاء واسعة من حضرموت. وإذا كانت السيطرة العسكرية المباشرة هي ما يميز قيام الدول في التاريخ ولاسيما عندما تقوم على أنقاض دول أخرى فإن القعيطيين ضموا إلى مناطق نفوذهم بشكل مباشر وغير مباشر أراضي واسعة بوساطة التحالفات القبلية. ومضت هذه السياسة في ظل الفوضى القبلية الضاربة أطنابها في المنطقة، وفي أوضاع اقتصادية غاية في الصعوبة، وكانت الموانئ المسيطر عليها من قبل القعيطيين هي البوابات الأساسية لخط الهجرة الخارجية بوصف الهجرة أحد أهم روافد الاقتصاد الحضرمي والنشاط الذي استوعب طالبي الرزق، وهيأ فرص العمل في مواطن الهجرة المعروفة. وربما يعزى قبول القبائل لهذه الاتفاقيات بصيغتها الملزمة خاصة الوثيقة (أ - ب) فضلًا عن ما ذكرناه،إلى هذه السيطرة القعيطية وعلاقاتها الخارجية.

والقعيطيون الذين دخلوا الساحة السياسية في حضرموت بدافع من طموحاتهم، ومسنودين بالإمكانات المادية المجلوبة من ممتلكاتهم في حيدرآباد بالهند، ومعززين باتفاقيات الصداقة والولاء، ثم الحماية مع السلطات البريطانية في عدن كل ذلك أوجد واقعًا سياسيًا جديدًا ساعدهم على تمرير سياستهم التوسعية في حضرموت بأشكالها المتعددة. وكان التوسع بالتحالفات والاتفاقيات أقل كلفة من الناحيتين البشرية والمادية.

تسعى هذه الدراسة إلى إثارة الاهتمام بالوثائق التاريخية ودراستها،

فبعد مرور ما يقارب نصف قرن من سقوط سلطنتي حضرموت القعيطية والكثيرية فلا يوجد في مدينة المكلا عاصمة حضرموت مركز متخصص في حفظ الوثائق التاريخية ودراستها،وقبل بضع سنين افتتح في مدينة سيئون فرع للمركز الوطني للوثائق التابع لرئاسة الجمهورية، ولاشك أن ذلك خطوة في الاتجاه السليم إذا ألحق ذلك بخطوات أخرى حقيقية على طريق إنشاء مركز مستقل في مدينة المكلا لحفظ الوثائق ودراستها.

إن الأرشيف الحضاري في أي مجتمع من المجتمعات البشرية يحفظ ذاكرة الناس، ويعد سجًلا لتجاربهم بسلبياتهم وإيجابياتهم،وصحيح أن هناك بعض (الرسميين) لا ينظرون للوثائق التاريخية بالنظرة المأمولة التي ترتقي إلى مستوى الإدراك الصحيح بأهميتها بل ينظرون لها بوصفها أوراقًا من الأزمنة البائدة. ولهذا توصي هذه الدراسة بإنقاذ ما يمكن إنقاذه من الوثائق التاريخية المتعلقة بالمنطقة والموضوعة حتى حينه في سراديب تفتقد لأدنى شروط الحفظ، ونقلها إلى أماكن لائقة بها، وبما تحمله من أسرار عميقة، ودلالات عظيمة.

قائمة بالمصادر والمراجع

أ) الوثائق

- وثيقة اتفاق بين السلطنة القعيطية وقبيلة بني حسن١٨٨٣م.
- وثيقة اتفاق بين السلطنة القعيطية وقبيلة القراميش ١٩٠٨م.
- وثيقة اتفاق بين السلطنة القعيطية وفخيذة الغابرة المشجرية ١٩٢٥م.

ب) المراجع

- صلاح البكري، في جنوب الجزيرة العربية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- سعيد عوض باوزير، صفحات من التاريخ الحضرمي، مكتبة الثقافة عدن، ١٩٥٧م.
- محمد بن أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، دار المهاجر، المدينة المنورة، ١٩٩٤م.
- محمد عبد القادر بامطرف، في سبيل الحكم، دار الهمداني، عدن، ١٩٨٣م.
- محمد عبد القادر بامطرف، الإقطاعيون كانوا هنا، دار الهمداني، عدن، ١٩٨٥م.
- محمد عبد الكريم عكاشة، قيام السلطنة القعيطية والتغلغل الاستعماري في حضرموت، دار ابن رشد للدراسات والنشر،

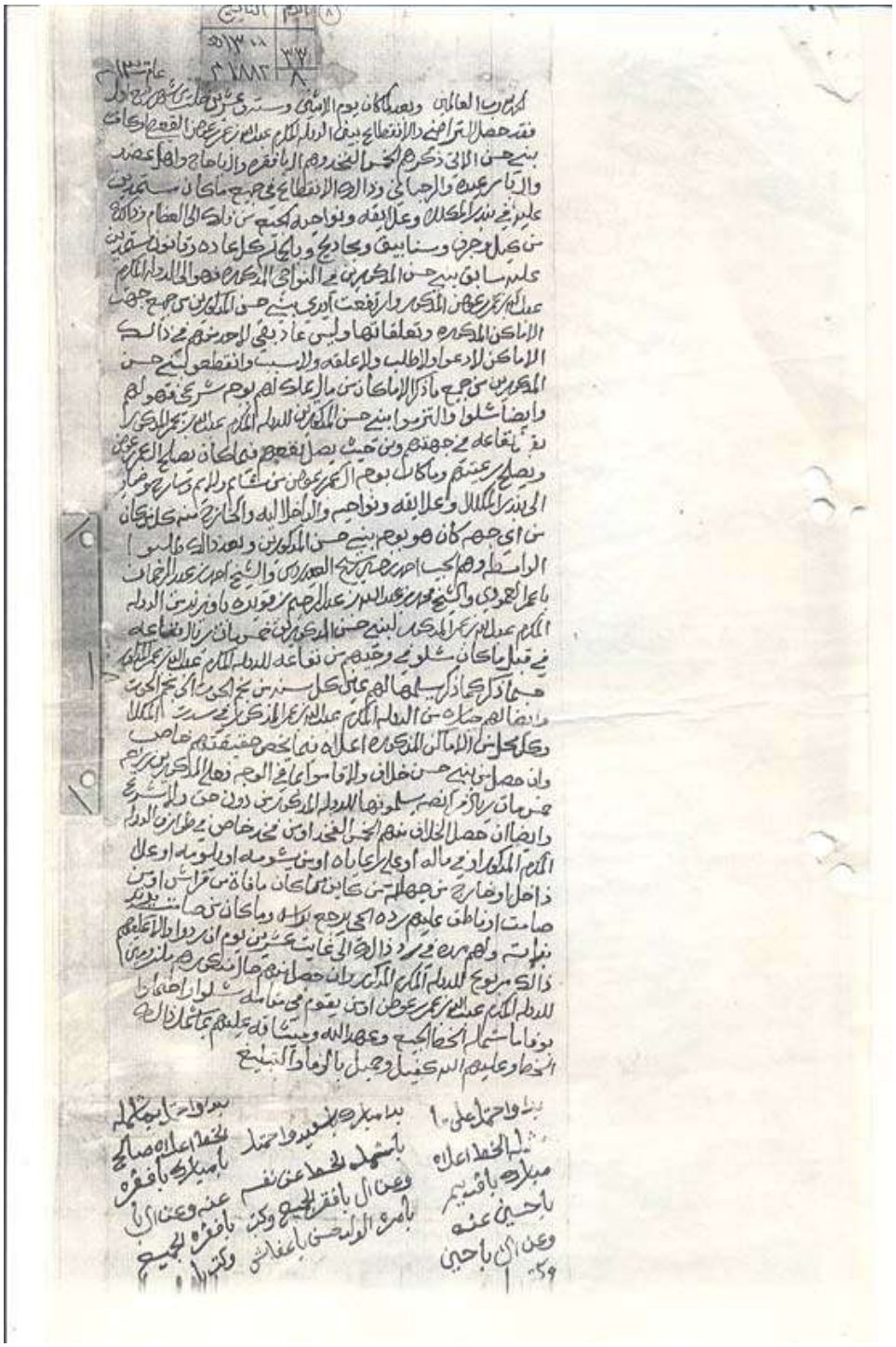
عمّان، ١٩٨٥م.
- عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، دار المنهاج، بيروت، ٢٠٠٥م.
- عبد القادر محمد الصبان: الفلاحون وعاداتهم المهنية، المركز اليمني للآثار والمتاحف (مطبوع بالاستنسل) سيئون، ١٩٨٣م.

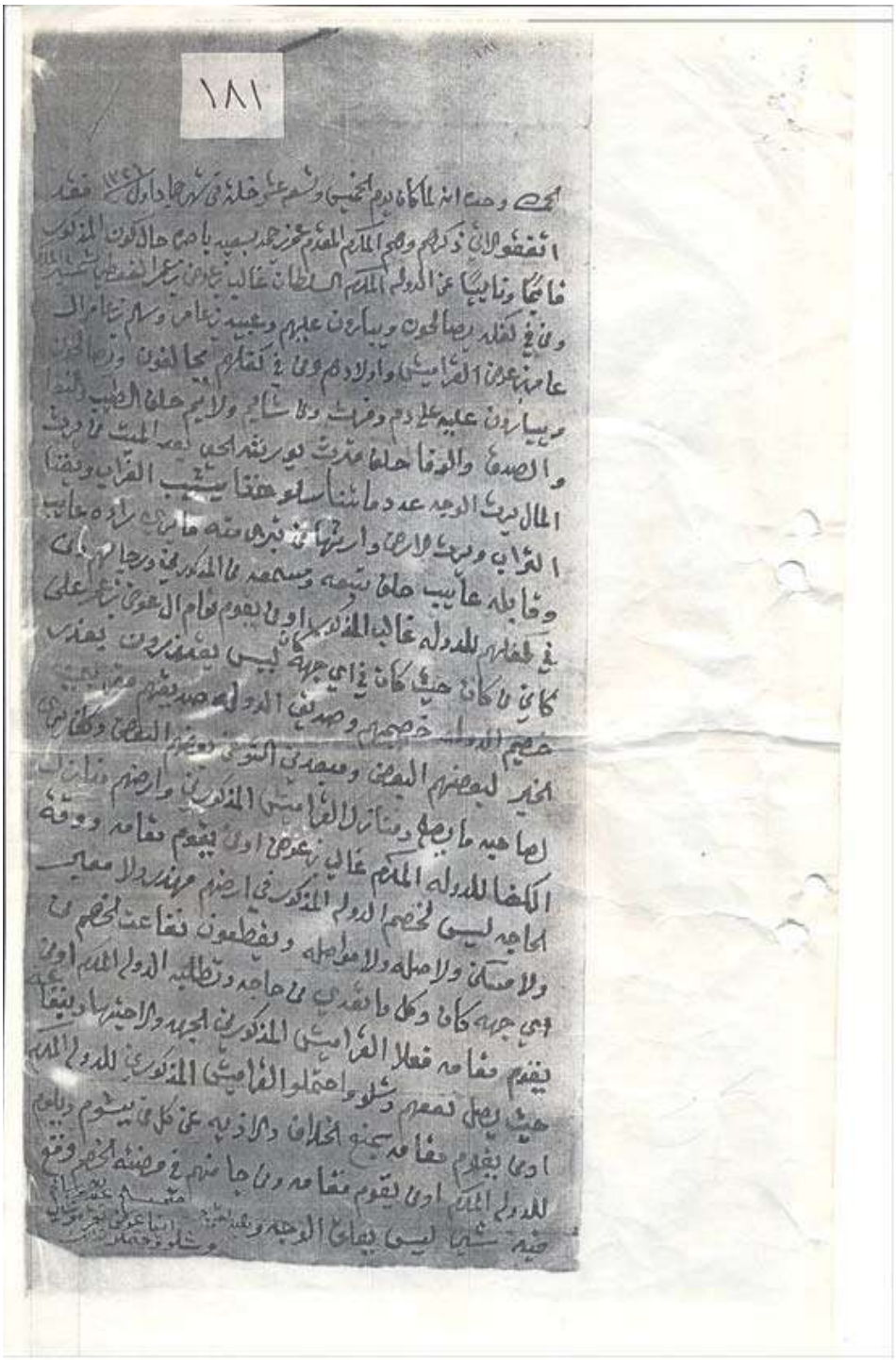
ج) دوائر المعارف

- المعلم بطرس البستاني، محيط المحيط.
- لويس معلوف، المنجد في اللغة والعلوم.

د) المقابلات الشخصية

- د.عبد العزيز جعفر بن عقيل، مدير عام الهيئة العامة للآثار والمتاحف والمخطوطات بالمكلا، باحث اثنوغرافي
- الأستاذ عبد الرحمن عبد الكريم الملاحي، باحث في التاريخ
- محمد علي بارعيدة، معمر مطلع على كثير من نواحي الحياة القبلية في منطقته بحكم المعايشة.





لمحات من منهج بامطرف وأسلوبه في الكتابة التاريخية (كتاب في سبيل العلم نموذجًا)*

برز في حضرموت خلال القرن الماضي عدد من المفكرين والنابهين اهتموا - ضمن اهتمامات كثيرة لهم - بكتابة تاريخ حضرموت العام أو أجزاء منه. وهم وإن اختلفوا في ثقافتهم ومناهجهم والمواضيع التي تناولوهافإنهم بحق يعدون الرعيل الأول الذي له الريادة في تدوين جوانب مهمة من تاريخ حضرموت وتوثيقه على وجه الإجمال، والحديث والمعاصر على وجهه الخصوص.

ومن هؤلاء الأساتذة : عبدالرحمن بن عبيد الله السقاف، ومحمد بن هاشم،ومحمد علي باحنان،وعبدالقادر محمد الصبان، ومحمد أحمد الشاطري، وسعيد عوض باوزير، ومحمد عبدالقادر بامطرف، وصالح علي الحامد وآخرون.وإذا كان بعض هؤلاء (المؤرخين)لاتتعدى مؤلفاتهم الكتاب الواحد فهذا لايعيب كثيرًا عند التأليف التاريخي الذي له الكثير من الاعتبارات والخصوصيات.ولامجال هنا لاستعراض هذه المؤلفات ومناقشة أهميتها التاريخية،وإن كان ذلك يحتاج إلى وقفات.

وفي هذه العجالة لايسعنا إلا الحديث عن جانب من جوانب الإبداع

---

* مجلة آفاق-أدبية ثقافية فصلية: تصدر عن اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين حضرموت - المكلا السنة (٢٥) العدد (٢٤-٢٥) ٢٠٠٦م.

في الكتابة التاريخيةعند أستاذنا المؤرخ محمد عبدالقادر بامطرف(رحمه الله) من خلال قراءة عامة لكتابه الموسوم: (في سبيل الحكم)، ولاشك أن التناول العادل والمنطقي لمنهج بامطرف وأسلوبه التاريخي لن يتم إلا بدراسة متكاملة لكل مؤلفاته، ولعلّ هذه الاوراق ن تكون جزءًامن ذلك وحافزًا لدراسةٍ أكثر عمقًا وشمولًا في قادم الأيام إن شاء الله.

موضوع الكتاب:

يغطي كتاب بامطرف (في سبيل الحكم) فترة ساخنة من تاريخ حضرموت الحديث حفلت بالكثير من الأحداث والمتغيرات، امتدت في الزمان لتشمل -تقريبًا- العقد السادس والسابع والثامن من القرن التاسع عشر. تتبع بامطرف خلال هذه الفترة تطورات الصراع الكثيري - يافعي مع تركيزه على الصراع اليافعي -يافعي (الكسادي - القعيطي)

في بداية الكتاب وكنوع من التمهيد التاريخي السريع عرج بنا بامطرف على جوانب من تاريخ حضرموت الوسيط المتأخر والحديث المبكر عندما كان الصراع العشائري على المدن والبلدات هو السمة المميزة لتلك الفترة. ثم قفز متعمدًا على الكثير من المسافات والأحداث التاريخية ليقربنا من الفترة الزمنية موضوع الكتاب.، واستعرض أبرز نتائج سقوط السلطنة الكثيرية الأولى في حضرموت، وهو قيام الكيانات السياسية اليافعية الصغيرة والمبعثرة في أجزاء معينة من حضرموت مع الإشارة إلى أهمها وهما : الإمارة البريكية في الشحر،والكسادية في المكلا.

ثم غاص بنا بامطرف في أحداث الصراع الكثيري - البريكي، ونجد في آخره نهاية الإمارة البريكية. ولكن الكسادي في المكلا يشعر بالخطر

ويتصل بالقعيطي الموجود في حيدرآباد بالهند، ويؤدي التحالف اليافعي إلى إحداث نوع من توازن القوى في حضرموت أبرز مظاهره طرد الكثيري من الشحر.

ولأن لغة السياسة هي المصالح والأطماع، يدخل بنا مؤرخنا في دهاليز هذه السياسة ومتاهاتها، فخلالها يحدث التغير في التحالفات وتتشعب المناورات، فأصدقاء الأمس وحلفاؤهم أعداء اليوم. وهكذا يتحول الصراع الكسادي - القعيطي إلى محور الصراع السياسي في حضرموت، وحوله دارت معظم الصراعات الجانبية وإن اختلفت أهداف المتنازعين وتطلعاتهم. وتكمن خطورة الصراع بالنسبة للكسادي في أن كيان إمارته أصبح مهددًا بالسقوط أمام القوة القعيطية الفتية والمعززة بثروة الأسرة الطائلة في حيدرآباد.

وخلال أوراق الكتاب لم يغفل مؤرخنا ذكر الدور الأجنبي الخارجي وخاصة البريطاني والعثماني لأحداث الصراع في حضرموت. فمعروف أن بريطانيا احتلت عدن عام ١٨٣٩م، والعثمانيون احتلوا اليمن للمرة الثانية عام ١٨٧٢م. وإذا كان التحرك العثماني تجاه تطورات الأحداث في حضرموت تميز في مراحله بالضعف، فالعكس صحيح بالنسبة للبريطانيين وذلك لأن حضرموت والسواحل العربية الجنوبية عموما تمثل العمق الاستراتيجي لحماية عدن وخط الملاحة البحري الممتد من بومبي إلى عدن ثم السويس.

وأشار بامطرف إلى أن أولويات السياسة البريطانية آنذاك منع وجود أي قوى أجنبية منافسة لها. لهذا حرصت بريطانيا على ربط الحكام المحليين باتفاقيات صداقة تضمن لها هدوء المنطقة وتبعد المنافسين من

الدول الأخرى، ومن هنا كان منطقيًا أن تكون بريطانيا قريبة من التطورات السياسية ومتابعة لها في حضرموت، وقد تطلع (الصديقان) الكسادي والقعيطي نحو عدالة الأسد البريطاني، وبموجب ذلك دخل الساسة البريطانيون في تعقيدات ذلك الصراع، وآثروا حسمه في النهاية - كعادتهم -وفقًا لمصالحهم وعلى حساب العدالة المأمولة، فانحاز البريطانيون بشكل كامل إلى جانب القعيطي ليجد النقيب عمر الكسادي نفسه خارج الحكم،وسقوط الإمارة الكسادية عام ١٨٨١م.

منهج بامطرف وأسلوبه في الكتابة التاريخية:

معروف أن المنهج في أصول البحث العلمي طريقة عقلية لقيادة العقل، ويستهدف البحث عن الحقيقة بواسطة مجموعة من القواعد التي تهيمن على سير العقل بغية الوصول إلى نتيجة. ومجرد طرح سلسلة تواريخ وأحداث لاتتجاوز أفق عرض الأحداث وفق تسلسلها الزمني لايمكن أن يرتقي إلى مرتبة ما نسميه بحثًا تاريخيًا. لهذا تشترط الكتابة التاريخية العلمية توافر شروط أو عناصر أساسية منها : الكشف عن مصادر بحثه وتطبيق تجربته المدروسة وتقنيات نقد المصدر، والخروج من دراسته بتفسير محدد للأحداث، وأخيرًا نقل هذا التفسير من خلال عرض مكتوب بلغة علمية دقيقة ورصينة.

ويذكر عبد الرحمن بدوي أن التاريخ يتكون من وقائع حدثت مرة واحدة وإلى الأبد، بينما يتكون العلم التطبيقي من وقائع قابلة دائمًا لأن تعود، ومهمة علم التاريخ أن يحاول استرداد ماكان في الزمان[١].

(١) د. عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، ط٣، وكالة المطبوعات شارع فهد السالم، الكويت، ١٩٧٧م، ص١٨٣.

والمؤرخ الحق هو ذلك الذي يستطيع أن يحيي تجارب الماضي كما حدثت في نوع من التخيل، ولكن هذا التخيل ليس تخيًلا مبتدعًا إنما يجب أن يقوم على أساس ماخلفته الأحداث الماضية من آثار.

إن ثقافة بامطرف الواسعة جعلته قريبًا من المناهج العلمية الحديثة في الكتابة التاريخية واحتفظ بخصوصية معينة - قد نتفق أو نختلف معها - وترك من خلالها بصمات حددت ملامحه وشخصيته التاريخية المستقلة. وقد بدأ كتابه بإهداء جميل نلمح من خلاله جانبًا من جوانب شخصية بامطرف (المؤرخ)، وهي رغبته الشديدة في معرفة الحقيقة التاريخية، فمما قاله في الإهداء : " إلى صديقي العزيز الذي روى لي حادثة جانبية من حوادث نصف قرن من الصراع السلاطيني على الحكم، فأثار في نفسي رغبة جامحة لتقصي حوادث ذلك الصراع "[١] وفي مقدمة الكتاب سهل لنا بامطرف معرفة جانب من أسلوبه ومنهجه التاريخي فهو يرى : "أن التدوين التاريخي يتجدد بالضرورة بالاستدراك والتهذيب والمراجعة في منطلقه نحو الكمال "[٢]. وهو بهذا أراد أن يقول لنا إن الكتابة التاريخية عملية تكاملية تقع على عاتق أجيال من المؤرخين وخلالها، كلٌ له أفقه وزاوية نظره ..لكنه نبهنا إلى قضية أساسية في منهج البحث التاريخي وهي (الوثائق) وكيفية التعامل معها أو كما قال : " التوثق قدر المستطاع من أصالتها "[٣]، بمعنى آخر ضرورة إخضاع الأصول التاريخية للنقد الظاهري والباطني حسب المفهوم الحديث. كما يؤكد في المقدمة

(١) محمد عبد القادر بامطرف، في سبيل الحكم، ط ٢، دار الهمداني للطباعة والنشر، عدن، ١٩٨٣، ص٥
(٢) نفسه، ص٧
(٣) نفسه، ص٧.

على نقطة لاتقل أهمية عن سابقاتها وهي متابعة وجهات النظر المختلفة لأطراف الصراع أو من يعبر عنهم، فالرواية الأحادية سواء كانت محلية أو أجنبية " لاتخلو من الخطأ والسهو والعمد "، ومن خلال فصول الكتاب يمكن أن نستخلص ملامح من منهجه وأسلوبه وذلك وفقًا للنقاط الآتية :

١) استخدم بامطرف المنهج التاريخي الاسترادادي، ثم بذل جهده في إعادة رسم وتشكيل الأحداث التاريخية وفقًا للمنهج التحليلي الذي غايته الكشف عن بنية الموضوع قيد الدراسة، وتقسيم الظواهر المعقدة وتفكيكها إلى عناصر أقل تعقيدًا. وخلال قراءتنا للكتاب لاحظنا أن بامطرف كان مسيطرًا على موضوعه رغم تعقد عناصر الصراع وتشابكها،وتلاحق الأحداث التاريخية، فسار بنا سيرًا تاريخيًا منطقيًا، بحيث لايشعر القارئ خلالها بالفجوات التاريخية. كما لم يكن بامطرف ساردًا للأحداث التاريخية، بل كان متابعًا يقظًا، ولايبخل عندما يرى ذلك مناسبًا بالإشارة للتصحيح أو النقد أو إبداء الرأي أو الشك في بعض الروايات. فعلى سبيل المثال ذكر أن بعض المصادر أشارت إلى أن قادة القبائل اليافعية الذين قدموا إلى حضرموت عام ١٨٦٦م كانوا مسلحين بالميازر " لم ألتفت إلى هذا لأن الميازر ظهرت في ألمانيا لأول مرة عام ١٨٩٨ "[١].

٢) واذا كانت المناهج الحديثة تتطلب بالضرورة التحديد الزمني والوحدة الموضوعية للبحث التاريخي، فبامطرف لم يغفل هذا الجانب واختار موضوعًا دقيقًا ومحددًا وهو الصراع السياسي في

(١) نفسه، ص٣٩.

منطقة حضرموت بحكم معرفته وانتمائه لها، كما حدد في بحثه مجاله الزمني وهو ٣٠ عامًا منذ بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، وقد أعطى هذا التحديد الزمني نوعًا من العمق التاريخي، وساعد في توضيح جوانب مهمة من تاريخ حضرموت في تلك الفترة.

٣) قسم بامطرف كتابه إلى أربعة فصول، احتل فيها الفصل الأول حيزًا كبيرًا، وإذا كان هذا أحيانًا مما يعيب الأبحاث التاريخية فنحن نلتمس العذر له من خلال أن الكتاب يشكل في مجموعه وحدة موضوعية، فنهاية الأحداث التاريخية لكل فصل نجدها بداية للفصل الذي يليه.

٤) يردد علماء التاريخ دائمًاأن لاكتابة تاريخية بدون وثائق، وهناك عناصر أخرى كلما امتلكها الباحث في التاريخ أعطى لمجال دراسته أهمية وقيمة، من ذلك إجادة اللغات واللهجات القديمة والأجنبية ذات العلاقة بموضوع بحثه، والاستفادة من العلوم المساعدة والشعر والموروث الشعبي وغيرها. وكان لتمكن مؤرخنا من الحصول على هذا الكم من الوثائق أن أعطى لمؤلفه قيمة تاريخية قصوى بل أصبح أشبه بأرشيف وثائقي. ولكن رغم هذه الأهمية للوثائق فهي في حقيقتها تاريخ تحت التصنيع (إن صح التعبير)، وهنا تكمن قدرة المؤرخ وتميزهبالاستفادة من هذه الوثائق، وتوظيفها لصالح رسم خريطة الأحداث ومقارنتها وربطها. وبامطرف تجلت منهجيته في توظيف هذه الوثائق لصالح بحثه، ولكن لّنا هنا ملاحظتين : الأولى أن المؤلف (رحمه الله) أورد عددًا من الوثائق بنصها الكامل داخل متن الكتاب، وهذا الأسلوب يؤدي إلى نوع

من الخلخلة للقارئ، لهذا تفضل المناهج الحديثة كتابة النص الكامل للوثائق في ملاحق مستقلة بعد الإفراغ من الكتاب، ولابأس من ذكر اقتباسات معينة عندما يرى الباحث لذلك ضرورة. الجدير بالإشارة أن بامطرف أضاف في آخر الكتاب وثائق مهمة ضمنها في خمسة ملاحق. والملاحظة الثانية تتعلق بوثائق الأسر الحضرمية التي استفاد منها، كوثائق آل الكسادي،آل الحضرمي، آل القعيطي، وآل الشيخ أبوبكر وغيرهم. ووثائق هذه الأسر لانعلم أماكن وجودها، كما لم يشر بامطرف إلى كيفية حصوله عليها، وهل هو محتفظ بها أو بنسخ منها ؟ ونقصد من هذه الإشارة إثارة الانتباه إلى أهمية هذه الوثائق وحفظها أو حفظ نسخ منها في مكان اعتباري لمساعدة الباحثين والمهتمين عند القراءة التاريخية الجديدة لأحداث هذه المرحلة .

كما عزز من قيمة الكتاب إجادة مؤلفه للغة الإنجليزية، فأعطى ذلك مجالًا واسعًا للاطلاع على الوثائق والمؤلفات البريطانية، وبالتالي اطلاعه على وجهة نظر طرف هام ومؤثر في الأحداث. وكان لحرص بامطرف على تتبع تناقضات السياسة البريطانية أن أضفى فائدة وقيمة للكتاب، وأظهرت شخصية المؤرخ المجد فيه.

واستفاد بامطرف من الشعر الشعبي، فإذا كانت الحكمة هي ضالة المؤمن فإن المعلومة التاريخية المعاصرة للأحداث المتناولة هي ضالة الباحث، ثم المرحلة الأساسية للباحث وهي كيفية توظيف هذه (المعلومة) وتحليلها، ومؤرخنا بحكم شاعريته وإهتمامه بالشعر ساعده ذلك على رصد الرأي الشعبي تجاه الأحداث وتوظيفه لصالح بحثه.

٥) وإذا كان بامطرف سخيًا في إشاراته وتعقباته التاريخية فإنه كان بخيلًا بعض الشيء في جوانب أخرى وخاصة في الهوامش، فمن جانب نجده استخدم الهامش لترجمة شخصيات معينة وتوضيحه لمصطلحات وأماكن أو تعليقات . . .الخ ومن جانب آخر لايشير إلى مصادره أو مراجعه إلا في أماكن محددة. وفي كتابه هذا لم يذكر أسباب ذلك، ولكن في مقدمة كتابه (الجامع) أوضح وجهة نظره حول هذه النقطة بقوله : " ولم أمض على طريقة التوثيق الأكاديمية التقليدية في إفعام هوامش الكتاب بذكر صفحات المراجع التي أخذت منها إلا لمامًا . . . إني أعلم أن هذه الطريقة قد لاترضي بعض التقليديين "[١].

ونحن لانذهب إلى ماذهب إليه بامطرف ونرى أن الإشارة في الهامش إلى صفحات المراجع ليست فقط توثيق معلومة المؤلف والتثبت من صدقها، بل أيضًا يفتح ذلك المجال أمام الباحثين والمهتمين لتتبع مصادر المؤلف ومعلوماته ويساعد في كشف نوع من الببلوجرافيا للمصادر والمراجع، ومع هذا فإن بامطرف كان أمينًا في ذكر كل مصادره في آخر الكتاب.

٦) ومما يحسب لقيمة الكتاب وأهميته - إضافة إلى ماذكرناه - أن مؤرخنا عند تقييمه لبعض الشخصيات ومواقفها كان محللًا واقعيًا ولم يقفز فوق الأحداث التاريخية بل نظر إليها بعين العصر الذي حدثت فيه وحول هذا قال بامطرف: " ولو أننا أردنا النظر إلى

(١) محمد عبد القادر بامطرف، الجامع : جامع شمل اعلام المهاجرين المنسبينالى اليمن وقبائلهم، الهيئة العامة للكتاب والنشر، صنعاء، ١٩٩٨م، ص، ٩.

تصرفات الحكومة البريطانية في هذه القضية وفي غيرها من قضايا تلك الأيام بمفهوم اليوم لقلنا إن تأميل (العدالة) من دولة استعمارية لهو طفولة في التفكير وسذاجة في الموقف . . . بيد أننا نحاول في هذا الكتاب النظر إلى ملابسات النزاع القعيطي - الكسادي بعين أبناء القرن الماضي (قبل الماضي) الذين كما يظهر من سلوكهم تجاه الإنجليز افترضوا في حاكم عدن وفي حكومته العدالة المطلقة لدى معالجتهم قضايا الساعة"[١].

٧) ومن الجوانب العرضية التي يهتم بها منهج البحث التاريخي التقيد بأسلوب موحد للمصطلحات أو هيكلية موحدة للبحث وغيرها، ومن ذلك التقيد بمعيار واحد عند اختيار السنوات الهجرية والميلادية، ولكن مؤرخنا هنا لم يتبع أسلوبًا واحدًا، فأحيانًا يذكر التاريخ الهجري وبجانبه الميلادي، وأحيانًا يكتب أحدهما فقط وهكذا .

٨) ذكر بامطرف في هامش (١) صفحة ١١ أن الفصل الأول أو - كما أطلق عليه الباب - كتبه في تاريخ واحد مع المقدمة، أما بقية فصول الكتاب فقد كتبها مابين عامي ١٩٦٣-١٩٦٥م، ولا نعلم على وجه الدقة سبب حرصه على توثيق هذه المعلومة، وسنبتعد عن الافتراضات غير أن مايهمنا الإشارة إليه هنا أن الجزء الأول من الكتاب أفرغ منه في بداية السبعينيات من القرن الماضي (العشرين) عندما أصبحت حضرموت جزءًا من جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، لهذا لاحظنا اختلافًا يسيرًا في أسلوب العرض وبعض

(١) محمد عبد القادر بامطرف، في سبيل الحكم، ص١٣٧.

الصياغات وذلك لتتناسب مع المرحلة السياسية الجديدة؛ إذ كان مؤرخنا محسوبًا من رجال العهد السابق أو هكذا رأى (الثوار)، وفي أول فقرة من الكتاب يؤكد أن حضرموت لم تشهد الحكم المركزي القوي إلا بعد أن أصبحت جزءًا من تلك الجمهورية (١٩٦٧م)، وهو في ذلك محق إلى درجة بعيدة .

وفي هذا السياق وفي معرض انتقاده وتقييمه للصراعات القبلية والسياسية في حضرموت أورد فقرة طويلة تستحق الوقفة والتأمل، فمما قاله: "وإنه لمن المثير للاهتمام أن يشهد الإقليم الحضرمي على مافيه من جفاف وفقر وقلة سكان، ذلك الاختصام الذي تميز بالحروب الطاحنة التي دارت في كافة أدوار التاريخ الحضرمي. . .في أوقات لم يدر بخلد الحكام الذين تعاقبوا على حكمه مافيه من احتمالات بترولية، واستغلال ما يحتمل أن يكون لجغرافيته قيمة في إطار الاستراتيجية العالمية، كما أن أولئك الحكام لم يفكروا في استخدام السلطة في النهوض بالشعب أو بتطوير حياته إلى الافضل" فهل بهذه الإشارة المهمة ينتقد بامطرف الحكام السابقين؟ أو كان يخاطب الثوار في حينه؟ ولماذا ينبه إلى أهمية الاهتمام بالشعب واستغلال موادره النفطية الواعدة؟ هل بامطرف يستشرف المستقبل؟

٩) والنقطة الأخيرة لجانب مميز أو فريد بالنسبة للمؤرخين الحضارمة، وهو التوظيف المسرحي أو الروائي لبعض الأحداث التاريخية. ولعل ذلك ليس غريبًا في شخصية بامطرف (الأديب) إذ معروف عنه أن له بين اهتماماته التاريخية اهتمامات ومحاولات في فنون مختلفة من الأدب كالشعر وكتابة القصة القصيرة والتأليف المسرحي .

ونلاحظ ذلك من قراءة بعض عناوينه الفرعية مثل :

- النقيب عمر على مسرح الأحداث.
- بداية النهاية.
- وليمة الذئب.
- النهاية.

بل يختم الكتاب بفقرة صغيرة أو جملة تؤكد مانحن بصدد توضيحه حيث قال : "وأسدل النزاع الكسادي - القعيطي بعد أن احتل فترة من التاريخ الحضرمي امتدت ثلاثين عامًا "[١].

كما حفل الكتاب ببعض اللقطات الممسرحة، فحاول من خلال هذه الموهبة أن يدفعنا للمشاركة في تخيل بعض الأحداث التاريخية ونسمع معه توجسات (شخصياته) الذين عبر بالنيابة عنهم عما يجول في خواطرهم وفي وجدانهم. وسنذكر على سبيل المثال لا الحصر بعض النصوص أو المشاهد(إن صح التعبير) لعلها توضح ما ذهبنا إليه. من ذلك وصفه لحيرة النقيب صلاح الكسادي حاكم المكلا بقوله : " هذه حقائق يدركها النقيب صلاح وبسببها يقضي الليالي مسهدًا لايغمض له جفن، يقلب الأمر على جميع وجوهه "[٢] ويظهر مخاوف الكثيري في الشحر من التحالف اليافعي : " كان آل كثير يراقبون سير الحركة اليافعية من خلال عيونهم هنا وهناك. ولكنهم كانوا في حالة من الأهبة المستميتة كمن يتوقع هبوب العاصفة الهوجاء وليس في وسعه غير الثبات أمامها "[٣] ويصف لنا

(١) نفسه، ص١٥٥.
(٢) نفسه، ص ٢٦.
(٣) نفسه، ص ٤٨.

حالة أهل الشحر : " وكان أهالي الشحر في شغل شاغل بأنفسهم وحليهم ونقودهم ووثائقهم وكانوا في حالة من التوتر النفسي والعضلي، كالمتوجس الذي يدفن رأسه بين كتفيه أتقاء صدمة دوي شحنة من المواد شديدة الانفجار"(١).

ويصف الشحر بعد المعركة: " فما أن بزغت شمس اليوم التاسع عشر شهر ذي الحجة ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٦م حتى كانت الاتجاهات الأربعة المحيطة بالشحرتشهد حربًا طاحنة ربما لم تشهدها في أي وقت مضى، ولو أننا أستنطقنا إحدى الحصيات المبعثرة في ساحة المعركة لأخبرتنا - لو أنها استطاعت التكلم - أنها حربًا بين إصرار كثيري على استعادة مجد غابر، وبين إصرار قعيطي على البقاء في حضرموت"

ويصف انفعالات الجمعدار عوض القعيطي : " كان يتحدث بصوت خافت وكأنه يخرج من أسفل حنجرته ويتحدث عاضًا على نواجده فتتحرك شفتاه وتقوم تقاطيع وجهه المغولي المتهجم بجميع الحركات العضلية التي يؤديها الخطباء المفوهون، لكنه قوي العارضة تترك كلماته المحرقة آثارًا بليغة في نفوس سامعيه"(٢).



(١) نفسه، والصفحة نفسها.
(٢) نفسه، والصفحة نفسها.

المحتويات

الموضوع — الصفحة

- كلمة المشرف العام ٩
- توطئة ١١
- الهجرة الحضرمية إلى إندونيسيا بين الهوية والاندماج ١٥
- المواقف الشعبية المعارضة للسياسة البريطانية في حضرموت (١٩٣٦-١٩٥٠م) ٥٧
- دور الدَّلَل في مجتمع مدينة شبام حضرموت (١٨٥٧م-١٩٦٧م) ... ٩٧
- مجتمع تريم في مكاتبات السيد عبدالله بن علوي الحداد ١٣٩
- وثائق من تاريخ حضرموت الحديث (دراسة وتحقيق) ١٧٣
- لمحات من منهج بامطرف وأسلوبه في الكتابة التاريخية (كتاب في سبيل الحكم نموذجًا) ٢١٣
- المحتويات ٢٢٧

الكتب الصادرة للمؤلف

- الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية في حضرموت ١٩١٨-١٩٤٥م الطبعة الأولى (٢٠٠١م) الطبعة الثانية (٢٠١٠م).
- القائم عبد الله بن عوض مخارش وأضواء على وثائق من الأرشيف الإداري للسلطنة القعيطية (٢٠١١م).
- أوراق مكلاوية (٢٠١١م).
- السلطنة الكثيرية الأولى في حضرموت ١٤١١-١٧٣٠م (٢٠١٤م).
- عابر سبيل (٢٠١٤م).
- في رحاب تاريخ حضرموت الحديث والمعاصر (دراسات وأبحاث) هذا الكتاب (٢٠١٥م).

❖ **الكتب المشارك في إعدادها وتقديمها وتحريرها:**

- الرحلة السلطانية إلى دوعن (٢٠٠٦م).
- الجمعيات والهيئات العربية في اندونيسيا (٢٠٠٧م).
- أبحاث ودراسات فعاليات ملتقى تريم الثقافي بمناسبة تريم عاصمة الثقافة الإسلامية (٢٠١٠م).
- أخبار حضرموت التاريخية في مجلة الرابطة العربية (٢٠١٢م).
- مظان اليمن في مجلة الرابطة العربية (٢٠١٢م).
- الطليعة تقول: سلسلة افتتاحيات صحيفة الطليعة الحضرمية ١٩٥٩-

١٩٦٧م (٢٠١٣م).

- صفحات من حياة المؤرخ عبدالرحمن الملاحي (٢٠١٤م).
- مقالات أحمد عوض باوزير في الصحف العدنية(النهضة - الرقيب - الأيام ١٩٥٣-١٩٥٨م) (٢٠١٥م).

هذا الكتاب

يحاول هذا الكتاب الكشف عن جوانب من تاريخ حضرموت الحديث والمعاصر من خلال عدد من الأبحاث والدراسات نشرت في مجلات متخصصة آثرنا تجميعها في مكان واحد ليسهل الوصول إليها بدلًا من تشتتها، وهي وإن تنوعت في موضوعاتها، فإن القاسم المشترك بين حلقاتها هو تناولها لتاريخ حضرموت ذاتها، وقد مضت في حضرموت سنن التاريخ في التغيّر والتشكّل، لهذا وبعيدًا عن ثوابت الجغرافيا التي تتسع وتضيق لاعتبارات كثيرة فقد عَرف الحضارمة عبر مراحل التاريخ أكثر من حضرموت من حيث شكل الكيان السياسي، وتنوع المذاهب والاجتهادات، ولأن الناس كما يقال على دين ملوكهم فإن الحضارمة خلال مسيرتهم التاريخية الطويلة لم يكونوا على وتيرة واحدة، أو مزاج واحد ثابت، إنما ينطبق عليهم القول المشهور لكل زمان دولة ورجال.

